الفصل الأول:
الجنـــــة دار المؤمنين

المبحث الأول:
نعيـم لا يوصـف

هـي جـنة طابـت وطاب نعيمها ::: فنعـيمها بـاق ولـيس بفـان

هـي نـور يـتلألأ ، وريحانة تهتز . وقصر مشيد ونهر مطرد . .وفاكهة نضيجة . . وزوجة حسناء جميلة . . وحلل كثيرة في مقام أبداً ، في حبرة ونضرة ، في دور عالية سليمة بهية تتراءى لأهلها كما يتراءى الكوكب الدري الغائر في الأفق .

إن نعيماً وعد الله به أهل وفادته ، ودار كرامته لا يستطيع امرؤ وصفه مهما كان لسناً ذا بيان فضلاً عن أن يعده أو يحده ، فعن أبي هريرة رضى الله عنه قال: قلت: يا رسول الله مم خلق الخلق؟ قال: «**من الماء**» قلت: ما بناء الجنة؟ قال: «**لبنة من الفضة، ولبنة من ذهب، ملاطها (الملاط: الطين) المسك الأذفر، وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت، وتربتها، الزعفران، من دخلها ينعم لا يبأس، ويخلد لا يموت، لا تبلى ثيابهم، ولا يفنى شبابهم**»[1] .

فيا لها من لذة: ويا لـه من نعيم: ﴿ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾ [آل عمران: ١٥] .

وجـنات عـدن زخرفت ثم أزلفت ::: لقـوم علـى الـتقوى دوماً تبتلوا
بهـا كـل ما تهوى النفوس وتشتهي ::: وقـرة عـين لـيس عـنها تحول

فهل يعقل أن يدرك عقل المرء هذا النعيم ثم يزهد فيه؟ هذا داعي الخير يناديك . . ويحرك فيك نشاط التنافس والمسارعة . . ﴿ ۞ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ﴾ [آل عمران: ١٣٣] .

فسارع إلى المغفرة والملك العظيم .فقد دعاك الملك!!! يقول الله تعالى على لسان رسوله ﷺ : «**أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر**»

---

(١) الترمذي وأحمد وصححه الألباني .

ومصداق ذلك في القرآن الكريم، قوله تعالى: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [السجدة: ١٧].

يـا طالـب الدنـيا الدنية إنـها ::: شـرك الـردى وقـرارة الأقـذار
دار مـتى مـا اضـحكت في يومها ::: أبكـت غـداً تـبا لها من دار

فاللبيب من باع الدنيا بالآخرة. قال تعالى: ﴿ وَلَلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ ٱلْأُولَىٰ ﴿٤﴾ ﴾ [الضحى: ٤].

والكيس من صنع السعادة بيده، فدان نفسه وعمل لما بعد الموت فبحث عن طريق الجنة فسلكه.....

نعيم أهل الجنة:

قال الله تعالى: ﴿ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُوا۟ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُوا۟ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾ [البقرة: ٢٥].

والسابقون أي إلى الهجرة أو الخير.

﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿١٢﴾ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْـَٔاخِرِينَ ﴿١٤﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ﴿١٥﴾ ﴾ [الواقعة: ١٠ - ١٥].

أي منسوجة بالذهب مشبكة بالجواهر: ﴿ مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيْهَا مُتَقَٰبِلِينَ ﴿١٦﴾ ﴾ [الواقعة: ١٦] وجوه بعضهم إلى بعض ليس أحد وراء أحد.

﴿ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [الواقعة: ١٧] لا يشيبون ولا يتغيرون.

(بِأَكْوَابٍ) جمع كوب إناء لا عروة ولا خرطوم له.

﴿ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿١٨﴾ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ [الواقعة: ١٨ - ١٩] أي لا ينشأ عنها صداعهم ولا ذهاب عقلهم.

﴿ وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾ وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُؤِ ٱلْمَكْنُونِ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الواقعة: ٢٠ - ٢٣] أي المصون عما يضر به.

﴿ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾ ﴾[الواقعة: ٢٤ - ٢٥] عبثاً باطلاً .

(وَلاَ تَأْثِيماً) أي ما يوقع في الإثم .

﴿ إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا سَلَٰمًا ﴿٢٦﴾ ﴾[الواقعة: ٢٦] أي إلا التسليم منهم بعضهم على بعض .

﴿ وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٧﴾ ﴾[الواقعة: ٢٧] وهم الأبرار دون المقربين .

﴿ فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ ﴾[الواقعة: ٢٨] أي لا شوك لـه أو مثنى الغصن من كثرة الحمل .

﴿ وَطَلْحٍ ﴾[الواقعة: ٢٩] موز .

﴿ مَّنضُودٍ ﴾[الواقعة: ٢٩] متراكم قد نضد بالحمل من أسفله إلى أعلاه .

﴿ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴿٣٠﴾ ﴾[الواقعة: ٣٠] أي منبسط أو دائم .

وفي الحديث: «**إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام ما يقطعها**» .

﴿ وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ ﴿٣١﴾ ﴾ [الواقعة: ٣١] أي مصبوب يجري على وجه الأرض من غير أخدود .

﴿ وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾ لَّا مَقْطُوعَةٍ ﴾ [الواقعة: ٣٢ - ٣٣] في زمان ﴿ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴾ [الواقعة: ٣٣] من أحد ﴿ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴿٣٤﴾ ﴾[الواقعة: ٣٤] كما بين السماء والأرض ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ﴿٨﴾ ﴾ [الغاشية: ٨] ذات بهجة ﴿ لِّسَعْيِهَا ﴾[الغاشية: ٩] في الدنيا ﴿ رَاضِيَةٌ ﴾ [الغاشية: ٩] في الآخرة لما رأت من ثوابها ﴿ فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿١٠﴾ ﴾[الغاشية: ١٠] المحل أو القدر ﴿ لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَٰغِيَةً ﴿١١﴾ ﴾[الغاشية: ١١] لغواً ﴿ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ﴿١٢﴾ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ﴿١٣﴾ ﴾ [الغاشية: ١٢ - ١٣] رفيعة السمك إذا أراد أن يجلس عليها صاحبها تواضعت لـه ثم ترتفع ﴿ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ﴿١٤﴾ ﴾ [الغاشية: ١٤] بين أيديهم ﴿ وَنَمَارِقُ ﴾ [الغاشية: ١٥] وسائد ﴿ مَصْفُوفَةٌ ﴾[الغاشية: ١٥] بعضها بجنب بعض ﴿ وَزَرَابِىُّ ﴾[الغاشية: ١٦] بسط فاخرة . ﴿ مَبْثُوثَةٌ ﴾[الغاشية: ١٦] مبسوطة .

وعن أبي هريرة رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ: «**قال اللّه تعالى: أعددت**

لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر [١] . اقرءوا إن شئتم: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾ [السجدة: ١٧]» .

قال أهل اللغة: قرة أعين يعبر بها عن المسرة، ورؤية ما يحب الإنسان ويوافقه .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ : «**إن في الجنة لشجرة يسير الراكب في ظلها مائة سنة. اقرءوا إن شئتم:** ﴿ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الواقعة: ٣٠]» . «**ولقاب قوس أحدكم في الجنة خير مما طلعت عليه الشمس أو تغرب**» [٢] .

وفي كتاب الترمذي: ما في الجنة شجرة إلا وساقها من ذهب .

عن أبي هريرة قال: قلت: يا رسول الله مم خلق الخلق؟ قال: «**من الماء**» . قلنا: الجنة ما بناؤها؟ قال: «**لبنة من ذهب، ولبنة من فضة، وملاطها المسك الأذفر، وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت، وترابها الزعفران، من يدخلها ينعم ولا يبأس، ويخلد ولا يموت ولا يفنى شبابهم، ولا تبلى ثيابهم**» [٣] .

قال رسول الله ﷺ : «**إن أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر، والتي تليها على أضوأ كوكب دري في السماء، لكل امرئ منهم زوجتان اثنتان يرى مخ سوقهما من وراء اللحم، وما في الجنة أعزب**» [٤] .

وفيه أيضاً: «**...لا يبولون، ولا يتغوطون، ولا يمتخطون، ولا يتفلون أمشاطهم الذهب، ورشحهم المسك، ومجامرهم الألوة، وأزواجهم الحور العين، أخلاقهم على خلق رجل واحد، على صورة أبيهم آدم، ستون ذراعاً في السماء**» .

وفيه أيضاً: «**... لا اختلاف بينهم ولا تباغض، قلوبهم قلب واحد، يسبحون الله بكرة وعشية**» .

وفيه قال: «**يأكل أهل الجنة فيها ويشربون، ولا يتفلون، ولا يبولون ولا يتغوطون، ولا**

---

(١) صحيح مسلم .
(٢) صحيح البخاري .
(٣) سنن الترمذي .
(٤) صحيح مسلم .

يمتخطون»، قالوا: فما بال الطعام؟ قال: «**جشاء ورشح كرشح المسك يلهمون التسبيح والتحميد كما تلهمون النفس**».

وقال: «**إن أهل الجنة يتراؤون أهل الغرف من فوقهم كما يتراؤون الكوكب الدري الغابر في الأفق من المشرق والمغرب لتفاضل ما بينهم**» قالوا: يا رسول الله تلك منزل الأنبياء لا يبلغها غيرهم، قال: «**بلى والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين**»[١].

وعن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنك لتنظر إلى الطير في الجنة فتشتهيه فيجيء مشوياً بين يديك**»[٢].

وعن علي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن في الجنة لغرفاً يرى ظهورها من بطونها، وبطونها من ظهورها**» فقام إليه أعرابي فقال: لمن هي يا رسول الله فقال: «**هي لمن أطاب الكلام وأطعم الطعام وأدام الصيام، وصلى بالليل والناس نيام**»[٣].

وعن سعد بن أبي وقاص عن النبي ﷺ قال: «**لو أن ما يقل ظفر مما في الجنة بدا لتزخرف له ما بين خوافق السماوات والأرض، ولو أن رجلاً من أهل الجنة اطلع فبدا أساوره لطمس ضوؤه ضوء الشمس كما تطمس الشمس ضوء النجوم**»[٤].

وعن علي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن في الجنة لسوقاً متجمعاً ما فيها شراء ولا بيع إلا صور من الرجال والنساء فإذا اشتهى الرجل صورة دخل فيها**»[٥].

وعن سليمان بن بريدة عن أبيه أن رجلاً قال: يا رسول الله هل في الجنة من خيل؟ قال: «**إن الله أدخلك الجنة فلا تشاء أن تحمل فيها على فرس من ياقوتة حمراء تطير بك في الجنة، حيث شئت إلا حملت**» وسأله رجل فقال: يا رسول الله هل في الجنة من إبل فقال: «**إن يدخلك الله الجنة يكن لك فيها ما اشتهت نفسك ولذت عينك**»[٦].

---

(١) البخاري ومسلم.
(٢) مسند البزار.
(٣) سنن الترمذي.
(٤) سنن الترمذي.
(٥) سنن الترمذي.
(٦) سنن الترمذي.

وقفـــــة:

وكـان هـذا الـسؤال المـوجه للنبـى ﷺ، عـن أفاضـل مـا يعرفون فى زمانهم كالخيول والـنوق، ونحـن فى هذا الزمان كذلك نرى أشياء لم يرها الصحابة، فمهما يدور فى ذهنك من شيء أى شيء، سترى فى الجنة إن شاء الله أحسن منه وأجمل وأكمل.....

وقال ﷺ: «**من مات من أهل الجنة من صغير أو كبير يردون بني ثلاث وثلاثين في الجنة لا يزيدون عليها أبداً، وكذلك أهل النار**» وقال: «**إن عليهم التيجان أدنى لؤلؤة منها لتضيء ما بين المشرق والمغرب**»[١].

وقـال: «**إن في الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض والفردوس أعلاهـــا درجـــة، مـــنها تفجر أنهار الجنة الأربعة ومن فوقها يكون العرش، فإذا سألتم اللّه فاسألوه الفردوس**»[٢].

وحكـي أن أصـحاب الـثوري كلموه فيما كانوا يرون من خوفه واجتهاده ورقة حاله، فقالوا: يا أستاذ لو نقصت من هذا الجهد نلت مرادك أيضاً إن شاء اللّه تعالى، فقال سفيان: كيف لا أجتهد وقد بلغني أن أهل الجنة يكونون في منازلهم فيتجلى لهم نور يضيء لـه الجنان الـثمان فيظـنون أن ذلـك نـور مـن عند الرب سبحانه وتعالى فيخرون ساجدين فينادون أن ارفعـوا رؤوسـكم لـيس الـذي تظنون إنما هو نور جارية تبسمت في وجه صاحبها ثم أنشد يقول:

مـــا ضر من كان الفردوس مسكنه ::: مـــاذا تحمـــل مـــن بـــؤس واقـــتار
تـــراه يمـــشي كئيـــباً خائفـــاً وجلا ::: إلى المـــساجد يمـــشي بـــين أطمـــار
يـــا نفس ما لك من صبر على النار ::: قـــد حـــان أن تقبلي من بعد إدبار

(وقـيل لـوهب بن منبه: أليس لا إله إلا اللّه مفتاح الجنة؟ قال: بلى ولكن ليس مفتاح إلا لـه أسنان فإن جئت بمفتاح لـه أسنان فتح لك وإلا لم يفتح لك)[٣].

---

(١) سنن الترمذي.
(٢) سنن الترمذي.
(٣) ذكره البخاري في صحيحه.

وروي أن اللّـه عز وجل أوحى إلى موسى: «**ما أقل حياء من يطمع في جنتي بغير عمل، كيف أجود برحمتي على من بخل بطاعتي....**» .

وعـن شـهر بـن حوشـب: طلب الجنة بلا عمل ذنب من الذنوب وانتظار الشفاعة بلا سـبب نـوع من الغرور ، وارتجاء الرحمة ممن لا يطاع حمق وخذلان . وعن رابعة العدوية أنها كانت تنشد:

تـــرجو الـــنجاة ولم تسلك مسالكها ::: إن الـــسفينة لا تجـــري على اليبس

وقال المؤلف:

خـــذ منها لا تأخذ إلا الذى تسلم به ::: إن الـــسلامة مـــنها وربى تـــركها
تقـــوى إلا لـــه تزودوا خير السلاح ::: لجهـــدها وصـــلاحها وجهادهـــا
واســـع لأخـــرى جـــنـــــة ليوم ::: عـــرس جهـــزوها لعرســـــهـــا
حـــور قـــصور لؤلؤ وزبرجـــــد ::: وملاطهـــا المـــسك لذيـــذ خمرهـــا
عـــسل مصفى فيها نهر محمد الكوثر ::: المأمـــول السلـــسبيل ونـــيل فراقها
يالخـــسارة مـــن شرى أخرى بفانية ::: بداهـــية شـــيطانها وجحـــيمهـــا
دنـــيا كبيت العنكبوت الواهيـــــة ::: مـــسمومة مكلـــومة مـــريض قلبها
فمـــا هى إلا كقـــــول الشافعى ::: علـــيها كـــلاب هممـــن اجـــتذابها

صفـة الجنـــة :

هي دار غرسها الله بيده ، وجعلها مقرا لأحبابه ، وملأها من رحمته وكرامته ورضوانه ، ووصـف نعـيمها بالفـوز العظـيم ، وملكهـا بالملـك الكـبير ، وأودعها جميع الخير بحذافيره ، وطهرها من كل عيب وآفة ونقص .

فـإن سـألت عـن أرضـها وتـربتها فهي المسك والزعفران . وإن سألت عن سقفها فهو عـرش الـرحمن . وإن سـألت عن ملاطها فهو المسك الأذفر . وإن سألت عن حصبائها فهو اللؤلـؤ والجوهـر . وإن سـألت عـن بـنائها فلبـنة من فضة ولبنة من ذهب . وإن سألت عن أشـجارها فمـا فـيها من شجرة إلا وساقها من ذهب وفضة ، لا من الحطب والخشب . وإن سألت عن ثمرها فأمثال القلال ، ألين من الزبد ، وأحلى من العسل . وإن سألت عن ورقها فأحسن ما يكون من رقائق الحلل .

وإن سألت عن أنهارها فأنهار من لبن لم يتغير طعمه ، وأنهار من خمر لذة للشاربين ، وأنهار من عسل مصفى . وإن سألت عن طعامهم ففاكهة مما يتخيرون ، ولحم طير مما يشتهون . وإن سألت عن شرابهم فالتسنيم والزنجبيل والكافور . وإن سألت عن آنيتهم فآنية الذهب والفضة ، في صفاء القوارير . وإن سألت عن سعة أبوابها فبين المصراعين مسيرة أربعين من الأعوام ، وليأتين عليه يوم وهو كظيظ من الزحام .

وإن سألت عن تصفيق الرياح لأشجارها فإنها تنعم بالطرب لمن يسمعها . وإن سألت عن ظلها ففي ظل الشجرة الواحدة يسير الراكب المجد السريع مائة عام لا يقطعها . وإن سألت عن سعتها فأدنى أهلها يسير في ملكه وسرره وقصوره وبساتينه مسيرة ألفي عام . وإن سألت عن خيامها وقبابها فالخيمة الواحدة من درة مجوفة ، طولها ستون ميلا . وإن سألت عن علاليها وجوسقها فهي غرف من فوقها غرف مبنية ، تجري من تحتها الأنهار . وإن سألت عن ارتفاعها فانظر إلى الكوكب الطالع أو الغارب في الأفق ، الذي لا تكاد تناله الأبصار .

وإن سألت عن لباس أهلها فهو الحرير والذهب . وإن سألت عن فرشها فبطائنها من إستبرق ، مفروشة في أعلى الرتب . وإن سألت عن أرائكها فهي الأسرة المرفوعة .

وإن سألت عن وجوه أهلها وحسنهم فعلى صورة القمر . وإن سألت عن أعمارهم فأبناء ثلاث وثلاثين ، على صورة آدم عليه السلام . وإن سألت عن سماعهم فغناء أزواجهم من الحور العين ، وأحلى منه سماع الملائكة والنبيين ، وأحلى منهما خطاب رب العالمين . وإن سألت عن مطاياهم التي يتزاورون عليها فنجائب مما شاء الله ، تسير بهم حيث شاؤوا . وإن سألت عن حليهم وشارتهم فأساور الذهب واللؤلؤ ، وعلى رؤوسهم ملابس التيجان . وإن سألت عن غلمانهم فولدان مخلدون ، كأنهم لؤلؤ مكنون .

أرضها بيضاء ، وتربتها درمكة بيضاء ، مسك خالص ، عرصتها صخور الكافور ، وقد أحاط به المسك مثل كثبان الرمل ، فيها أنهار مطردة ، فيجتمع فيها أهلها ، أدناهم وآخرهم ، فيتعارفون ، فيبعث الله ريح الرحمة ، فتهيج عليهم ريح المسك ، وإنها لتُشم من مسيرة مائة عام ، فترجع يا أخي إلى زوجتك وقد ازددتَ حسنا وطيبا ، فتقول لك: لقد خرجتَ من

عندي وأنا بك معجبة، وأنا بك الآن أشد إعجابا.

وبينما المؤمنون ذات يوم يتحدثون في ظل شجرة طوبى إذ جاءتهم الملائكة بنجائب مزمومة بسلاسل من ذهب، كأن وجوهها المصابيح نضارة وحسنا، وبرها خز أحمر، وعبقري أبيض، مختلطان، الحمرة بالبياض، والبياض بالحمرة، لم ينظر الناظرون إلى مثله حسنا وبهاء، ذللا من غير محنة، نجب من غير رياضة، رحالها من الياقوت الأخضر، ملبسة بالعبقري والأرجوان، ولجمها ذهب، وكسوتها سندس وإستبرق، فأناخوا إليهم تلك الرواحل، وحيوهم بالسلام من عند الرب السلام، وقالوا لهم: أجيبوا ربكم جل جلاله، فإنه يستزيركم فزوروه، وليسلم عليكم وتسلموا عليه، وينظر إليكم وتنظروا إليه، ويكلمكم وتكلموه، ويحييكم وتحيوه، ويزيدكم من فضله، فإنه ذو الرحمة الواسعة، وذو فضل عظيم.

فننظر إليه وينظر إلينا، لا نضار في رؤيته، فيأخذ ربُنا عز وجل بيده غرفة من الماء، فينضح وجوهنا بها، وما تخطئ وجه أحدنا منها قطرة، فتدع وجوهنا مثل الريطة البيضاء، فنطلع على حوض الرسول ﷺ، وما يبسط واحد منا يده إلا وضع عليها قدح يطهره من الطوف والبول والأذى. وتُحبس الشمس والقمر، ولا نرى منهما واحدا، فنبصر بمثل بصرنا في الدنيا، وذلك قبل طلوع الشمس، في يوم أشرقت الأرض.

وفي الجنة بحر اللبن، وبحر العسل، وبحر الخمر، وأنهار من عسل مصفّى، وأنهار من كأس، ما بها من صداع ولا ندامة، وأنهار من لبن لم يتغير طعمه، وماء غير آسن، وبفاكهة ما نعلم، وخير من مثله معه. وأزواج مطهرة.....

صفة أهل الجنة:

أهل الجنة، جردا مردا مكحلين، أبناء ثلاثين، أو ثلاث وثلاثين، عليهم التيجان، وإن أدنى لؤلؤة منها لتضيء ما بين المشرق والمغرب، ولو أن ما يقل ظفر مما في الجنة بدا، لتزخرفت له ما بين خوافق السماوات والأرض، ولو أن رجلا من أهل الجنة اطلع فبدا سواره، لطمس ضوؤُه ضوءَ الشمس كما تطمس الشمس ضوء النجوم.

وإذا فتحت الجنة أبوابها دخلت أول زمرة على صورة القمر ليلة البدر، والذين يلونهم

كأشد كوكب دري في السماء إضاءة، قلوبهم على قلب واحد، لا اختلاف بينهم ولا تباغض، يلهمون التسبيح بكرة وعشيا، لا يسقمون فيها ولا يموتون، ولا ينزفون، ولا يبولون، ولا يتغوطون، ولا يمنون، ولا يمتخطون، ولا يتفلون، آنيتهم من الذهب والفضة، وأمشاطهم الذهب، ومجامرهم الألوّة، ورشحهم المسك، أزواجهم الحور العين، أخلاقهم على خلق رجل واحد، على صورة أبيهم آدم، ستون ذراعاً في السماء، لكل واحد منهم زوجتان من الحور العين، على كل زوجة سبعون حلة، يرى مخ سوقهما من وراء لحومهما وحللهما، كما يرى الشراب الأحمر في الزجاجة البيضاء.

وتلهو فى الخيام مع الحسان:

هيئة أهل الجنة: وقد جعل الله أهل الجنة في أكمل صورة خلق عليها البشر، وهي صورة آدم عليه السلام، وما ذلك إلا لتكمل سعادتهم وغبطتهم في ذلك النعيم الخالد. وكما جمل الله صورهم فقد جمل أخلاقهم فكان أهل الجنة على خلق رجل واحد: قال رسول الله ﷺ: «**أخلاقهم على خلق رجل واحد، على صورة أبيهم آدم ستون ذراعاً في السماء**»[1] فما أعذب تلك الحياة.. وما ألذ عيشها.. حياة كلها مودة وصفاء وألفة وإخاء.. ومحبة وصدق ووفاء، قال تعالى: ﴿وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾ [الحج: ٢٤] وقال سبحانه: ﴿لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَٰغِيَةً ۝١١﴾ [الغاشية: ١١] وقال سبحانه: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ۝٤٧﴾ [الحجر: ٤٧] فلا نكد ولا شقاء. ولا بغض ولا حسد ولا تشاجر ولا حروب، وإنما هو مجتمع يسوده الهدوء والسكينة والألفة والرحمة.

وقد ذكر رسول الله ﷺ أن أهل الجنة كلهم شباب أبناء ثلاث وثلاثين. قال رسول الله ﷺ: «**يدخل أهل الجنة جرداً مرداً، كأنهم مكحلون، أبناء ثلاث وثلاثين**»[2]، كما أنهم لا يبصقون ولا يتمخطون ولا يتغوطون ولا ينامون فقد قال رسول الله ﷺ: «**النوم أخو الموت ولا ينام أهل الجنة**»[3]، فما أغرب أهل الإيمان في الدنيا. فهم يتطلعون بقلوبهم إلى هذا النعيم، وإنما عيشهم في دار المقام، حيث لا ينغص الهرم شبابهم ولا يزيل الموت نعيمهم.

---

(١) مسلم.
(٢) صحيح الجامع.
(٣) السلسلة الصحيحة.

ونساء الجنة تكسوهن النضرة، ويملؤهن الجمال، أخاذات بنظراتهن، ساحرات بحسنهن، قاصرات بطرفهن.

قال تعالى: ﴿ وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الواقعة: ٢٢ - ٢٣] وقال سبحانه: ﴿ كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ ﴿٥٨﴾ ﴾ [الرحمن: ٥٨] وقال تعالى: ﴿ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ ﴿٤٩﴾ ﴾ [الصافات: ٤٩] قد تمازج بياض عيونهن بالسواد، وبياض أبدانهن بالنعومة، فقد جاء في الحديث "ولكل واحد منهم زوجتان يرى مخ سوقهما من وراء اللحم من الحسن"(١) وقال رسول الله ﷺ: «**لو اطلعت امرأة من نساء أهل الجنة إلى الأرض لملأت ما بينهما ريحاً أي (المشرق والمغرب) ولأضاءت ما بينهما ولنصيفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها**»(٢).

وقفة:

هذا النعيم لا ينال إلا بالجد في طاعة الله، وتقديم مراده على مراد النفس، بأداء الصلوات والذكر في الخلوات، والقيام في الظلمات. قال مالك بن دينار: كان لي أحزاب أقرؤها كل ليلة، فنمت ذات ليلة، فإذا أنا في المنام بجارية ذات حسن وجمال وبيدها رقعة فقالت أتحسن أن تقرأ؟ فقلت: نعم. فدفعت إلي الرقعة، فإذا مكتوب هذه الأبيات:

لهاك النوم عن طلب الأماني ::: وعن تلك الأوانس في الجنان
تعيش مخلداً لا موت فيها ::: وتلهو في الخيام مع الحسان
تنبه في منامك إن خيراً ::: من النوم التهجد بالقرآن

أزواج مطهرة:

وتأتيك الأزواج المطهرة، والعين الغنجات، بوشح الكرامة متزينات، بالمسك متزملات، حدق أعينهن كاحلات، وأطرافهن خاشعات، وفروقهن مكللة بالدر، مركبة بالياقوت، ينادين بأصوات غنجة رخيمة لذيذة، يقلن: نحن الخالدات فلا نموت أبدا، ونحن الغانجات فلا نبأس أبدا، ونحن المقيمات فلا نظعن أبدا، ونحن الراضيات فلا نسخط أبدا، ونحن الحور الحسان، أزواج أقوام كرام، ونحن الأبكار السوام، للعباد المؤمنين، طوبى لمن

(١) البخاري مع الفتح.
(٢) رواه مسلم.

كان لنا وكنا لـه .

أنـشأهن الله إنـشاءً ، فجعلـهن أبكـارا ، عاشـقات لأزواجهـن ، مـستويات في الأسـنان ، حـسان جمـال ، كأمـثال اللؤلـؤ المكـنون ، كـأنهن الـياقوت والمـرجان ، مـشيها هـرولة ، ونغمـتها شـهية بهـية ، فائقـة وامقـة ، لـزوجها عاشـقة ، وعلـيه محبوسـة ، وعـن غـيره محجـوبة ، قاصـرة الطـرف عـن الـرجال ، فـلا تنظـر إلى غـير زوجهـا . لم يطمـثها إنـس قـبله ولا جـان ، كلمـا أصـابها زوجهـا وجـدها عـذراء ، علـيها سـبعون حلـة ، مختلفة الوُشِيِّ والألوان ، حملها أهون عليها وأخف من شعرها .

فمـا من أحد يدخله الله الجنة إلا زوجه اثنتين وسبعين زوجة ، اثنتين من الحور العين ، وسبعين من ميراثه من أهل النار ، (ميراثه من أهل النار يعني رجالا دخلوا النار فورث أهل الجـنة نـساءهم كمـا وُرِثَتْ امرأة فرعون) ، ما منهن واحدة إلا ولها قبل شـهي ، ولـه ذكر لا ينـثني ، ويعطـى قوة مائة شاب في الجماع ، فيجامع مقدار أربعين سنة ، ولـه في كل يوم مائة عـذراء ، بذكـر لا يمـل ولا ينـثني ، وفـرج لا يحثى ولا يمنى . على كل واحدة منهن سبعون حلة ، يرى مخ ساقها من وراء الثياب .

فـيا مـن يبـيع كـل هـذا النعيم بشهوة ساعة ، بنظرة محرمة ، أو معاشرة الزانيات - يالا خـسارتك - عـد إلى ربك فاحفظ فرجك من الزنا واحفظ بصرك من النظرة المحرمة ، لتفوز بالنعيم المقيم مع أزواجك من الحور العين . . . . . .

أصناف الحور العين :

ولـك يـا ولـي الله مـا اشـتهت نفـسك مـن الحـور العـين ، فهـن أصـناف ، ففـيهن حـوراء يقـال لهـا: اللُّعبة ، كـل حـور الجـنات يُعجبـن بهـا ، يَـضربن بأيـديهن على كتفها ويقلـن: طوبـى لـك يـا لُعبة ، لـو يعلـم الطالـبون لـك لجدّوا ، بين عينيها مكتوب: (من كـان يبتغـي أن يكـون لـه مثلـي فليعمل برضـاء ربـي) . وفـيهن حـوراء يتباهـى أهـل الجـنة بحـسنها ، ولـولا أن الله تعـالى كـتب علـى أهـل الجـنة أن لا يموتـوا لماتـوا مـن حـسنها . وفـيهن حـوراء يقـال لهـا: العيـناء ، إذا مـشت مـشى حـولها سـبعون ألـف وصـيف عـن يمـينها ، وعـن يـسارها كـذلك ، وهـي تقـول: أيـن الآمـرون بالمعـروف ،

والناهون عن المنكر. فتختارَ -يا عبد الله- منهن أو من غيرهن من تشاء، وتجامعها مقدار عمرك في الدنيا، فلا مقطوعة ولا ممنوعة.

أول لقاء بالحوراء:

فأنت - يا ولي الله- عندما تخرج من قبرك، تتلقاك النجائب، فتركب وتأكل وتشرب وتتنخم، حتى تصل إلى باب الجنة، فترى عينين من عيون الجنة، فتشرب من أحدهما، وتتوضأ من الأخرى، فإذا أنت على طول آدم؛ ستون ذراعاً في السماء. فإذا جئتَ لتدخل من باب الجنة، جاءتْ أزواجك من الحور العين يتلقونك بالغناء والمعانقة والتقبيل.

وإذا خرجتَ من قبرك استُقبلْتَ بنوق بيض لها أجنحة، عليها رحال الذهب، شرك نعلك نور يتلألأ، كل خطوة منها مثل مد البصر، فتنتهي إلى باب الجنة، فإذا حلقة من ياقوتة حمراء على صفائح الذهب، وإذا شجرة على باب الجنة ينبع من أصلها عينان، فإذا شربتَ من أحدهما جرت في وجهك بنضرة النعيم، وإذا توضأت من الأخرى لم يشعث شعرك أبداً، فتضرب الحلقة بالصفيحة، فيبلغ كل حوراء أن زوجها قد أقبل، فتستخفها العجلة، فتبعث قَيِّمها فيفتح لك الباب، فلولا أن الله عز وجل عرّفك نفسك لخررتَ له ساجداً، مما ترى من النور والبهاء، فيقول القَيِّم: أنا قَيِّمك الذي وُكِّلْتُ بأمرك، فتتبعه، وتقفو أثره، فتأتي زوجتك، فتستخفها العجلة، فتخرج من الخيمة، فتعانقك، وتقول لك: أنت حبي وأنا حبك، وأنا الراضية فلا أسخط أبداً، وأنا الناعمة فلا أبأس أبداً، وأنا الخالدة فلا أظعن أبداً، فتدخل بيتاً من أساسه، وطرائق صفر ما منها طريقة تشاكل صاحبتها، فتأتي الأريكة، فإذا عليها سرير، على السرير سبعون فراشاً، على كل فراش سبعون زوجة، على كل زوجة سبعون حلة، ترى مخ ساقها من باطن الحلل، تفضي جماعهن في مقدار ليلة. تجري من تحتكم أنهار مطردة، وأنهار من ماء غير آسن، صاف ليس فيه كدر، وأنهار من عسل مصفى، لم يخرج من بطون النحل، وأنهار من خمر لذة للشاربين، لم تعصره الرجال بأقدامها، وأنهار من لبن لم يتغير طعمه، لم يخرج من بطون الماشية. فإذا اشتهيت الطعام جاءتك طير بيض،

فترفع أجنحتها، فتأكل من جنوبها من أي الثمار شئت، إن شئت قائماً، وإن شئت متكئاً. وبين يديك خدم كاللؤلؤ، يطيعونك، ولا يعصون لك أمرا.

ويساق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمراً، حتى إذا انتهوا إلى باب من أبوابها، وجدوا عنده شجرة يخرج من تحت ساقها عينان تجريان، فعمدوا إلى إحداهما، كأنما أمروا بها، فشربوا منها، فأذهبت ما في بطونهم من أذى أو قذى أو بأس، ثم عمدوا إلى الأخرى، فتطهروا منها، فجرت عليهم بنضرة النعيم، فلن تتغير أبشارهم تغييراً بعدها أبداً، ولن تشعث أشعارهم، كأنما دهنوا بالدهان، ثم انتهوا إلى خزنة الجنة، فقالوا: ﴿ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴾ [الزمر: ٧٣]، ثم يلقاهم الوِلْدان، يطوفون بهم كما يطوف وِلْدان أهل الدنيا بالحميم، فيقولون: أبشر بما أعد الله لك من الكرامة، ثم ينطلق غلام منْ أولئك الوِلْدان إلى بعض أزواجك من الحور العين، فيقول: قد جاء فلان، باسمه الذي يُدعى به في الدنيا، فتقول: أنت رأيتَه، فيقول: أنا رأيتُه، وهو ذا بأثري، فيستخف إحداهن الفرح، حتى تقوم على أسكفة بابها، فإذا انتهيت إلى منزلك نظرتَ إلى أي شيء أساس بنيانه، فإذا جندل اللؤلؤ، فوقه صرح أخضر وأصفر وأحمر، ومن كل لون، ثم ترفع رأسك فتنظر إلى سقفه، فإذا مثل البرق، لولا أن الله قدر لك لذهب ببصرك، ثم تطأطئ رأسك، فتنظر إلى أزواجك، وإلى أكواب موضوعة، ونمارق مصفوفة، وزرابي مبثوثة، فتنظر إلى تلك النعمة، ثم تتكئ وتقول: ﴿ وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ﴾ [الأعراف: ٤٣]، ثم ينادي منادٍ: تحيون فلا تموتون أبداً، وتقيمون فلا تظعنون أبداً، وتصحّون فلا تمرضون أبدا.

وعندما تدخل يا ولي الله من باب الجنة، يتلقاك غلمانك، فيقولون: مرحباً بسيدنا، قد آن لك أن تزورنا، فتُمد لك الزرابي أربعين سنة، ثم تنظر عن يمينك وشمالك، فترى الجنان، فتقول: لمن ما ها هنا؟ فيُقال: لك، حتى إذا انتهيتَ رُفعتْ لك ياقوتة حمراء، أو زبرجدة خضراء، لها سبعون شِعباً، في كل شِعبٍ سبعون غرفة، في كل غرفة سبعون باباً، فيُقال لك: اقرأ وارق، فتقرأ وترقى، حتى إذا انتهيتَ إلى سرير ملكك اتكأتَ عليه، سعته ميلٌ في ميل، ولك فيه

قصور، فيسعى إليك غلمانك بسبعين صحفةً من ذهب، ليس فيها صحفة فيها من لون أختها، تجد لذة آخرها كما تجد لذة أولها، ثم يسعون إليك بألوان الأشربة، فتشرب منها ما اشتهيت، ثم يقول الغلمان: اتركوه وأزواجه، فينطلق الغلمان، ثم تنظر، فإذا حوراء من الحور العين جالسة على سرير ملكها، عليها سبعون حلة، ليس منها حلة من لون صاحبتها، فترى مخ ساقها من وراء اللحم والدم والعظم، والكسوة فوق ذلك، فتنظر إليها وتقول: من أنتِ؟ فتقول لك: أنا من الحور العين اللاتي خُبئن لك، فتنظر إليها أربعين سنة، لا تصرف بصرك عنها، لشدة جمالها، ثم ترفع بصرك إلى الغرفة، فإذا أخرى أجمل منها، فتقول الحوراء: أما آن لك أن يكون لنا منك نصيب؟ فترقى إليها أربعين سنة، لا تصرف بصرك عنها.

ثم إذا بلغ النعيم منا كل مبلغ، وظننا أن لا نعيم أفضل منه، تجلى لنا الرب تبارك اسمه، فننظر إلى وجهه الكريم، فيقول جل في علاه: يا أهل الجنة، هللوني، فتتجاوب بتهليل الرحمن، ثم يقول: يا داود، قم فمجدني كما كنت تمجدني في الدنيا، فيمجد داود ربه عز وجل، بصوت لم تسمع الخلائق مثله.

هذه هي الحوراء!!!:

تأتيك امرأتك، فتضرب على منكبيك، فترى وجهك في خدها أصفى من المرآة، وتنظر إلى بياض ساقها من وراء سبعين حلة، حتى ترى مخها، كأنهن الياقوت والمرجان، كما يرى الشراب الأحمر في الزجاجة البيضاء، وإن أدنى لؤلؤة عليها لتضيء ما بين المشرق والمغرب، فتُسَلِّم عليك، فترد السلام، وتسألها: من أنتِ؟ فتقول لك: أنا من المزيد، عليها سبعون ثوبا، أدناها مثل النعمان من طوبى، فينفذها بصرك حتى ترى مخ ساقها من وراء ذلك، وإن عليها من التيجان، وإن أدنى لؤلؤة عليها لتضيء ما بين المشرق والمغرب. والذي نفسي بيده، لو اطلعتْ على أهل الأرض لأضاءتْ ما بينهما، ولملأتْ ما بينهما بريحها، ولنصيفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها.

فإن سألتَ عن أزواجك وحبيباتك يا عبد الله، فاعلم أنهن الكواعب الأتراب، اللاتي

جرى في أعضائهن ماء الشباب، فللورد والتفاح ما لبسته الخدود، وللرمان ما تضمنته النهود، وللؤلؤ المنظوم ما حوته الثغور، وللرقة واللطافة ما دارت عليه الخصور، تجري الشمس من محاسن وجهها إذا برزت، ويضيء البرق من بين ثناياها إذا ابتسمت.

إذا قابلتْ حِبَّها فقل ما تشاء في تقابل النورين، وإذا حادثته فما ظنك بمحادثة الحبيبين، وإن ضمها إليه فما ظنك بتعانق الغصنين، يرى وجهه في صحن خدها كما يُرى في المرآة التي جلاها صيقلها، ويَرى مخ ساقها من وراء اللحم، ولا يستره جلدها، ولا عظمها، ولا حللها. لو اطلعت على الدنيا لملأت ما بين الأرض والسماء ريحاً، وأفواه الخلائق تهليلاً وتكبيراً وتسبيحاً، ولتزخرفت لها ما بين الخافقين، ولأغمضت عن غيرها كل عين، ولطمست ضوءَ الشمس كما تطمس الشمسُ ضوء النجوم، ولآمن من على ظهرها بالله الحي القيوم، ولَنصيفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها، ووصالها أشهى إليك من جميع أمانيها.

ولا تزداد على طول الأحقاب إلا حسناً وجمالاً، ولا تزداد لها طول المدى إلا محبة ووصالاً، مبرأة من الحبل والولادة، والحيض والنفاس، مطهرة من المخاط والبصاق، والمذي والمني، والبول والغائط، وسائر الأدناس. مطهرة من الأخلاق السيئة، والصفات المذمومة، والفحش والبذاء، ومن النظر إلى غير زوجها. لا يفنى شبابها، ولا تبلى ثيابها، ولا يخلِق ثوب جمالها، ولا يُمَل طيب وصالها، قد قصرت على زوجها، فلا تطمح لأحد سواه. وقصر طرفك عليها، فهي غاية أمنيتك وهواك، إن نظرتَ إليها سرتك، وإن أمرتها بطاعتك أطاعتك، وإن غبتَ عنها حفظتك، فأنتَ منها في غاية الأماني، لم يطمثها قبلك إنس ولا جان، كلما نظرتَ إليها ملأتْ قلبك سروراً، وكلما حدثتْك ملأتْ أذنك لؤلؤاً منظوماً، وإذا برزتْ ملأت القصر والغرفة نوراً.

وإن سألت عن السن فأتراب في أعدل من الشباب، وإن سألت عن الحسن فهل رأيت الشمس والقمر، وإن سألت عن الخلق فأحسن سواد في أصفى بياض في أحسن جور، وإن سألت عن القدود فهل رأيت أحسن الأغصان، وإن سألت عن النهود فمن الكواعب، ونهودهن كألطف الرمان، وإن سألت عن اللون فكأنه

الياقوت والمرجان ، وإن سألت عن حسن الْخُلُق فهن الخيرات الحسان ، اللاتي جمعن بين الحسن والإحسان ، فأعطين جمال الباطن والظاهر ، فهن أفراح النفوس وقرة النواظر ، وإن سألت عن حسن العشرة ولذة ما هنالك ، فهن العُرب المحببات إلى الأزواج ، بلطافة التبعل التي تمتزج بالروح أي امتزاج .

فما ظنك بامرأة إذا ضحكتْ في وجهك أضاءت الجنة من ضحكها ، وإذا انتقلتْ من قصر إلى قصر قلتَ: هذه الشمس متنقلة في بروج فلكها ، وإذا حاضرتك فيا حسن تلك المحاضرة ، وإن خاصرتك فيا لذة المعانقة والمخاصرة ، وإن غنتْ لك فيا لذة الأبصار والأسماع ، وإن آنستْك وأمتعتْك فيا حبّذا تلك المؤانسة والإمتاع ، وإن قبّلتْك فلا شيء أشهى إليك من التقبيل ، وإن نلتَها فلا ألذّ ولا أطيبَ من ذلك التنويل .

واسمع - يا عبد الله - وصف الحور العين ، التي قصّ الله عليك ذكرها ، وبيّن لك النبي ﷺ وصفها ، ولنأخذ في وصفها عضواً عضواً ، ما استطعنا إلى هذا سبيلاً ، وما وجدنا نصًّا ودليلاً ، ولنبدأ بأعلاها حتى ننتهي إلى أسفلها .

أما طولها فيتناسب مع طول حبيبها ، وأما عرضها فيتلاءم مع عرض زوجها ، وأما الحلل التي عليها فهي من سندس وإستبرق وحرير ، بألوان خضراء وحمراء وغير ذلك ، مع الشفافية والصفاء ، مكللة بالياقوت والزبرجد واللؤلؤ . أما التيجان على رأسها فخير من الدنيا وما فيها ، عليه ألوان وأنواع لا تحصى من الجواهر . وخمارها على رأسها خير من الدنيا وما فيها . وشعرها طويل ناعم ، صُفٌ بطريقة فاتنة ساحرة ، ينفجر منه الريح ، وينبثق منه النور والجمال ، لو أن طاقة من شعرها بدت لملأت ما بين المشرق والمغرب من طيب ريحها .

وأما وجهها فيعجز اللسان عن وصفه ، ويعجز الكلام عن بيانه ، ويعجز العقل عن تصوره ، فلو أخرجتِ الحور وجهها لأضاء حسنها ما بين السماء والأرض ، فنور وجوههن من نور الله عز وجل . ولو أن يدًا من الحور ، بياضها وخواتيمها ، دُلّيتْ من السماء ، لأضاءتْ لها الأرض كما تضيء الشمس لأهل الدنيا ، هذه يدها ، فكيف بالوجه بياضه

وحسنه وجماله ، وتاجه وياقوته ، ولؤلؤه وزبرجده .

وما أدراك ما الجبهة اتساعاً وجمالاً ونوراً ، ثم ما أدراك ما العين ، إنها الحوراء العيناء ، شديدة بياض بياض العين ، شديدة سواد سواد العين ، يحار الطرف في حسن عينها ، عظيمة العين مع اتساع ، ومع كل هذا فهي قاصرة الطرف على زوجها . أما الحاجب فرقيق واسع أسود ، والأنف ضيق ، والفم أيضا ، فمجمع الجمال والحسن ، جمال الشفة ، وجمال الأسنان ، وجمال الصوت والنغمات . يسطع نور في الجنة ، لم يبق موضع من الجنة إلا دخله من ذلك النور ، فإذا رفعوا رؤوسهم وجدوه من ثغر حوراء ، ضحكت في وجه زوجها .

وأما ريقهُّا فعذب ، أحلى من العسل ، وأطيب رائحة من المسك ، لو أن حوراء بصقت في بحر لعذب ذلك البحر من عذوبة ريقها ، بل لو أن امرأة من نساء أهل الجنة بصقت في سبعة أبحر ، لكانت تلك الأبحر أحلى من العسل . وأما كلامها فهو السحر الحلال ، وهي قصيرة اللسان عن كثرة الكلام . وأما صوتها وغناؤها ، فلو أن الله كتب على أوليائه الموت لماتوا جميعا من جمال صوتها ، فيا لروعة نغماتها ، ويا لجماله . وأما رائحة فمها ، فلو أن امرأة من نساء أهل الجنة أشرقتْ لملأتْ الأرض ريح مسك ، ولأذهبتْ ضوء الشمس والقمر .

وأما عنقها ، فكأنه الياقوت والمرجان ، ترى وجهك في جيدها ، أصفى من المرآة ، وإن لؤلؤة عليها لتضيء ما بين المشرق والمغرب ، وإنه ليكون عليها سبعون ثوباً ، ينفذها بصرك حتى ترى مخ ساقها من وراء ذلك . وأما الثدي ، فكواعب أتراباً ، فثدي الحوراء لا يتدلى ، وإنما هو كالتفاح ، مكعب بدون زوايا ، نواهد مستديرة ، كالرمان . وأما الكبد فمرآة صافية ، كبدك لها مرآة ، وكبدها لك مرآة .

وأما صدرها ووسطها وسرتها ، أعلاها وأسفلها ، وفخذاها ، وكتفاها ، وعضدها ، ومرفقاها ، وساعداها ، وركبتاها ، وقدمها ، فشيء يعلو على الخيال ، ولذا لم يرد فيه وصف عن الكبير المتعال ، ولا النبي سيد الرجال . وأما أصابعها ، فأحدها أجمل وأشد ضوءاً من الشمس والقمر ، لو أن بعض بنانها بدا لغلب ضوؤُه ضوءَ الشمس والقمر . وأما أسفلها

فهي عظيمة جسم المقعدة ، مع رقة وصفاء ، ولين ولطف ، وإن الواحدة منهن لتأخذ مقعدتها قدر ميل .

فالحور العين خُلِقتْ من ثلاثة أشياء: أسفلهن من المسك ، وأوسطهن من العنبر ، وأعلاهن من الكافور ، وشعورهن وحواجبهن سواد خط من نور . يخلقهن الله من قضبان العنبر والزعفران ، مضروبات عليهن الخيام . أول ما يخلق الله منهن نهداً من مسك أذفر أبيض ، عليه يلْتامُ البدن . ومنهن من خَلَقَ اللهُ من أصابع رجليها إلى ركبتيها من الزعفران ، ومن ركبتيها إلى ثديها من المسك الأذفر ، ومن ثديها إلى عنقها من العنبر الأشهب ، ومن عنقها إلى رأسها من الكافور الأبيض ، عليها سبعون ألف حلة ، مثل شقائق النعمان . إذا أقبلت يتلألأ وجهها نوراً ساطعاً كما تتلألأ الشمس لأهل الدنيا ، وإذا أدبرت يرى كبدها من رقة ثيابها وجلدها ، في رأسها سبعون ألف ذؤابة من المسك الأذفر ، لكل ذؤابة منها وصيفة ترفع ذيلها .

مكتوب في نحرها: أنت حبي وأنا حبك ، لست أبغي بك بدلا ، ولا عنك معدلا ، كبدها مرآتك ، وكبدك مرآتها ، ترى مخ ساقها من وراء لحمها وحليها ، كما ترى الشراب الأحمر في الزجاجة البيضاء ، وكما ترى السلك الأبيض في جوف الياقوتة الصافية .

وإن نساءً من الحور العين في خيمة من درة مجوفة ، حورٌ مقصوراتٌ في الخيام ، على كل امرأة منهن سبعون حلة ، ليس منها حلة على لون الأخرى ، وتعطى سبعين لوناً من الطيب ، ليس منهن لون على ريح الآخر ، لكل امرأة منهن سبعون سريراً من ياقوتة حمراء ، موشحة بالدر والياقوت ، على كل سرير سبعون فراشاً ، على كل فراش أريكة ، ولكل امرأة منهن سبعون ألف وصيفة لحاجتها ، وسبعون ألف وصيف ، مع كل وصيف صحفة من ذهب ، فيها لون من طعام ، تجد لآخر لقمة لذة ما لا تجد لأوله ، وتُعطى زوجها مثل ذلك ، على سرير من ياقوت أحمر ، عليك سواران من ذهب ، موشح بياقوت أحمر ، هذا بكل يوم صمتَه من شهر رمضان ، سوى ما عملتَ من الحسنات .

سماع صوتها لا مثيل له في الوجود!!!:

فتأمل معى أخى الحبيب هذا النعيم العظيم، من سماع صوتها الذي لا مثيل له في الوجود، ولا نظير له في الخلود، فما أروع صوتها، وما أجمل طربها. فأنت تستمع لغناء الحور العين عند باب الجنة، فهن يتلقين أزواجهن عند أبواب الجنة، فيقلن: طالما انتظرناكم، فنحن الراضيات فلا نسخط، ونحن المقيمات فلا نظعن، ونحن الخالدات فلا نموت، بأحسن أصوات سُمِعَتْ، وتقول: أنت حبي وأنا حبك، ليس دونك تقصير، ولا وراءك معدل. فإذا ما دخلتَ قصرك، استمعتَ إلى غناء الحور العين، ففي الجنة مجتمع للحور العين، يرفعن بأصوات لم تَسمع الخلائق بمثلها، ويقلن: نحن الخالدات فلا نبيد، ونحن الناعمات فلا نبأس، ونحن الراضيات فلا نسخط، طوبى لمن كان لنا وكنا له. وتَستمتع بلذة السماع عند الأنهار وأنتَ تأكل وتشرب، ففي الجنة نهر طوله طول الجنة، حافتاه العذارى، قيام متقابلات، يغنين بأصوات حتى يسمعها الخلائق، ما نرى لذة مثلها، وإنه إن شاء الله التسبيح والتحميد والتقديس، وثناء على الرب عز وجل. ولنا في الجنة لقاءات عند بعض الأشجار، تحتها الجواري الحسان، يغنين بأصوات متعددة، وألحان متنوعة. منها أن في الجنة شجر حمله اللؤلؤ والزبرجد، وتحته جوار ناهدات، يتغنين بألوان، يقلن: نحن الناعمات فلا نبأس، ونحن الخالدات فلا نموت، فإذا سمع ذلك الشجر صفق بعضه بعضاً، فأجبن الجواري، فلا ندري أأصوات الجواري أحسن أم أصوات الشجر.

يا الله!! ويمتد أثر صوت الحوراء الجميل إلى أشجار الجنة، حتى إن الأشجار لتُزهر وتُورِد من تسبيح الحوراء، بل إذا سبَّحتِ المرأة من الحور العين لم يبق في الجنة شجرة إلا وردّت.

وإذا كان يوم القيامة نادى منادٍ: أين الذين كانوا يُنَزِّهون أسماعهم وأنفسهم عن مجالس اللهو ومزامير الشيطان؟ أسكنوهم رياض المسك، أسمعوهم تمجيدي وتحميدي. ويأمر بمنبر رفيع، فيوضع في الجنة، ثم ينادي: يا داود مجدني بذلك الصوت الرخيم الحسن الذي كنت تمجدني به في دار الدنيا، فيستفرغ صوت داود

نعيم أهل الجنان . ويقول الله عز وجل للملائكة: إن عبادي كانوا يحبون الصوت الحسن في الدنيا ، فيدَعونه من أجلي ، فأَسْمِعوا عبادي ، فيأخذوا بأصوات من تهليل وتسبيح وتكبير ، لم يسمعوا بمثله قط .

وفي الجنة شجرة ، ثمرها زبرجد وياقوت ولؤلؤ ، فيبعث الله ريحا فتُصفّق ، فتُسمَع لها أصوات لم يُسمَع ألذ منها . وفيها آجام من قصب من ذهب ، حملها اللؤلؤ ، فإذا اشتهى أهل الجنة أن يَسمَعوا صوتا حسنا بعث الله على تلك الآجام ريحا ، فتأتيهم بكل صوت يشتهونه .

ولنا سماع أعلى من هذا ، يضمحل دونه كل سماع ، وذلك حين نسمع كلام الرب جل جلاله ، وخطابه وسلامه علينا ، ومحاضرته لنا ، يقرأ علينا كلامه ، فإذا سمعناه منه فكأننا لم نسمعه من قبل ، تلذ به آذاننا ، وتقر به أعيننا ، إذ ليس في الجنة لذة أعظم من النظر إلى وجه الرب تبارك تعالى ، وسماع كلامه منه ، ولا نعطى في الجنة شيئا أحب إلينا من ذلك ، حيث ندخل كل يوم مرتين على الجبار جل جلاله ، فيقرأ علينا القرآن ، وقد جلس كل امرئ منا مجلسه الذي هو له ، على منابر الدر ، والياقوت والزبرجد ، والذهب والزمرد ، فلم تقر أعيننا بشيء أجمل منه ، ولم نسمع شيئا قط أعظم ولا أحسن منه ، ثم ننصرف إلى رحالنا ناعمين ، قريرة أعيننا إلى مثلها من الغد .

هيا معي يا طالب الجنان . . . . نشغل أنفسنا بقرآن الرحمن ، والمحافظة على الصلوات والبعد عن الفواحش والمهرجانات المفسدة ، فطهروا القلوب ونزهوا الآذان عن مزامير الشيطان . . . . . .

يا له من شغل في الجنة :

وبينما أنت يا ولي الله في الجنة مع زوجتك من الحور العين ، على سرر من ياقوت أحمر ، وعليك قبة من نور ، فتقول لها: قد اشتقت إلى مشيتك ، فتنزل من سرير الياقوت الأحمر إلى روضة مرجان أخضر ، فيُنشئ الله عز وجل لها في تلك الروضة طريقين من نور ، أحدهما نبت الزعفران ، والآخر نبت الكافور ، فتمشي في نبت الزعفران ، وترجع في نبت

الكافور، وتمشي بسبعين ألف لون من الغنج. وتضحك في وجهك، فيسطع نور من بين ثناياها يملأ الجنة.

وتلقى امرأةً أجمل من القمر، جمعتْ لك كل دواعي الجماع، ومع هذا تُعطَى قوة مائة رجل في الجماع. وكما أن الحوراء طاهرة مطهرة، فأنتَ أيضا طاهر مطهَّر، لا تلحقك الأمراض، ولا تنزل عليك المصائب، ولا يلحقك ضعف ولا انحلال قوة، ولو جامعتها آلاف المرات. وإنه وطء التلذذ، ومتعة ونعيم، لا آفة فيه بوجه من الوجوه، شهوتك دفعاً دفعاً، لا تنقطع أبداً، ولا مني ولا موت، ولا جنابة ولا ملل، وهذه المتعة شغلك الشاغل، وهذه الشهوة عملك الدائم، مع غيره من الشهوات والنعيم المقيم، ﴿إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِى شُغُلٍ فَٰكِهُونَ ﴿٥٥﴾ هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ فِى ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ ﴿٥٦﴾﴾ [يس: ٥٥ - ٥٦]. فشغلهم الشاغل افتضاض الأبكار.

وكيف لا تُشغَل عن الغموم والهموم، والكروب والمصائب، وعذاب أهل النار، وما هم فيه من عقاب أليم، وقد أُعطيتَ كل وسائل الترف والتمتع، ومُنع عنك أبدياً كل آفة ونقص وشقاء، وملل وتعب، وكيف لا تُشغَل بوطء الحور العين، وقد اجتمع فيك كل ما يدعو إلى هذه المتعة: من راحة الصدر، وسلامة القلب، وهدوء البال، وقوة البدن، وطول الجسد، مع قوة مائة رجل في الجماع، وشهوتك تجري في جسدك سبعين عاماً. فتطأها دهماً دهماً، وإذا قُمتَ عنها رجعتْ مطهرة بكراً.

وكيف لا تُشغَل بلذة جماع الحوراء وهي من هي في جمالها؟ وهي من هي في حسنها؟ لو أخرجت كفها على الدنيا لافتتن الخلائق بحسنها، ولو ظهرتْ أدنى لؤلؤة من اللؤلؤ الذي عليها لأضاءتْ ما بين المشرق والمغرب، ولو اطلعتْ إلى الأرض لملأتها ريحاً، وترى بياض ساقها من وراء سبعين حلة، إنها الحوراء العيناء، البيضاء الحسناء.

وكيف لا تُشغَل الحوراء بك وأنتَ أمرد أكحل، لا يفنى شبابك، ولا تبلى ثيابك، وعلى طول آدم، ستون ذراعاً في السماء، ابن ثلاث وثلاثين عاما. تعود إليك الحور مطهرة من الجنابة، مطهرة من النجاسة، مطهرة من الحدث الأصغر والأكبر، مطهرة من البول والغائط، مطهرة من الحيض والنفاس، مطهرة من المني

والمذي والودي ، مطهرة من التفل والبصاق والنخامة ، مطهرة من النظر إلى غيرك ، مطهرة من الفحش والتفحش ، والبذاء واللعن والسّب ، مطهرة من الأخلاق السيئة ، والصفات المذمومة ، ومطهرة من كل أذى وقذر .

لمن هذا النعيم المقيم؟

وأكمل الناس في هذه اللذة أصونهم لنفسه في الدنيا ، عن الزنا واللواط ، والمعانقة والتقبيل ، والمس والمصافحة ، والنظر إلى الحرام ، فكما أن من شرب الخمر في الدنيا لم يشربها في الآخرة ، ومن لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الآخرة ، ومن أكل في صحاف الذهب والفضة في الدنيا لم يأكل فيها في الآخرة ، فهي للكفار في الدنيا ، وللمؤمنين في الآخرة . فكذلك من لم يصن نفسه في الدنيا عن الزنا ومقدماته يُحرَم أن يكون كمن عفّ واستعفّ ، وصان نفسه وزكاها . فمن ترك اللذة المحرمة لله استوفاها يوم القيامة أكمل مما تكون ، ومن استوفاها هنا حُرِمَها هناك ، أو نقص كمالها ، فلا يجعل الله لذّة من وقع في معاصيه ، كلذة من ترك شهوته لله أبداً .

والذي بعث نبيه بالحق ، ما أنتم في الدنيا بأعرف بأزواجكم ومساكنكم من أهل الجنة بأزواجهم ومساكنهم . حيث تدخل -يا عبد الله- على اثنتين وسبعين زوجة مما يُنشئ الله ، واثنتين من ولد آدم ، لهما فضل على من أنشأ الله ، لعبادتهما الله عز وجل في الدنيا . تدخل على الأولى منهما في غرفة من ياقوتة على سرير من ذهب ، مكلل باللؤلؤ ، عليه سبعون زوجاً من سندس وإستبرق ، فتضع يدك بين كتفيها ، ثم تنظر إلى يدك من صدرها ، ومن وراء ثيابها وجلدها ولحمها ، وتنظر إلى وجهك في خدها ، أصفى من المرآة ، وإنك لتنظر إلى مخ ساقها ، كما تنظر إلى السلك في قصبة الياقوت ، كبدك لها مرآة ، وكبدها لك مرآة .

فبينما أنت عندها لا تملها ولا تملك ، ولا تأتيها مرة إلا وجدتها عذراء ، لا يفتر ذكرك ، ولا يشتكي قُبُلها ، فتناديك: إنا قد عرفنا أنك لا تَمِلُّ ولا تُمَل ، إلا أنه لا مني ولا منية ، إلا أن تكون لك أزواج غيرها ، فتخرج إليهن ، فتأتيهن واحدة واحدة ، كلما جاءتْ واحدة قالت: والله ما في الجنة شيء أحسن منك ، وما في الجنة شيء أحب إلي منك .

وهل أتاك نبأ شهوتك يا ولي الله، إن شهوتك لتجري في جسدك سبعين عاماً، تجد اللذة، ولا يلحقك بذلك الجنابة، ولا ضعف، ولا انحلال قوة، ولا يلحقك تعب ولا مشقة، بل وطؤك وطء التلذذ، ونعيم لا آفة فيه. وهل أتاك أن شهوتك عند اللقاء بحبيبتك لا تنقطع أبداً، فتجامع بذكر لا يمل، وشهوة لا تنقطع، دهماً دهماً، بلا مني ولا منية؛ أي لا إنزال ولا موت.

فيا حسن مواقعتها وملاطفتها عند الجماع، ويا حسن عشقها وطاعتها لزوجها، ويا حسن صورتها وعشرتها لحبيبها، ويا حلاوة حبها وغنجها لبعلها، لم لا، ونحن نعلم أن هذا غاية ما نطلب من النساء، وبه تكتمل لذتنا بهن. فالعجب العجاب لو ترى عيناك الحوراء المشحونة بأسرار لا تستطيع لها إحاطة، ولو حاولت تفسيراً لها لما استطعت، ومن هذا أنك بعد أن تجامعها تعود بكراً.

ونساء الجنة كلهن أبكار لم يمسهن أحد من الإنس أو الجن قال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾ ﴾ [الواقعة: ٣٥ - ٣٧] و(عرباً) جمع عروب وهن المتحببات إلى أزواجهن، وقال أبو عبيدة: العروب: الحسنة التبعل أي التي تحسن مواقعتها وملاطفتها لزوجها عند الجماع وقال المبرد: هي العاشقة لزوجها.

أخلاقهن:

أما أخلاقهن فإنها رفيعة عالية، جمعت طلاوة الحياء والحشمة وحلاوة التودد والبسمة وقصر الطرف وحسن الإقبال وجمال الوجه ولطافة الإهلال.

قال تعالى: ﴿ فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ ﴿٧٠﴾ ﴾ [الرحمن: ٧٠] فالخيرات جمع خيرة وحسان جمع حسنة، فهن خيرات الصفات والأخلاق والشيم، حسان الوجوه.

وقال تعالى: ﴿ حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ ﴿٧٢﴾ ﴾ [الرحمن: ٧٢] فهن محبوسات على أزواجهن لا يرين غيرهم في الخيام، ولا يردن غيرهم ولا يطمعن إلى من سواهم، بما وهبهن الله من صدق العشرة وصفاء الحب والمودة والإخلاص لأزواجهن.

وقال تعالى: ﴿ وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ عِينٌ ﴿٤٨﴾ ﴾ [الصافات: ٤٨] والطرف بتسكين الراء هو البصر. أي أنهن يقصرن أبصارهن على أزواجهن إعجاباً بهم وحبًّا.

اللذة والسماع:

نساء الجنة، مع زهو جمالهن ورقة أبدانهن ونعومة شكلهن وسحرهن وحسنهن ومع ما تحلين به من دمائه الأخلاق وحسن العشرة، قد وهبن من الأصوات أحسنها ومن الأغاني أعذبها وأطربها، قال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴿١٥﴾ ﴾[الروم: ١٤ - ١٥] قال يحيى بن أبي كثير: الحبرة: اللذة والسماع.

تبادل الحب:

مكتوب على كبدها بالنور: (حبيبي أنا لك، لا أريد بك بدلا)، فكبدها مرآته، وهي على صفاء الياقوت، وحسن المرجان، وبياض البيض المكنون، عربًا أترابًا، عاشقات لأزواجهن، لو ضحكتْ لأضاء نور ثناياها الجنة، ولو سَمع الخلائق منطقها لافتتن كل بر وفاجر، فهي قائمة بين يديه، فساقها يضعف على قدميها بمائة ألف جزء من النور، وفخذها يضعف على ساقها بمائة ألف جزء من النور، وعجزها يضعف على فخذها بمائة ألف جزء من النور، وبطنها يضعف على عجزها بمائة ألف جزء من النور، وصدرها يضعف على بطنها بمائة ألف جزء من النور، ووجهها يضعف على نحرها بمائة ألف جزء من النور، ولو تفلتْ في بحار الدنيا لعذبتْ كلها، ولو اطلعتْ من سقف بيتها إلى الدنيا لأخفى نورها نور الشمس والقمر، عليها تاج من ياقوت أحمر، مكلل بالدر والمرجان، وعلى يمينها مائة ألف قرن من قرون شعرها.

ضفائر الجمال:

وتلك القرون: قرن من نور، وقرن من ياقوت، وقرن من لؤلؤ، وقرن من زبرجد، وقرن من مرجان، وقرن من در، مكلل بالزمرد الأخضر والأحمر، مفضض بألوان الجوهر، موشح بألوان الرياحين، ليس في الجنة طيب إلا وهو تحت شعرها، الواحدة تضيء مسيرة أربعين عاما، وعلى يسارها مثل ذلك، وعلى مؤخرها مائة ألف ذؤابة من ذوائب شعرها، فتلك القرون والذوائب إلى نحرها، ثم تتدلى إلى عجزتها، ثم تتدلى إلى قدميها حتى تجره بالمسك، وعن يمينها مائة ألف وصيفة، كل وصيفة آخذة بذؤابة من ذوائب شعرها.

وصائف الجنة:

ومن بين يديها مائة ألف وصيفة، معهن مجامر من در، فيها بخور من غير نار، ويذهب ريحه في الجنة مسيرة مائة عام، حولها ولدان مخلدون، وشباب لا يموتون، كأنهم اللؤلؤ المنثور كثرة، فهي قائمة بين يديك يا ولي الله، ترى إعجابك وسرورك بها، وهي مسرورة عاشقة لك، فتقول لك: يا ولي الله، لتزدادن غبطة وسرورا، فتمشي بين يديك بمائة ألف لون من المشي، في كل مشية تتجلى في سبعين حلة من النور، والملشطة معها، فإذا مشت تتمايل وتنعطف، وتتكاسر وتدور، وتبتهج بذلك وتبتسم، فإذا مالت مالت القرون من الشعر معها، ومالت الذوائب معها، ومالت الوصائف معها، فإذا دارت درن معها، وإذا أقبلت أقبلن معها، خلقها الرحمن تبارك وتعالى خِلْقَةً إذا أقبلت فهي مُقبِلة، وإذا وَلَّتْ فهي مقبلة الوجه، لا تفارق وجهك، ولا تغيب عنك، وترى كل شيء منها.

وإذا جلستْ بعد مائة ألف لون من المشي، خرجتْ عجزتها من السرير، وتدلتْ قرونها وذوائبها، فتضطرب يا عبد الله، ولولا أن الله سبحانه وتعالى قضى أن لا موت فيها لَمُتَّ طربا، ولولا أن الله تبارك وتعالى قدَّرها لك، ما استطعتَ أن تنظر إليها، مخافة أن يذهب بصرك، فتقول لك: يا ولي الله، تمتَّع فلا موت فيها.

فلا يلهينك طول الأمل، ولا يمنينك الشباب، فإن المنايا لا تهاب وإنه بعد الشباب كهولة فهرم، وبعد الهرم موت فقبر فحساب، فإما إلى نعيم وإما إلى جحيم.

اللهم إنا نسألك الجنة وما قرب إليها من قول وعمل.... آمين.

كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ:

قال الله تعالى: ﴿ وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ ﴿٢٣﴾ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الواقعة: ٢٢ - ٢٤].

وقال تعالى: ﴿ كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ ﴿٥٨﴾ ﴾ [الرحمن: ٥٨].

وقال: ﴿ إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾ لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٣٨﴾ ﴾ [الواقعة: ٣٥ - ٣٨].

قال رسول الله ﷺ: «**إن للمؤمن في الجنة لخيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة طولها**

ستون ميلاً في كل زاوية منها للمؤمن أهل لا يراهم الآخرون يطوف عليهم المؤمن، وجنتان من فضة آنيتهما وما فيهما، وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما، وما بين القوم، وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن: أي صفة الكبرياء والعظمة فهو بكبريائه وعظمته لا يريد أن يراه أحد من خلقه حتى يأذن لهم في دخول جنة عدن فيرونه فيها»[١].

وقال: «إن في الجنة لسوقاً يأتونها كل جمعة فتهب ريح الشمال فتحثو في وجوههم وثيابهم فيزدادون حسناً وجمالاً، فيرجعون إلى أهليهم وقد ازدادوا حسناً وجمالاً، فيقول لهم أهلوهم: والله لقد ازددتم حسناً وجمالاً»[٢].

وقال: «إن أول زمرة يدخلون الجنة يوم القيامة ضوء وجوههم على مثل ضوء القمر ليلة البدر، والزمرة الثانية على مثل أحسن كوكب دري في السماء لكل رجل منهم زوجتان على كل زوجة سبعون حلة يرى مخ ساقها من ورائها»[٣].

وعن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «يعطى المؤمن في الجنة قوة كذا وكذا من الجماع» قيل: يا رسول الله أو يطيق ذلك قال: «يعطى قوة مائة»[٤].

وعن علي قال: قال رسول الله ﷺ: «إن في الجنة لمجتمعاً للحور العين بأصوات لم يسمع الخلائق مثلها يقلن: نحن الخالدات فلا نبيد، ونحن الناعمات فلا نبأس، ونحن الراضيات فلا نسخط، فطوبى لمن كان لنا وكنا له»[٥].

وقال رسول الله ﷺ: «لغدوة في سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما فيها ولقاب قوس أحدكم أو موضع يده في الجنة خير من الدنيا وما فيها ولو أن واحدة من نساء أهل الجنة اطلعت إلى أهل الأرض لأضاءت ما بينهما ولملأت ما بينهما ريحاً ولنصيفها على رأسها

---

(١) صحيح مسلم.
(٢) صحيح مسلم.
(٣) رواه الترمذي.
(٤) رواه النسائي.
(٥) سنن الترمذي.

خير من الدنيا وما فيها»[١] .

قال في الصحاح: النصيف: الخمار .

وقال رسول اللّه ﷺ : **«أدنى أهل الجنة الذي لـه ثمانون ألف خادم واثنتان وسبعون زوجة وتنصب لـه قبة من لؤلؤ وزبرجد وياقوت، كما بين الجابية إلى صنعاء»**[٢] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قيل: يا رسول الله أنفضي إلى نسائنا في الجنة؟ فقال: **«أي والذي نفسي بيده إن الرجل ليفضي في اليوم الواحد إلى مائة عذراء»**[٣] .

وعن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ : **«أهل الجنة إذا جامعوا نساءهم عادوا أبكاراً»** [٤] .

وعن المغيرة بن شعبة ، عن النبي ﷺ قال: **«سأل موسى عليه السلام ربه ما أدنى أهل الجنة منزلة؟ قال: هو رجل يجيء بعدما أدخل أهل الجنة الجنة، فيقال لـه: ادخل الجنة، فيقول: أي رب وكيف وقد نزل الناس منازلهم، وأخذوا أخذاتهم، فيقال لـه: أترضى أن يكون لك مثل ملك من ملوك الدنيا فيقول: رضيت رب، فيقول: هذا لك وعشرة أمثاله، ولـك ما اشتهت نفسك ولذت عينك، فيقول: رضيت رب،قال: رب فأعلاهم منزلة، قال: أولئك الذين غرست كرامتهم بيدي وختمت عليها فلم تر عين، ولم تسمع أذن، ولم يخطر على قلب بشر»**[٥] .

قال: ومصداقه من كتاب الله تعالى: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾ [السجدة: ١٧] .

وعن أبي سعيد الخدري رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ : **«إن اللّه تعالى يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة، فيقولون: لبيك ربنا وسعديك والخير في يديك فيقول: هل رضيتم؟**

---

(١) سنن الترمذي .
(٢) سنن الترمذي .
(٣) مسند البزار .
(٤) مسند البزار .
(٥) صحيح مسلم .

فيقولون: وما لنا لا نرضى يا رب وقد أعطيتنا ما لم تعط أحداً من خلقك فيقول: ألا أعطيكم أفضل من ذلك، فيقولون: ياربنا وأي شيء أفضل من ذلك؟ فيقول: أحل لكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبداً» (١).

إخواني: اتركوا الدنيا واكدحوا للآخرة وارفضوا حب نساء الدنيا واشتروا الحور الفاخرة فإنها تدرك بأيسر الأثمان وتكون معكم مخلدة في الجنان.

وروي عن مالك بن دينار رضي الله عنه أنه كان يوماً ماشياً في أزقة البصرة، فإذا هو بجارية من جواري الملوك راكبة ومعها الخدم، فلما رآها مالك نادى: أيتها الجارية أيبيعك مولاك؟ فقالت: كيف قلت يا شيخ؟ قال: أيبيعك مولاك؟ قالت: ولو باعني أكان مثلك يشتريني قال: نعم وخيراً منك، فضحكت وأمرت به أن يحمل إلى دارها، فحمل فدخلت إلى مولاها فأخبرته فضحك وأمر أن يدخل به إليه، فأدخل، فألقيت له الهيبة في قلب السيد، قال: ما حاجتك فقال: بعني جاريتك، قال: أو تطيق أداء ثمنها؟ قال: ثمنها عندي نواتان مسوستان فضحكوا، قال: وكيف كان ثمنها عندك هذا؟ قال: لكثرة عيوبها، قال: وما عيوبها. قال: إن لم تتعطر دفرت، وإن لم تستك بخرت، وإن لم تتمشط وتدهن قملت وشعنت، وإن تعمرت عن قليل هرمت، ذات حيض وغائط وبول وأقذار وحزن وغم وأكدار، ولعلها أن لا تودك إلا لنفسها، ولا تحبك إلا لتنعمها، لا تفي بعهدك، ولا تصدق في ودك، ولا يخلف عليها أحد بعدك إلا رأته مثلك، وأنا آخذ بون ما سألت في جاريتك من الثمن جارية خلقت من سلالة الكافور ومن المسك والجوهر والنور لو مزج ريقها أجاج البحر لطاب، ولو دعي بكلامها ميت لأجاب، ولو بدا معصمها للشمس لأظلمت دونه وكسفت، ولو بدا في الظلماء لأنارت به وأشرقت، ولو واجهت الآفاق بجليها وحللها لتعطرت به وتزخرفت، نشأت من بين رياض المسك والزعفران وقضبان الياقوت والمرجان، وقصرت في خيام النعيم وغذيت بماء التسنيم، لا تخلف عهدها، ولا تبدل ودها، فأيهما أحق بدفع الثمن؟ قال:

---

(١) صحيح مسلم.

التي وصفت ، قال: فإنها الموجودة الثمن القريبة الخطب من كل زمن قال: فما ثمنها رحمك الله؟

قال: أيسر المبذول لنيل الخير المأمول أن تتفرغ ساعة في ليلك فتصلي ركعتين تخلصهما لربك ، وأن يوضع طعامك فتذكر جائعاً فتؤثره لله تعالى على شهوتك ، وأن ترفع حجراً أو قذراً ، وأن تقطع أيامك بالبلغة والقلة ، وترفع همك عن دار الغرور والغفلة فتعيش الدنيا بعز القناعة ، وتأتي إلى موقف الكرامة آمناً غداً ، وتنزل الجنة دار النعيم في جوار المولى الكريم مخلداً .

فقال: يا جارية أسمعت ما قال شيخنا هذا؟ قالت: نعم قال: أفصدق أم كذب قالت: بل صدق وبر ونصح ، قال: فأنت إذاً حرة لله تعالى ، وضيعة كذا وكذا دقة عليك ، وأنتم أيها الخدم أحرار وضيعة كذا وكذا لكم ، وهذه الدار بما فيها صدقة مع جميع مالي في سبيل الله ، ثم مد يده إلى ستر خشن كان على بعض أبوابها فاجتذبه وخلع جميع ما كان عليه واستتر به فقالت الجارية: لا عيش بعدك يا مولاي فرمت بكسوتها ولبست ثوباً خشناً وخرجت معه فودعهما مالك بن دينار ودعا لهما ، وأخذ طريقاً وأخذا طريقاً غيره فتعبدا جميعاً حتى جاء الموت فنقلهما على حال العبادة .

أبواب الجنة :

قال تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا ﴾ [الزمر: ٧٣] قال رسول الله ﷺ : «**وما منكم من أحد يتوضأ فيبلغ أو فيسبغ الوضوء،ثم يقول: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، إلا فتحت لـه أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء**»[1] ، وكيف لا يكون لها أبواب كثيرة: وهي التي عرضها السماء والأرض قال تعالى: ﴿ سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾ [الحديد: ٢١] [2] .

فهي جنة عالية غالية عظيمة ذات أبواب واسعة عظيمة تليق بسعتها وتدل على علو منزلتها وقدرها . قال رسول الله ﷺ : «**إن ما بين المصراعين في الجنة مسيرة أربعين سنة،**

---

(١) مسلم .

(٢) الحديد ٢١ .

يزاحم عليها كازدحام الإبل وردت لخمس ظما»[1] .

ولقد جعل الله لكل باب أهلاً ، فهناك باب للتوابين ، وباب للمتصدقين وباب للمجاهدين وباب للكاظمين الغيظ وباب للصائمين . قال رسول الله ﷺ: «**من أنفق زوجين في سبيل الله نودي في الجنة: يا عبد الله هذا خير.فمن كان من أهل الصلاة دعي من باب الصلاة، ومن كان من أهل الجهاد دعي من باب الجهاد، ومن كان من أهل الصدقة دعي من باب الصدقة، ومن كان من أهل الصيام دعي من باب الريان**» فقال أبو بكر: يا رسول الله ، ما على أحد من هذه الأبواب من ضرورة ، فهل يدعى أحد من هذه الأبواب؟ قال: «**نعم ! وأرجو أن تكون منهم**»[2] ، فهلا اخترت أخي الحبيب . باباً من هذه الأبواب العظيمة؟ وهلا نسجت مفتاحها بجميل الطاعة وزاد التقوى؟

واعلم أن مفتاح الجنة إنما هو توحيد الله جل وعلا وتحقيق لا إله إلا الله ، فقد قال رسول الله ﷺ : «**من قال: لا إله إلا الله خالصاً من قلبه دخل الجنة**» . وسئل الحسن البصري: أن ناسا يقولون من قال: لا إله إلا الله دخل الجنة فقال: من قالها وأدى حقها وفرضها .

فتوحيد الله مفتاح الجنة ، وأسنان ذلك المفتاح هي الأعمال الصالحة كأداء الفرائض والقيام بالواجبات والنوافل وسائر القربات .فاعمل -يا عبد الله - فمادة المفتاح بين يديك ومهارة صناعته قد فصلت لك أيما تفصيل فإن رغبت عن ذلك فلم نفسك يوم العرض على الله .

واعلم أنه عندما يفزع الناس يوم القيامة يأتون إلى النبي ﷺ ، فيقولون: يا محمد ، أنت رسول الله وخاتم الأنبياء ، وقد غُفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ، اشفع لنا إلى ربك ، ألا ترى ما نحن فيه! يقول النبي ﷺ : «**فأنطلق، فآتي تحت العرش، فأخر ساجدا لربي، ثم يفتح الله علي من محامده وحسن الثناء عليه شيئا لم**

---

(١) السلسلة الصحيحة للألباني .

(٢) البخاري ومسلم .

يفتحه علي أحد قبلي، ثم يُقال: يا محمد، ارفع رأسك، سل تعطه، واشفع تشفع، فأرفع رأسي، فأقول: يا رب أمتي، يا رب أمتي، يا رب أمتي، فيقول: يا محمد، أدخل من أمتك من لا حساب عليه من الباب الأيمن من أبواب الجنة، وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب، ثم قال: والذي نفسي بيده، ما بين المصراعين من مصاريع الجنة كما بين مكة وهجر، وكما بين مكة وبصرى. وإن للجنة لثمانية أبواب، ما منهما بابان إلا يسير الراكب بينهما سبعين عاما، ومنها باب تدخل منه أمة محمد ﷺ، عرضه مسيرة الراكب المجود ثلاثا، ثم إنهم ليضغطون عليه حتى تكاد مناكبهم تزول».

وهي موزعة: فمن كان من أهل الصلاة دعي من باب الصلاة، ومن كان من أهل الجهاد دعي من باب الجهاد، ومن كان من أهل الصدقة دعي من باب الصدقة، ومن كان من أهل الصيام دعي من باب الريان، وقد يدعى المؤمن من هذه الأبواب كلها. وعزةِ الله وجلاله، لو كان العبد المؤمن في الدنيا أقطع اليدين والرجلين، وسُحِبَ على وجهه منذ يوم خلقه الله إلى يوم القيامة، ووقف على أحد هذه الأبواب، لكان كأنه ما رأى بؤسا قط.

ولما كانت الجنات درجات، بعضها فوق بعض، كانت أبوابها كذلك، وباب الجنة العالية فوق باب الجنة التي تحتها، وكلما علت الجنة اتسعت، فعاليها أوسع مما دونه، وسعة الباب بحسب سعة الجنة، فمنها ما بين مصراعيه مسيرة أربعين عاما، ومنها ما بين مصراعيه مسيرة سبعين عاما، ومنها ما بين مصراعيه كما بين مكة وهجر، ومنها ما بين مصراعيه كما بين مكة وبصرى، ومنها ما عرضه مسيرة الراكب المجود ثلاثا. يُرى ظاهرها من باطنها، وباطنها من ظاهرها، تتكلم وتُكَلَّم، وتَفهم ما يقال لها، انفتحي انغلقي، اللهم إنا نسألك رضاك والجنة ونعوذ بك من سخطك والنار...

أول من يدخل الجنة:

يقول النبي ﷺ: **«أنا أول من يدخل الجنة يوم القيامة ولا فخر، وآتي باب الجنة فآخذ بحلقتها، فيقولون: من هذا؟ فأقول: أنا محمد. فيفتحون لي، فأدخل،**

فأجد الجبار مستقبلي، فأسجد له، فيقول: ارفع رأسك يا محمد، وتكلم يُسمع منك، وقل يُقبل منك، واشفع تُشفَّع، فأرفع رأسي، فأقول: أمتي أمتي يا رب، فيقول: اذهب إلى أمتك، فمن وجدتَ في قلبه مثقال حبة من شعير من الإيمان فأدخله الجنة، فأذهب، فمن وجدتُ في قلبه مثقال ذلك أدخلتهم الجنة. فأجد الجبار مستقبلي، فأسجد له، فيقول: ارفع رأسك يا محمد، وتكلم يُسمع منك، وقل يُقبل منك، واشفع تُشفَّع، فأرفع رأسي، فأقول: أمتي أمتي يا رب، فيقول: اذهب إلى أمتك، فمن وجدتَ في قلبه مثقال حبة من خردل من الإيمان فأدخله الجنة، فأذهب، فمن وجدتُ في قلبه مثقال ذلك أدخلتهم الجنة. وفرغ من حساب الناس، وأدخل من بقي من أمتي في النار مع أهل النار. فيقول أهل النار: ما أغنى عنكم أنكم كنتم تعبدون الله ولا تشركون به شيئًا. فيقول الجبار: فبعزتي لأعتقنهم من النار. فيرسل إليهم، فيخرجون من النار وقد امتحشوا، فيدخلون في نهر الحياة، فينبتون فيه كما تنبت الحبة في غثاء السيل، ويكتب بين أعينهم (هؤلاء عتقاء الله)، فيذهب بهم فيدخلون الجنة. فيقول لهم أهل الجنة: هؤلاء الجهنميون. فيقول الجبار: بل هؤلاء عتقاء الجبار). وبشرني أن أول من يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفا، مع كل ألف سبعون ألفا ليس عليهم حساب. وأعطاني الكوثر، فهو نهر من الجنة، يسيل في حوضي، وأعطاني أني أول الأنبياء أدخل الجنة».

وأبو بكر أول من يدخل الجنة من أمة محمد ﷺ، والمملوك إذا أطاع الله وأطاع سيده، والفقراء والمهاجرون الذين تُسد بهم الثغور، ويُتقى بهم المكاره، ويموت أحدهم وحاجته في صدره لا يستطيع لها قضاء، يدخلون الجنة قبل الأغنياء بنصف يوم؛ وذلك خمس مائة عام. فيقول الله عز وجل لمن يشاء من ملائكته: ائتوهم فحيوهم. فتقول الملائكة: نحن سكان سمائك، وخيرتك من خلقك، أفتأمرنا أن نأتي هؤلاء فنسلم عليهم! قال: إنهم كانوا عبادا يعبدوني لا يشركون بي شيئا، وتُسد بهم الثغور، ويُتقى بهم المكاره، ويموت أحدهم وحاجته في صدره لا يستطيع لها قضاء. فتأتيهم الملائكة عند ذلك، فيدخلون عليهم من كل باب،

ويقولون: ﴿ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الرعد: ٢٤][1].

وإن أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر، والذين يلونهم على أشد كوكب دري في السماء إضاءة، يتلقى كل واحد منهم سبعون ألف خادم كأنهم اللؤلؤ، لا يبولون ولا يتغوطون، ولا يمتخطون ولا يتفلون، أمشاطهم الذهب، ورشحهم المسك، ومجامرهم الألوة، وأزواجهم الحور العين، أخلاقهم على خلق رجل واحد، على صورة أبيهم آدم؛ ستون ذراعا في السماء، لكل رجل منهم زوجتان اثنتان، يرى مخ ساقهما من وراء اللحم، وما في الجنة أعزب.

والذي نفس محمد بيده، إنه ليرجو أن تكون أمته نصف أهل الجنة، وذاك أن الجنة لا يدخلها إلا نفس مسلمة، وما نحن من أهل الشرك إلا كالشعرة البيضاء في جلد الثور الأسود، أو الشعرة السوداء في جلد الثور الأحمر، فأبشروا إخوانى وأروا الله منكم خيرا، وأطيعوا أوامره وابتعدوا عن نواهيه.

مصافحة الملائكة:

فتقول الملائكة: أما وعزة ربنا وجلاله ما ضحكنا منذ خلقنا إلا معكم، ولا هزلنا إلا معكم، فهنيئا لكم، هنيئا بكرامة ربكم، فلما ودعونا وانصرفوا عنا دخلنا قصورنا، فليس أحد منا إلا وقد وجد الله عز وجل قد جمع له في قصره أمنيته التي تمنى، وإذا على كل قصر منها باب يفضي إلى واد أفيح من أودية الجنة، محفوفة تلك الأودية بجبال من الكافور الأبيض. وكذلك جبال الجنة، وهي معادن الجوهر والياقوت والفضة، فارعة أفواهها في بطون تلك الأودية، في بطن كل واحد منها أربع جنان: جنتان ذواتا أفنان، فيهما عينان تجريان، فيهما من كل فاكهة زوجان، وجنتان مدهامتان، فيهما عينان نضاختان، وفيهما فاكهة ونخل ورمان، وحور مقصورات في الخيام، لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان، كأنهن الياقوت والمرجان.

فتتبوأ تلك المنازل، فيستقر قرارنا، فيزورنا ربنا تبارك وتعالى في ملائكته، فيقول لنا:

---

(١) الرعد ٢٤.

هل وجدتم ما وعد ربكم حقا؟ فنقول: نعم، فيقول: كيف وجدتم ثواب ربكم؟ فنقول: ربنا رضينا فارض عنا، فيقول لنا الجليل جل جلاله: برضائي عنكم نظرتم إلى وجهي، وسمعتم كلامي، وحللتم داري، وصافحتم ملائكتي، فهنيئا هنيئا عطائي لكم، ليس فيه نكد ولا تكدير، فنقول: ﴿ ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿٣٥﴾ ﴾ [فاطر: ٣٥].

عدد الجنات وأسماؤها:

لما خلق الله عز وجل الجنات يوم خلقها وفضل بعضها على بعض، جعلها سبع جنات، دار الخلد، ودار السلام، وجنة عدن، وهي قصبة الجنة، وهي مشرفة على الجنان كلها، وهي دار الرحمن تبارك وتعالى، ليس كمثله شيء، ولا يشبه شيء، ولباب جنات عدن مصراعان: من زمرد وزبرجد من نور، كما بين المشرق والمغرب، وجنة المأوى، وجنة الخلد، وجنة الفردوس، وجنة النعيم، سبع جنات خلقها الله عز وجل من النور كلها، مدائنها وقصورها، وبيوتها وشُرَفِها، وأبوابها ودرجها، وأعلاها وأسفلها، وآنيتها وحليُّها، وجميع أصناف ما فيها من الثمار المتدلية، والأنهار المطرزة بألوان الأشربة، والخيام المشرفة، والأشجار الناضرة بألوان الفاكهة، والرياحين العبقة، والأزهار الزاهرة، والمنازل البهية.

دار السلام:

وندخل دار السلام، ودار السلام من الياقوت كلها، أزواجها وخدمها، وآنيتها وأسرتها، وحجالها وقصورها، وخيامها ومدائنها، ودرجها وغرفها وأبوابها، وثمارها من اللؤلؤ والياقوت، فنرى ربنا فيها، فيعطينا الله خواتم من ذهب نلبسها، وهي خواتم الخلد، ثم يعطينا خواتم من در وياقوت ولؤلؤ، فنلبسها.

جنة عدن:

وندخل جنة عدن، وهي من الزبرجد كلها، على هذه الصفة، فيها روضة عظيمة، لم نر أعظم منها ولا أحسن، خلقها الله عز وجل بيده، ودلى فيها ثمارها،

وشق فيها أنهارها ، وجعلها لبنة من درة بيضاء ، ولبنة من ياقوتة حمراء ، ولبنة من زبرجدة خضراء ، ملاطها مسك ، حشيشها الزعفران ، حصباؤها اللؤلؤ ، ترابها العنبر ، وهي مدينة مبنية بلبن ذهب ولبن فضة ، فيها نهر معترض يجري ، كأن ماؤه المحض في البياض ، والأنهار فيها تشخب ، ثم تصدع بعد ذلك أنهارا . نكون فيها في أحسن صورة ، في قصر مثل الربابة البيضاء ، ليس بيننا وبين أن ننظر إلى ربنا عز وجل إلا رداء الكبرياء على وجهه . وجنة المأوى من الذهب الأحمر ، بجميع ما فيها ، على هذه الصفة .

جنة الخلد :

وندخل جنة الخلد ، وهي من الفضة البيضاء ، بجميع ما فيها على هذه الصفة . والجنات كلها مائة درجة ، ما بين الدرجتين خمسمائة عام . حيطانها لبنة من ذهب ، ولبنة من فضة ، ولبنة من ياقوت ، ولبنة من زبرجد ، ملاطها المسك ، وقصورها الياقوت ، وغرفها اللؤلؤ ، ومصارعها الذهب ، وأرضها الفضة ، وحصباؤها المرجان ، وترابها المسك ، أعدها الله عز وجل لأوليائه ، ينادي الله جل جلاله: يا أوليائي ، جوزوا الصراط بعفوي ، وادخلوا الجنة برحمتي ، واقتسموها بأعمالكم ، فلكم صنعت ثمار الفردوس ، ولكم نصبت شجرة الخلد ، ولكم بنيت القصور التي أُسست بالنعيم ، وشُرِّفت بالملك والخلود .

جنة الفردوس :

وندخل جنة الفردوس ، وهي أعلا الجنان سُمُوّا ، وأوسعها محلا ، ومنها تفجر أنهار الجنة ، وعليها يوضع العرش يوم القيامة ، فجنان الفردوس أربع: اثنتان من ذهب ، حليتهما وآنيتهما وما فيهما ، واثنتان من فضة ، آنيتهما وحليتهما وما فيهما .

درجات أهل الجنة :

ويصعد في درجاتها ، وفي الجنة مائة درجة ، أعدها الله عز وجل للمجاهدين في سبيله ، بين كل درجتين كما بين السماء والأرض ، وما بين كل درجتين مائة عام ، لو أن العالمين اجتمعوا في إحداهن لوسعتهم ، أفضلها الفردوس ؛ فهي وسط الجنة ، وأعلى الجنة ، وفوقها عرش الرحمن عز وجل ، ومنه تفجر أنهار الجنة .

وأعلاها الوسيلة، فإنها درجة في أعلى الجنة، لا ينالها إلا رجل واحد، نرجو أن يكون نبينا محمد ﷺ هو ذاك الرجل.

وأدنى درجات الجنة من له من الجنة مسيرة خمسمائة عام، ويزوج خمسمائة حوراء، وأربعة آلاف بكر، وثمانية آلاف بيت، وإنه ليعانق الزوجة عُمْر الدنيا فلا يتأخر واحد منها عن صاحبه، وإنه لتوضع المائدة بين يديه فلا ينقضي شبعه عُمْر الدنيا، وإنه ليوضع الإناء على فيه فلا ينقضي ريه عُمْر الدنيا، وإنه ليأتيه ملك بين أصبعيه مائة حلة، تحية من ربه تبارك وتعالى، فيلقيها على بدنه، فيقول العبد: الحمد لله، وتبارك ربي وتعالى، فما عجبت كإعجابي بهذه الهدية. فيقول المَلَك: أعجبتْك؟ فيقول: نعم، فيبادر المَلَك أدنى شجرة من جنة الخلد، فيقول: أنا رسول ربكِ إليك، تكوني لولي الله ما أحب، فتتلون له على ما يشتهي.

ويؤتى بقارئ القرآن، فيعطى المُلْك بيمينه، والخُلْد بشماله، ويوضع على رأسه تاج الوقار، ويُكسى والداه حلتين، لا يقوم لهما الدنيا، فيقولان: بم كُسينا هذا؟ فيُقال لهما: بأخذ ولدكما القرآن، ثم يقال له: اقرأ واصعد في درج الجنة وغرفها، فهو في صعود ما دام يقرأ أو يرتل.

وإن الرجل من أهل عليين ليشرف على أهل الجنة، فتضيء الجنة لوجهه، كأنها كوكب دري، وإن من تحتهم يراهم كما يرى النجم الطالع في أفق السماء.

وفي الجنة ملوك، ومَلِكُها رجل ضعيف مستضعف، ذو طمرين، لا يؤبه له، لو أقسم على الله لأبره. يشمون رائحة الجنة، حتى قبل دخولها، كلٌ حسب درجته، فمنهم من يشم رائحتها من مسافة ألف عام، ومنهم من يشم رائحتها من مسافة خمسمائة عام، ومن مسافة مائة عام، ومن مسافة سبعين عاما، ومن مسافة أربعين عاما، كل حسب عمله.

أخي الكريم: لقد خلق الله الجنة وأورثها عباده الصالحين وجعلهم فيها متفاضلين متفاوتين، ولذلك كانت الجنة درجات يفضل بعضها بعضًا، وكل ذلك كان فضلاً من ربك وعدلاً.. ليشمر ويثابر من اشتاقت نفسه إلى الجنة وعلت همته لأعلى درجاتها،

في ذلك النعيم المقيم . قال تعالى: ﴿ وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾ ﴾ [طه: ٧٥] فالإيمان والعمل الصالح هما طريق الفردوس فكلما كان إيمانك- أخي الكريم- عالياً ثابتاً كانت منزلتك رفيعة في تلك الدرجات ، وإنما يتفاوت المؤمنون المتقون في ذلك بحسب إيمانهم وتقواهم قال تعالى: ﴿ مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْءَاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾ كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ وَلَلْءَاخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴿٢١﴾ ﴾ [الإسراء: ١٨ - ٢١] فهنا بين الله سبحانه أن أهل الآخرة يتفاضلون فيها أكثر مما يتفاضل الناس في الدنيا وأن درجات الآخرة أكبر من درجات الدنيا .

واعلم أخي الكريم: أن تفاضل الجنان يشمل التفاضل بين خيراتها من أبنية وعيون وأشجار وفواكه ونساء . قال تعالى: ﴿ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٣﴾ ﴾ [الرحمن: ١٣] ، وبعد وصفهما قال سبحانه: ﴿ وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٦٢﴾ ﴾ [الرحمن: ٦٢] ، أي دون الجنتين الأوليتين في الخير والمقام والمنزلة .

فأما عن الفاكهة: فقال في الأوليتين: ﴿ فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوْجَانِ ﴿٥٢﴾ ﴾ [الرحمن: ٥٢] ، فذكر أن في كل صنف من الفواكه شكلين . أما في الجنتين الأخريتين فذكر مطلق الفاكهة من غير ذكر الزوجين فقال: ﴿ فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴿٦٨﴾ ﴾ [الرحمن: ٦٨] ، وأما عن الأثاث فذكر في الأوليتين: ﴿ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍۭ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ ۚ وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴿٥٤﴾ ﴾ [الرحمن: ٥٤] ، وقال في الأخريتين: ﴿ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِىٍّ حِسَانٍ ﴿٧٦﴾ ﴾ [الرحمن: ٧٦] ولا شك أن الفرش أفضل من الزخرف وأن الإستبرق أفضل من العبقري .

وهكذا الأمر في نسائهما وخضرتهما كما هو ظاهر في الآيات . وما هذا التفاضل إلا تسلية من الله لعباده الصالحين الذين تحملوا مشاق السفر في رحلة الدنيا وصبروا على ما أصابهم من ضر في سبيل الله وحده ، وعاشوا بين أهليهم غرباء . . لما كانوا عليه من التمسك بالكتاب والسنة . ومما يدل على تفاضل أهل الجنة ما رواه المغيرة بن شعبة أن رسول الله ﷺ قال:

«سأل موسى ربه: ما أدنى أهل الجنة منـــزلة؟ قال: هو رجل يجيء بعدما أدخل أهل الجنة الجنة. فيقال لـــه: ادخل الجنة فيقول: أي رب؟ وكيف؟ وقد نزل الناس منازلهم، وأخذوا أخذاتهم؟ فيقال لـــه: أترضى أن يكون لك مثل ملك ملك من ملوك الدنيا؟ فيقول: رضيت رب، فيقول: لك ذلك ومثله، ومثله ومثله ومثله، فقال في الخامسة رضيت رب.فيقول: لك هذا وعشرة أمثاله، ولك ما اشتهت نفسك، قال (أي موسى): رب فأعلاهم منـــزلة؟ قال: أولئك الذين أردت، غرست كرامتهم بيدي وختمت عليها، فلم تر عين، ولم تسمع أذن، ولم يخطر على بال بشر. قال: ومصداقه في كتاب الله عز وجل : ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءً بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [السجدة: ١٧]» .

فهـذه الجنة وهـذه درجاتهـا ، قـد بنيت وهيئت لمن كان لـه قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ، ففيها والله يحمد التنافس بالطاعة والقربات وإليها تجب المسارعة بالخيرات والحسنات فأين ذوو الهمم العالية ، وقد دعوا إلى السباق ، وأين طلاب السمو ، وقد قرب اللحاق:

وإذا كانـــت الـــنفوس كـــــبارا ::: تعـــبت في مـــرادها الأجـــسام

فلا تتصور- أخي الكريم- أن ذلك النعيم المقيم ، ينال بالراحة والتفكه ، بل إن طريقه وعر طويل ودربه قد حف بالمكاره والعقبات فلا يسلكه إلا مشمر عن ساعد الجد مخلص قد بـاع نفسه وماله يبتغي بذلك الجنة ، قال رسول الله ﷺ : **«حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات»** [(١)] ، أما أعلى منزلة في الجنة فإنها الوسيلة . . وهي بإذن الله لنبينا محمد ﷺ قال ﷺ : **«إذا سمعـــتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا علي، فإن من صلى علي صلاة صلى الله علـــيه عـــشراً، ثم ســـلوا الله تعالى لي الوسيلة فإن من سأل الله لي الوسيلة حلت لـــه الشفاعة»** [(٢)] وقـد أخبرنا رسول الله ﷺ أن الشهداء في سبيل الله ممن ينالون تلك الدرجات العلـى قال ﷺ : **«أفضل الشهداء الذين يقاتلون في الصف الأول، فلا يلفتون وجوههم حتى يقتلوا،وأولـــئك يتلبطون في الغرف العلى من الجنة، يضحك إليهم ربك، فإذا ضحك ربك إلى عبد في موطن فلا حساب عليه»**[(٣)] .

---

(١) البخاري ومسلم .
(٢) مسلم .
(٣) صحيح الجامع .

ولك أن تتصور نفسك يا عبد الله وقد رفع الله درجتك ومنزلتك في الجنة مع الأنبياء والشهداء، وما ذلك على الله بعزيز.. إذا صدقت الله فأجبت داعيه إذ يقول:

﴿ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَٰعٌ وَإِنَّ ٱلْءَاخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ ﴿٣٩﴾ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٤٠﴾ ﴾ [غافر: ٣٩ - ٤٠].

أعلى أهل الجنة منزلة:

وأهل الجنة ليسوا سواء، بل هم في منازل مختلفة، أما أكرمهم على الله وأفضلهم منزلة، فهو من ينظر إلى وجهه الكريم كل يوم مرتين: غدوة وعشية، قال تعالى: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ [القيامة: ٢٢ - ٢٣]، وأعلاهم منزلة أولئك الذين أراد الله، غرس كرامتهم بيده، وختم عليها، فلم تر عين، ولم تسمع أذن، ولم يخطر على قلب بشر، ومصداقه في كتاب الله عز وجل: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾ [السجدة: ١٧].

وإن لأعلاهم ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت. فالله جل ذكره خلق داراً، وجعل فيها ما شاء من الأزواج والثمرات والأشربة، ثم أطبقها، فلم يرها أحد من خلقه، لا جبريل ولا غيره من الملائكة، ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [السجدة: ١٧]، وخلق دون ذلك جنتين، وزينهما بما شاء، وأراهما من شاء من خلقه، فمن كان كتابه في عليين نزل في تلك الدار التي لم يرها أحد، حتى إن الرجل من أهل عليين ليخرج فيسير في ملكه، فلا تبقى خيمة من خيم الجنة إلا دخلها من ضوء وجهه، فيستبشرون بريحه، فيقولون: واهاً لهذا الريح، هذا ريح رجل من أهل عليين، قد خرج يسير في ملكه.

أدنى أهل الجنة منزلة:

وأما أدنى أهل الجنة منزلة، رجل يجيء بعدما أُدخل أهل الجنة الجنة، فيُقال له: ادخل الجنة، فيقول: أي رب، كيف وقد نزل الناس منازلهم وأخذوا أخذاتهم! فيُقال له: أترضى أن يكون لك مثل مُلكِ مَلِكٍ من ملوك الدنيا؟ فيقول: رضيت رب، فيقول: لك ذلك،

ومثله ومثله ومثله، فقال في الخامسة: رضيتُ رب، فيقول: هذا لك وعشرة أمثاله، ولك ما اشتهت نفسك، ولذت عينك، فيقول: رضيتُ رب، فينظر إلى جنانه وأزواجه ونعيمه وخدمه وسرره مسيرة ألف سنة.

وإن أدناهم قوم يكونون في النار ما شاء الله أن يكونوا، ثم يرحمهم الله، فيُخرجهم منها، فيكونون في أدنى الجنة، فيغتسلون في نهر يقال له: الحيوان، يسميهم أهل الجنة الجهنميون، لو ضاف أحدهم أهل الدنيا لفرشهم، وأطعمهم، وسقاهم، ولحفهم، وزوجهم، دون أن ينقصه ذلك شيئا.

وإن أدنى أهل الجنة منزلة، من له سبع درجات، وهو على السادسة، وفوقه السابعة، وإن له لثلاث مائة خادم، ويُغدى عليه ويُراح كل يوم ثلاث مائة صحفة من ذهب، في كل صحفة لون ليس في الأخرى، وإنه ليلذ أوله كما يلذ آخره، وإنه ليقول: يا رب، لو أذنتَ لي لأطعمتُ أهل الجنة وسقيتهم، دون أن ينقص مما عندي شيء. وإن له من الحور العين لاثنتين وسبعين زوجة، سوى أزواجه من الدنيا، وإن الواحدة منهن ليأخذ مقعدها قدر ميل من الأرض.

وإن أدنى أهل الجنة الذي له ثمانون ألف خادم، واثنتان وسبعون زوجة، وتُنصب له قبة من لؤلؤ وزبرجد وياقوت، كما بين الجابية إلى صنعاء. وإنه لينظر في ملكه ألفي سنة، يرى أقصاه كما يرى أدناه، ينظر في أزواجه وخدمه.

أما آخر من يدخل الجنة، فرجل يمشي مرة، ويكبو مرة، وتسفعه النار مرة، فإذا ما جاوزها التفت إليها، فقال: تبارك الذي نجاني منكِ، لقد أعطاني الله شيئا ما أعطاه أحدا من الأولين والآخرين. فتُرفع له شجرة، فيقول: أي رب، أدنني من هذه الشجرة؛ لأستظل بظلها، وأشرب من مائها، فيقول الله عز وجل: يا بن آدم، لعلي إن أعطيتكها سألتني غيرها، فيقول: لا يا رب، ويعاهده أن لا يسأله غيرها، وربه يعذره؛ لأنه يرى ما لا صبر له عليه، فيدنيه منها، فيستظل بظلها، ويشرب من مائها. ثم ترفع له شجرة هي أحسن من الأولى، فيقول: أي رب، أدنني من هذه؛ لأشرب من مائها، وأستظل بظلها، لا أسألك غيرها، فيقول: يا

ابن آدم، ألم تعاهدني أن لا تسألني غيرها، لعلي إن أدنيتك منها تسألني غيرها، فيعاهده أن لا يسأله غيرها، وربه يعذره؛ لأنه يرى ما لا صبر له عليه، فيدنيه منها، فيستظل بظلها، ويشرب من مائها. ثم ترفع له شجرة عند باب الجنة، هي أحسن من الأولين، فيقول: أي رب، أدنني من هذه؛ لأستظل بظلها، وأشرب من مائها، لا أسألك غيرها، فيقول: يا بن آدم، ألم تعاهدني أن لا تسألني غيرها؟ فيقول الرجل: بلى يا رب، هذه لا أسألك غيرها، وربه يعذره؛ لأنه يرى ما لا صبر له عليه، فيدنيه منها. فإذا أدناه منها، يسمع أصوات أهل الجنة، فيقول: أي رب، أدخلني الجنة، فيقول له الله عز وجل: سل وتمن، ويلقنه الله ما لا علم له به، فيَسأل ويَتمنى مقدار ثلاثة أيام من أيام الدنيا، فيقول الله: يا بن آدم، أيرضيك أن أعطيك الدنيا ومثلها معها؟ فيقول: يا رب، أتستهزئ بي وأنت رب العالمين! فيضحك الله تبارك وتعالى، ثم يقول له: إني لا أستهزئ بك، ولكني على ما أشاء قادر، يا بن آدم، لك ما سألت، وعشرة أمثاله معه.

فإذا فرغ الله عز وجل من القضاء بين العباد، يفقد المؤمنون رجالا كانوا معهم في الدنيا، يصلون بصلاتهم، ويزكون بزكاتهم، ويصومون صيامهم، ويحجون حجهم، ويغزون غزوهم، فيقولون: أي ربنا، عباد من عبادك، كانوا معنا في الدنيا، يصلون صلاتنا، ويزكون زكاتنا، ويصومون صيامنا، ويحجون حجنا، ويغزون غزونا، لا نراهم! فيقول: اذهبوا إلى النار، فمن وجدتم فيها منهم فأخرجوه، فيجدونهم قد أخذتهم النار على قدْر أعمالهم، فمنهم من أخذته إلى قدميه، ومنهم من أخذته إلى نصف ساقيه، ومنهم من أخذته إلى ركبتيه، ومنهم من أزرته، ومنهم من أخذته إلى ثدييه، ومنهم من أخذته إلى عنقه، ولم تغش الوجوه، فيَستخرجونهم منها، فيُطرحون في ماء الحياة، وهو غسل أهل الجنة، فينبتون كما تنبت الزرعة في غثاء السيل. ثم يشفع الأنبياء في كل من كان يشهد أن لا إله إلا الله مخلصا، فيُخرجونهم منها، ثم يتحنن الله برحمته على من فيها، فما يترك فيها عبدا في قلبه مثقال حبة من إيمان إلا أخرجه منها.

وتُدعى الأمم بأوثانها وما كانت تعبد، الأول فالأول، ثم يأتينا ربنا بعد ذلك، فيقول: من تنظرون؟ فنقول: ننظر ربنا، فيقول: أنا ربكم، فنقول: حتى

ننظر إليك ، فيتجلى لنا يضحك ، فينطلق بنا ، ونتبعه ، ويُعطى كل إنسان منا (منافق أو مؤمن) نورا ، ثم نتبعه ، وعلى جسر جهنم كلاليب وحسك تأخذ من شاء الله ، ثم يُطفأ نور المنافقين ، ثم ينجو المؤمنون ، فتنجو أول زمرة وجوههم كالقمر ليلة البدر ، سبعون ألفا ، لا يحاسبون ، ثم الذين يلونهم كأضوأ نجم في السماء ، ثم كذلك ، ثم تحل الشفاعة ، ويشفعون ، حتى يخرج من النار من قال: لا إله إلا الله ، وكان في قلبه من الخير ما يزن شعيرة ، فيُجعلون بفناء الجنة ، ويجعل أهل الجنة يرشون عليهم الماء حتى ينبتوا نبات الشيء في السيل ، ويذهب حراقه ، ثم يَسأل حتى تُجعل له الدنيا وعشرة أمثالها معها .وعندما يجمع الله عز وجل الأوّلين والآخرين لميقات يوم معلوم ، قياماً أربعين سنة ، شاخصة أبصارهم ، ينتظرون فصل القضاء ، يقول الرب تبارك وتعالى: ارفعوا رؤوسكم ، فيرفعون رؤوسهم ، فيعطيهم نورهم على قدر أعمالهم ، فمنهم من يُعطى نوره مثل الجبل العظيم يسعى بين يديه ، ومنهم من يُعطى نوره أصغر من ذلك ، ومنهم من يُعطى مثل النخلة بيده ، ومنهم من يُعطى أصغر من ذلك ، حتى يكون آخرهم رجلاً يعطى نوره على إبهام قدميه ، يضيء مرةً ويُطفأ مرة ، فإذا أضاء قدّم قدمه ، وإذا أُطفئ قام ، فيمرون على قدر نورهم ، منهم من يمر كطرفة العين ، ومنهم من يمر كالبرق ، ومنهم من يمر كالسحاب ، ومنهم من يمر كانقضاض الكوكب ، ومنهم من يمر كالريح ، ومنهم من يمر كشد الفرس ، ومنهم من يمر كشد الرجل ، حتى يمر الذي يُعطى نوره على ظهر قدميه يحبو على وجهه ويديه ورجليه ، تُمد يدٌ وتعلق يد ، وتخر رجلٌ وتعلق رجل ، وتصيب جوانبه النار ، فلا يزال كذلك حتى يخلص ، فإذا خلص وقف عليها فقال: الحمد لله الذي أعطاني ما لم يعط أحداً ، إذ نجاني منها بعد إذ رأيتُها ، فيُنطلق به إلى غدير عند باب الجنة ، فيغتسل ، فيعود إليه ريح أهل الجنة وألوانهم ، فيرى ما في الجنة من خلل الباب ، فيقول: رب أدخلني الجنة ، فيقول له: أتسأل الجنة وقد نجيتُك من النار؟ فيقول: رب اجعل بيني وبينها حجاباً لا أسمع حسيسها ، فيدخل الجنة ، ويُرفع له منزل أمام ذلك ، كأن ما هو فيه إليه حلم ، فيقول: رب أعطني ذلك المنزل ، فيقول له: لعلك إن أعطيتكه تسأل غيره ،

فيقول: لا، وعزتك لا أسألك غيره، وأي منزل أحسن منه؟ فيُعطاه، فينزله. ويرى أمام ذلك منزلاً كأن ما هو فيه إليه حلم، فيقول: رب أعطني ذلك المنزل، فيقول الله تبارك وتعالى له: فلعلك إن أعطيتكه تسأل غيره، فيقول: لا، وعزتك يا رب، وأي منزل أحسن منه؟ فيُعطاه، فينزله، ثم يسكت. فيقول الله جل ذكره: ما لك لا تسأل؟ فيقول: رب قد سألتُك حتى استحييتُك، وأقسمتُ حتى استحييتُك، فيقول الله جل ذكره: ألم ترض أن أعطيك مثل الدنيا منذ خلقتها إلى يوم أفنيتها وعشرة أضعافه؟ فيقول: أتهزأ بي وأنت رب العزة؟ فيضحك الرب تبارك وتعالى من قوله، ويقول: لا، ولكني على ذلك قادر، سل، فيقول: ألحقني بالناس، فيقول: الحق بالناس، فينطلق يرمل في الجنة، حتى إذا دنا من الناس رفع له قصر من درة، فيخر ساجداً، فيُقال له: ارفع رأسك، ما لك؟ فيقول: رأيتُ ربي، أو تراءى لي ربي، فيُقال: إنما هو منزل من منازلك. ثم يَلقى رجلاً فيتهيأ للسجود له، فيُقال له: مه، فيقول: رأيت أنك ملَك من الملائكة، فيقول: إنما أنا خازن من خزانك، وعبد من عبيدك، تحت يدي ألف قهرمان على ما أنا عليه، فينطلق أمامه حتى يفتح له القصر، وهو من درة مجوفة، سقائفها وأبوابها، وأغلاقها ومفاتيحها، منها تستقبله جوهرة خضراء، مبطنة بحمراء، فيها سبعون باباً، كل باب يفضي إلى جوهرة خضراء مبطنة، كل جوهرة تفضي إلى جوهرة على غير لون الأخرى، في كل جوهرة سرر وأزواج ووصائف، أدناهن حوراء عليها سبعون حلة، يرى مخ ساقها من وراء حللها، كبدها مرآته، وكبده مرآتها، إذا أعرض عنها إعراضةً ازدادت في عينه سبعين ضعفا، فيُقال له: أشرِف، فيُشْرِف، فيُقال له: ملكك مسيرة مائة عام ينفذه بصرك.

وإن أسفل أهل الجنة درجة، رجل يدخل من باب الجنة، فيتلقاه غلمانه، فيقولون: مرحباً بسيدنا، قد آن لك أن تزورنا، فتُمد له الزرابي أربعين سنة، ثم ينظر عن يمينه وشماله، فيرى الجنان، فيقول: لمن ما ها هنا؟ فيقال: لك، حتى إذا انتهى رُفعت له ياقوتة حمراء، أو زبرجدة خضراء، لها سبعون شِعباً، في كل شِعْبٍ سبعون غرفة، في كل غرفة سبعون باباً، فيُقال: اقرأ وارق، فيرقى حتى إذا انتهى

إلى سرير ملكه اتكأ عليه، سعته ميلٌ في ميل، له فيه قصور، فيُسعى إليه بسبعين صحفةً من ذهب، ليس فيها صحفة فيها من لون أختها، يجد لذة آخرها كما يجد لذة أولها، ثم يُسعى إليه بألوان الأشربة، فيشرب منها ما اشتهى، ثم يقول الغلمان: اتركوه وأزواجه، فينطلق الغلمان، ثم ينظر، فإذا حوراء من الحور العين جالسة على سرير ملكها، عليها سبعون حلة، ليس منها حلة من لون صاحبتها، فيرى مخ ساقها من وراء اللحم والدم والعظم، والكسوة فوق ذلك، فينظر إليها، فيقول: من أنتِ؟ فتقول: أنا من الحور العين اللاتي خبئن لك، فينظر إليها أربعين سنة، لا يصرف بصره عنها، ثم يرفع بصره إلى الغرفة، فإذا أخرى أجمل منها، فتقول: أما آن لك أن يكون لنا منك نصيب؟ فيرقى إليها أربعين سنة، لا يصرف بصره عنها. ثم إذا بلغ النعيم منهم كل مبلغ، وظنوا أن لا نعيم أفضل منه، تجلى لهم الرب تبارك اسمه، فينظرون إلى وجهه الكريم، فيقول لهم: يا أهل الجنة، هللوني، فيتجاوبون بتهليل الرحمن، ثم يقول: يا داود، قم فمجدني كما كنت تمجدني في الدنيا، فيمجد داود ربه عز وجل، بصوت لم تسمع الخلائق مثله.

بناء الجنة وتربتها:

توجد على وجه هذه البسيطة أبنية فخمة وقصور مشيدة ومساكن وغرف. لكنها مهما علا قدرها وجمالها ومهما تطاول بنيانها وعلوها.. لا تشبه ما في الجنة من مساكن وبنايات إلا في الاسم فقط.

ففي الجنة من سحر المساكن وجمال القصور وتعالي الغرف وتلألؤ الخيام، ما تقر به العين وتسكن إليه النفس وكيف لا وخيامها من لؤلؤ، وقصورها من ذهب وفيها من فاخر الأثاث وكواعب النساء وطيب الشراب ولذيذ الطعام ما لا يخطر على بال.

غرف الجنة:

وأما غرف الجنة فلا تسل عن قوة بنائها وإحكام أركانها وبهاء منظرها وتلألؤ مظهرها. قال رسول الله ﷺ: «**إن أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف من فوقهم كما تتراءون الكوكب الدري الغائر في الأفق من المشرق أو المغرب لتفاضل ما بينهم**»، قالوا: يا رسول

الله: تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم ؟ قال: «**بلى، والذي نفسي بيده: رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين**»(١).

فتأمل أخي الكريم: في مكان هذه الغرف.. إنها كالكواكب في علوها وتلألئها.. وانسيابها في الفضاء، نعم إنها عالية شامخة.. أعدها الله للمؤمنين لما استعلوا عن الكفر والفجور والفسق.. لما خضعوا لله في الدنيا بفعل الأوامر وترك النواهي، رفع الله قدرهم وأسكنهم في تلك الغرف المتعالية. واقرأ إن شئت- أخي الكريم- قول الله جل وعلا: ﴿لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ﴾ [الزمر: ٢٠].

ألا يـــا عـــين ويحـــك أســـعديني ::: بغـــزر الدمـــع في ظلـــم الليـــالي
لعلـــك في القـــيامة أن تفـــوزي ::: بخـــير الـــدار في تلـــك العـــلالي

إن سلعة الله غالية، إن ثمنها تقوى الله وطاعته، وإنها ليسيرة على من يسرها الله عليه، واستبق هذا الخير العظيم، وهذا النعيم المقيم، فإنه لحمق وغرور، أن يستبدل المرء هذه الدنيا وهذا الخراب! بما عند الله من بديع الغرف الآمنة الهنيئة قال تعالى: ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا۟ وَهُمْ فِى ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ﴾ [سبأ: ٣٧].

وإن أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف من فوقهم كما يتراءون الكوكب الدري الغابر في الأفق، من المشرق أو المغرب، لتفاضل ما بينهم، وإن في الجنة لغرفا يرى بطونها من ظهورها، وظهورها من بطونها.

وإن المتحابين في الله في الدنيا هم في الجنة على عمود من ياقوتة حمراء، في رأس العمود سبعون ألف غرفة، يشرفون على أهل الجنة، إذا اطلع أحدهم ملأ حسنه بيوت أهل الجنة نورا، كما تملأ الشمس بيوت أهل الدنيا، فيقول أهل الجنة: اخرجوا بنا ننظر إلى المتحابين في الله، فيخرجون، فينظرون في وجوههم مثل القمر ليلة البدر، عليهم ثياب خضر، مكتوب في جباههم بالنور: هؤلاء المتحابون في الله.

خيام الجنة:

ويسكنون في خيمة الجنة، وهي من لؤلؤة مجوفة، فرسخ في فرسخ، لها أربعة

---

(١) البخاري ومسلم.

آلاف مصراع من ذهب، ولها سبعون بابا، كلها من درة، طولها في السماء ستون ميلا، وعرضها ستون ميلا، في كل زاوية منها أهلون، حور مقصورات في الخيام، ما يرون الآخرين، ولا يرى بعضهم بعضا، يطوف عليهم المؤمنون، ويتكئون فيها على سرر مصفوفة، بعضها إلى جانب بعض، وعلى سرر موضونة، متكئين عليها متقابلين.

ويذهبون إلى خيراتهم، ولكل مسلم في الجنة خَيْرَة، ولكل خَيرة خيمة، ولكل خيمة أربعة أبواب، يدخل عليها كل يوم من كل باب تحفة وهدية وكرامة، لم تكن قبل ذلك، لا مزجات ولا زفرات، ولا بخرات ولا طماحات، حور عين، كأنهن بيض مكنون.

والجنة مساكن تتلألأ.. فكما أن غرفها كالكواكب الغائرة، فكذلك خيامها لآلئ مجوفة.. قال رسول الله ﷺ: «**إن للمؤمن في الجنة لخيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة طولها في السماء ستون ميلاً، للمؤمن فيها أهلون، يطوف عليهم المؤمن فلا يرى بعضهم بعضاً**»[1]، إنها لؤلؤة واحدة طولها ستون ميلاً.

فتأمل أخي: وانظر كيف سيكون إعجابك بها حين تدخلها.. وكيف تكون نشوتك وسعادتك وأنت ساكنها وحولك الحور العين تستأنس بهن وتسمع غناءهن ولحنهن الأخاذ.. وتنبه- أخي- إلى أن ثمن دخولك هو الإيمان الذي يستلزم الانقياد لله سبحانه بفعل الخيرات وترك المنكرات والعبودية لله وحده، واعلم- أخي الكريم- أن المؤمن لما زهد في الدنيا بقلبه، ولم يزين له حب الشهوات من ذهب وفضة، أثابه الله على ذلك الورع والزهد بأن أسكنه جنته.

قصور الجنة:

أما قصور الجنة فهي من ذهب ولؤلؤ وزبرجد وفضة.. فلا يعلم حسنها وبهاءها إلا الذي خلقها وبناها سبحانه وتعالى. قال رسول الله ﷺ: «**دخلت الجنة فإذا أنا بقصر من ذهب فقلت: لمن هذا القصر؟ قالوا: لشاب من قريش، فظننت أني أنا هو. فقلت: ومن هو؟**

---

(١) البخاري ومسلم.

قالوا: عمر بن الخطاب» [١] .

أخي الحبيب: بادر بالطاعات قبل فوات الأوان . . واطمع فيما عند الله من جنات ونعيم . . فإنما الدنيا لحظات وثواني . . وإنما أنت عابر سبيل .

تربة الجنة:

أما تراب الجنة فهو المسك والزعفران والدرمكة البيضاء (الدقيق الحواري الخالص البياض) . فعن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ لابن صياد: «**ما تربة الجنة؟**» قال: درمكة بيضاء مسك يا أبا القاسم ، قال: «**صدقت**» [٢] ، وعنه أن ابن الصياد سأل رسول الله ﷺ عن تربة الجنة . فقال: «**درمكة بيضاء مسك خالص**» (مسلم) ، وقد تقدم في الحديث أن تربتها الزعفران .

أخي الكريم: إن كنت المحب لهذا العيش الرغيد ولتلك المساكن الطيبة ، فاصبر نفسك على طاعة الله ، واجتناب محارمه وأداء الصلوات والصيام والقيام في الظلمات . .

فما هي إلا ساعة ثم تنقضي ::: ويدرك غب السير من هو صابر

عيون وأنهار الجنة:

ولما كانت النفس البشرية تألف المياه والبساتين والأشجار وتسكن إليها فقد زين الله جل وعلا الجنة ، وألبسها من بهاء الأشجار وعلوها وبركة الثمار ونموها وجريان الأنهار وسيولها وعذوبة العيون في أركانها ، ما تقر به أعين عباد الله الصالحين .

قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾ ﴾[الحجر: ٤٥] .

وقال سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴿٥﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴿٦﴾ ﴾[الإنسان: ٥ - ٦] .

أخي الحبيب: ما بالك بقوم سلكوا طريق النجاة . . وتزودوا بالطاعات واتقوا ربهم حق التقاة . .فأورثهم الله تلك الجنات ، تتفجر عيونها كل حين ، تارة تمزج بالكافور فتكون

---

(١) الترمذي وقال: حسن صحيح .

(٢) رواه مسلم .

باردة طيبة الرائحة، وأخرى بالزنجبيل فتكون حارة طيبة الرائحة، قال تعالى:

﴿ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ﴿١٧﴾ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا ﴿١٨﴾ ﴾ [الإنسان: ١٧ - ١٨].

وقال سبحانه:

﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾ ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِنِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾ [الحجر: ٤٥ - ٤٦].

وفي الجنة عينان:

الأولى: عين الكافور: قال تعالى: ﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴿٥﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴿٦﴾ ﴾ [الإنسان: ٥ - ٦] وهذه العين يشرب منها المقربون الماء الخالص. وأما الأبرار فيشربونه ممزوجا.

الثانية: عين التسنيم: قال تعالى: ﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ﴿٢٦﴾ وَمِزَاجُهُ مِن تَسْنِيمٍ ﴿٢٧﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ [المطففين: ٢٢ - ٢٨].

أنهار الجنة:

وبين تلك القصور الذهبية، والخيام البهية تجري أنهار عذبة لذة.. أعدها الله للمؤمنين ونوّع أجناسها وشرابها، فمنها الماء ومنها العسل ومنها الخمر ومنها اللبن. قال تعالى: ﴿ مَّثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ﴾ [محمد: ١٥].

فماء الدنيا يأسن ويأجن من طول مكثه.. لكن مياه أنهار الجنة لا تأسن.. ولبن الدنيا تصيبه الحموضة إذا طال مكثه، لكن لبن الآخرة لا يتغير طعمه، وخمر الدنيا كريهة المذاق كريهة الرائحة أما خمر الجنة ففيها من اللذة ما يبعث على الشرب، وعسل الدنيا تصيبه الأخلاط فلا يصفو، أما عسل الجنة فصاف لامع طري. فأين هي الدنيا من الآخرة؟ وكيف يحرص عاقل على لذة ناقصة فانية ويترك اللذة الكاملة الباقية؟ فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور. وقد أخبرنا رسول الله ﷺ أنه في إسرائه ﷺ: «**رأى أربعة أنهار يخرج من أصلها نهران ظاهران ونهران باطنان، فقلت: يا جبريل، ما هذه الأنهار؟ قال:**

أما النهران الباطنان فنهران في الجنة، وأما الظاهران فالنيل والفرات»[١].

وتأمل- أخي- في هذه الأنهار وما أودع الله فيها من خيرات لم تجر العادة بمثلها في الدنيا. وتأمل فيها وهي تجري في الجنة من غير أخدود، تحت القصور والمنازل والغرف وتحت الأشجار، قال تعالى:

﴿ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ﴾ [البقرة: ٢٥]، وقال سبحانه: ﴿ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ﴾ [التوبة: ١٠٠]، وقال سبحانه: ﴿ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ ﴾ [الكهف: ٣١].

نهر الكوثر:

الكوثر فهو نهر من أنهار الجنة أعطاه الله سبحانه وتعالى لرسوله ﷺ: ﴿ إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ﴿١﴾ ﴾ [الكوثر: ١]، وعن أنس بن مالك عن النبي ﷺ: «**بينما أنا أسير في الجنة، إذ أنا بنهر حافتاه قباب الدر المجوف، قلت: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذا الكوثر الذي أعطاك ربك، فإذا طيبه أو طينه مسك أذفر**»[٢].

واعلم أن هذه الأنهار تنساب متفجرة من الأعلى ثم تنحدر في نزول، فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله، ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض، فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة، وفوقه عرش الرحمن، ومنه تفجر أنهار الجنة**» (البخاري) وأخبر ﷺ: «**إن في الجنة بحر العسل، وبحر الخمر، وبحر اللبن، وبحر الماء،ثم تنشق الأنهار بعد**»[٣].

أشجار وثمار الجنة:

ومن نعيم الجنة الخالد، كثرة الأشجار، ووفرة طيب الثمار، وغرائب الأطيار، فأشجارها لا يقدر قدرها إلا الذي خلقها، من كثرة أغصانها وطول عمودها وانسياب أركانها وأعوادها، ولقد أودع الله فيها من جمال الشكل وحسن المنظر وبهاء اللون ورونق

---

(١) مسلم.
(٢) البخاري.
(٣) الترمذي وقال: حسن صحيح.

المظهر وامتداد الظل وطيب الثمار ما لا يخطر على بال ولا رأته عين ولا سمعته أذن .

وهي أشجار كثيرة ، عديدة ومتنوعة ، فمنها أشجار الرمان ومنها أشجار العنب ومنها أشجار السدر ومنها أشجار الطلح ، ولا تظن أخي الحبيب ، أن هذه الفاكهة هي نفسها التي نراها في الدنيا ، بل إن فواكه الآخرة لا تشبه فواكه الدنيا سوى في الاسم فقط كما صح ذلك عن ابن عباس رضي الله عنه .

أما شكلها ولونها ومذاقها فلا يعلم قدره ومقداره إلا الذي خلقها وأبدعها .

قال تعالى : ﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا ﴿٣٢﴾ ﴾ [النبأ: ٣١ - ٣٢] .

وقال سبحانه :

وقال جل وتعالى : ﴿ وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ وَطَلْحٍ مَنْضُودٍ ﴿٢٩﴾ وَظِلٍّ مَمْدُودٍ ﴿٣٠﴾ وَمَاءٍ مَسْكُوبٍ ﴿٣١﴾ وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾ ﴾ [الواقعة: ٢٧ - ٣٢] .

فسدر الجنة مخضود ، منزوع الشوك ، وطلحها منضود معد للتناول دون كد أو عناء .

يـا طـيب هاتـيك الثمار وغرسها ::: في المـسك ذاك التـرب للبـستان
وكـذلك المـاء الـذي يـسقى به ::: يـا طـيب ذاك الـورد للظمـآن

فأي نعيم بعد هذا النعيم . . وأي تجارة رابحة بعد هذه التجارة .

وها هي الفرصة أمامكم - فاغتنموا هذه اللحظات الباقيات في صالح الأعمال وطيب القربات ولا تغرنك الدنيا فإنما هي سحابة صيف عما قريب تنقشع واسلك سبيل المتقين لتنهم من فواكه الجنة الكثيرة ، قال تعالى : ﴿ يَدْعُونَ فِيهَا بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ﴾ [ص: ٥١] .

وقال تعالى : ﴿ وَفَاكِهَةٍ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾ [الواقعة: ٢٠] وقال جل وعلا : ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ ﴿٤١﴾ وَفَوَاكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾ [المرسلات: ٤١ - ٤٢] ، إنها فواكه كثيرة طيبة لا تنقطع فأشجارها دائمة العطاء وافرة الخضرة ممتدة الظلال في كل حال . قد تشابهت أشكال ثمارها ، بيد أن كنهها ومذاقها يختلف . وهذا من لطائف نضجها وعجائب قدرة الله في إبداعها ، قال تعالى : ﴿ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا ﴾ [البقرة: ٢٥] ومن تلك الأشجار ما إن ظلها ليسير فيه الراكب مائة عام وما

يقطعه . قال رسول الله ﷺ : «**إن في الجنة لشجرة يسير الراكب الجواد المضمر السريع مائة عام وما يقطعها**» [١] وقال تعالى: ﴿ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الواقعة: ٣٠] ومن تلك الأشجار سدرة المنتهى: قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ ﴾ [النجم: ١٣ - ١٤] قال ﷺ في حديث الإسراء : «**ثم انطلق بي- أي: جبريل- حتى انتهى إلى سدرة المنتهى ونبقها قلال هجر، وورقها مثل آذان الفيلة، تكاد الورقة تغطي هذه الأمة فغشيها ألوان لا أدري ما هي، ثم أدخلت الجنة، فإذا فيها جنابذ اللؤلؤ وإذا ترابها المسك**»[٢] .

ومن تلك الأشجار ما يخرج منها ثياب أهل الجنة قال رسول الله ﷺ : «**طوبى شجرة في الجنة،مسيرة مائة عام، ثياب أهل الجنة تخرج من أكمامها**»[٣] .

ومما يزيد أشجار الجنة بهاء وجمالاً ، أن سيقانها من الذهب قال رسول الله ﷺ : «**ما في الجنة شجرة إلا وساقها من ذهب**»[٤] فطوبى لمن أحسن غراسها ، في الدنيا بذكر الله وتهليله وتسبيحه وحمده وتكبيره . فقد قال رسول الله ﷺ : «**لقيت إبراهيم ليلة أسري بي فقال: يا محمد، أقرئ أمتك مني السلام وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة عذبة الماء، وأنها قيعان، غراسها: سبحان الله..والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر**»[٥] .

فاغرس . . أيها الأخ الكريم: بساتين الأشجار بأسهل الأذكار فهي كلمات خفيفة سهلة ، وما أكثر الغافلين عنها ، المشتغلين بلغو الكلام وربما الهذر الحرام . مساكين هؤلاء الغافلون شغلهم غراس الدنيا ، فاشتغلوا به ونسوا حظهم في الآخرة ، ولم يزل يلهيهم طول الأمل وحب الدنيا ، حتى باغتهم الموت .

ومع كثرة أشجار الجنة وثمارها ، فإن أهل الجنة يرغبون في الزرع ، فعن رسول الله ﷺ أنه كان يوماً يحدث وعنده رجل من أهل البادية: «**أن رجلاً من أهل الجنة استأذن ربه في الزرع فقال له: أولست فيما شئت قال: بلى! ولكن أحب أن أزرع. فأسرع وبذر فبادر**

---

(١) البخاري ومسلم .
(٢) صحيح الجامع والحديث في الصحيحين .
(٣) السلسلة الصحيحة .
(٤) صحيح الجامع .
(٥) السلسلة الصحيحة .

الطرف نباته واستواؤه واستحصاده وتكويره أمثال الجبال، فيقول الله: دونك يا بن آدم فإنه لا يشبعك شيء». فقال الأعرابي: يا رسول الله. لا تجد هذا إلا قرشيًّا أو أنصاريًّا. فإنهم أصحاب زرع. فأما نحن فلسنا بأصحاب زرع فضحك رسول الله ﷺ[1].

وتسير بين أشجار الجنة الكثيرة، وثمارها الوافرة، فترى سدرة المنتهى، وهي شجرة يسير الراكب الجواد المضمّر السريع في ظلها مائة عام لا يقطعها، نضد الله شوكها، فجعل مكان كل شوكة ثمرة، وإنها لتنبت ثمرا، تفتق الثمرة منها عن اثنين وسبعين لونا من طعام، ما فيها لون يشبه الآخر، وفيها فراش الذهب، كأن ثمارها القلال.

وترى شجرة أخرى على ساق، قدر ما يسير الراكب المجد في ظلها مائة عام، يخرج إليها أهل الجنة وأهل الغرف وغيرهم، فيتحدثون في ظلها، فيشتهي بعضهم ويَذكر لَهْوَ الدنيا، فيُرسل الله ريحا من الجنة، فتحرك تلك الشجرة بكل لَهْوٍ كان في الدنيا. وتمر على شجرة جذوعها من ذهب، وفروعها من زبرجد ولؤلؤ، فتهب لها ريح فتصطفق، فما سمع السامعون بصوت ألذ منه.

عنب الجنة:

وترى عظم العنقود منها مسيرة شهر للغراب الأبقع، الذي لا يقع ولا ينثني ولا يفتر، وهو كما بين صنعاء وعمّان، الحبة فيه بحجم جلد تيس كبير، وهي كفيلة بأن تشبع عشيرة بأكملها. وتتبصر في النخل، وجذوع نخل الجنة من زمرد أخضر، وكربها ذهب أحمر، وسعفها كسوة لأهل الجنة، منها مقطعاتهم وحللهم، وثمرها أمثال القلال والدِّلاء، أشد بياضا من اللبن، وأحلى من العسل، وألين من الزبد، ليس فيها عجم، وإن طول الثمرة من ثمارها اثنا عشر ذراعاً.

رمان الجنة:

وتلذ بالنظر إليه فتأتيه، والرمانة من رمان الجنة يجتمع حولها بشر كثير، يأكلون منها، فإن جرى على ذكر أحدهم شيء يريده وجده في موضع يده حيث يأكل. وما في الجنة شجرة إلا وساقها من ذهب، وأصولها اللؤلؤ والذهب، وأعلاه الثمر، وإن أهل الجنة

---

(١) البخاري.

ليأكلون من ثمار الجنة قياماً وقعوداً ومضطجعين، متى شاءوا، ومن أي شجرة أرادوا، فثمار الجنة لا مقطوعة ولا ممنوعة.

شجرة طوبى:

وبينما أنت بين أشجارها، تنتقل من شجرة إلى شجرة، ولا تكاد تصدق ما تراه عيناك؛ لشدة جمالها، لا تأتي شجرة إلا وتأكل من ثمارها، وتتمتع بجمالها، وتجلس في ظلها، وبينما أنت تمشي بينها، وتسير تحت أغصانها، إذا بك أمام شجرةٍ كثيراً ما سمعتَ عنها في الدنيا، فاشتد شوقك لها؛ إنها شجرة طوبى، وهي شجرة في الجنة، تشبه شجرة بالشام تُدعى الجوزة، تَنْبُتُ على ساق واحد، وينفرش أعلاها، عظم أصلها لو ارتحلت جذعة من الإبل ما أحاطت بأصلها حتى تنكسر ترقوتها هرما، ولو يسير الراكب في ظلها مائة عام لم يقطعها. بطحاؤها ياقوت أحمر، وزمرد أخضر، وترابها مسك أبيض، ووحلها عنبر أشهب، وكثبانها كافور أصفر، وبسرها زمرد أخضر، وثمرها حلل صفر، وسقيها وصمغها زنجبيل وعسل، وعبقها زعفران مبهج، وورقها برود أخضر، وزهرها رياض صفر، وأقتابها سندس وإستبرق، وحشيشها زعفران، يتفجر من أصلها أنهار السلسبيل والمعين والرحيق، وظلها مجالس أهل الجنة، مكان يألفونه، ومتحدث يجمعهم.

ثياب أهل الجنة تخرج من أكمامها، وما من أحد يدخل الجنة إلا انْطُلِقَ به إلى طوبى، فتَفتح له أكمامها، فيأخذ من أي ذلك شاء: إن شاء أبيض، وإن شاء أحمر، وإن شاء أخضر، وإن شاء أصفر، وإن شاء أسود، مثل شقائق النعمان، وأرق وأحسن.

سدرة المنتهى:

وكذلك سدرة المنتهى، وهي شجرة في الجنة، فيها ألوان لا ندري ما هي، وفيها حبايل اللؤلؤ، ترابها المسك، نبقها مثل الجرار، ومثل قلال هجر، وورقها مثل آذان الفيلة، يغشاها من أمر الله ما يغشاها، فتتحول إلى ياقوت أو زمرد أو نحو ذلك، يخرج من ساقها نهران ظاهران، ونهران باطنان، الباطنان في الجنة، والظاهران النيل والفرات.

خيول الجنة:

إلى عشاق الخيل والمولعين بركوبها وامتطاء صهواتها نعيماً آخر تلذونه وتسعدون به إنه يوجد لكم خيول في الجنة من الياقوت الأحمر لها أجنحة تطير بكم حيث شئتم قال عبد الرحمن بن ساعدة رضي الله عنه: كنت رجلاً أحب الخيل فقلت: يا رسول الله هل في الجنة خيل ؟ فقال: «**إن أدخلك الله يا عبد الرحمن، كان لك فيها فرس من الياقوت له جناحان تطير بك حيث شئت**» وقال: فداه أبي وأمي ﷺ : «**إن في الجنة لشجراً يخرج من أعلاها حلل ومن أسفلها خيل من ذهب مسرجة ملجمة من در وياقوت لا تروث ولا تبول لها أجنحة خطوها مد البصر تركبها أهل الجنة فتطير بهم حيث شاءوا فيقول الذين أسفل منهم درجة: يا رب بم بلغ عبادك هذه الكرامة كلها، فيقال لهم: كانوا يصلون بالليل وكنتم تنامون وكانوا يصومون وكنتم تأكلون وكانوا ينفقون وكنتم تبخلون وكانوا يقاتلون وكنتم تجبنون**» .

ومن يدخل الجنة يُؤتى بفرس من ياقوتة حمراء ، لها جناحان ، لا تبول ولا تروث ، يَقعد عليها ، ثم يَطير بها في الجنة حيث شاء ، فيتجلى لهم الجبار ، فإذا رأوه خروا له سجدا ، فيقول لهم: ارفعوا رؤوسكم ، فإن هذا ليس يوم عمل ، إنما هو يوم نعيم وكرامة ، فيرفعون رؤوسهم ، فيمطر عليهم طيبا ، فيمرون بكثبان المسك ، فيبعث الله على تلك الكثبان ريحا فتهيجها عليهم ، حتى إنهم ليرجعون إلى أهليهم وإنهم لشعث غبر .

وإنهم ليؤتون في الجنة بخيل مسرجة ملجمة ، لا تروث ولا تبول ، فيركبونها حتى ينتهوا حيث شاء الله عز وجل ، فيأتيهم مثل السحابة ، فيها ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، فيقولون: أمطري علينا ، فما يزال المطر عليهم حتى ينتهي ذلك فوق أمانيهم ، ثم يبعث الله ريحا غير مؤذية ، فتنسف كثائب من مسك ، عن أيمانهم وعن شمائلهم ، فيأخذ ذلك المسك في نواصي خيولهم ، وفي مفارقهم ، وفي رؤوسهم ، ولكل رجل منهم جمة على ما اشتهت نفسه ، فيتعلق ذلك المسك في تلك الجمام ، وفي الخيل ، وفيما سوى ذلك من الثياب ، ثم يُقبلون حتى ينتهوا إلى ما شاء الله تعالى ، فإذا المرأة تنادي بعض أولئك: يا عبد الله ، أما لك فينا حاجة؟ فيقول: ما أنتِ؟ ومن أنتِ؟ فتقول: أنا زوجتك وحبك ، فيقول: ما كنتُ علمتُ

بمكانك، فتقول: أوما علمتَ أن الله قال: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءً بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [السجدة: ١٧]، فيقول: بلى وربي، فلعله يشتغل عنها بعد ذلك الموقف أربعين خريفا، لا يلتفت، ولا يعود ما يشغله عنها إلا ما هو فيه من النعيم والكرامة.

ويُؤتى بخيل وإبل هفافة، زمام أحدها خير من الدنيا وما فيها، تُزف من خلال وَرَقِ الجنة، يتزاورون عليها حيث شاءوا. فإن يُدخلك الله الجنة يا عبد الله، يكن لك فيها ما اشتهتْ نفسك، ولذتْ عينك. وبينما أنت كذلك، إذا خيول مقربة من الياقوت الأحمر، مصنوع فيها الروح، بجنبها الولدان المخلدون، وبيد كل وليد حكمة خيل من تلك الخيول، على كل أربعة منها مرتبة من مراتب الجنة كالرحالة، أسفلها سرير من ياقوتة، وعلى كل سرير منها قبة من ذهب مفرغة، في كل قبة منها فراش من فرش الجنة، ليس في الجنة لون حسن إلا وهو فيها، ولا ريحة طيبة إلا عبق بها، ينفذ ضوء وجوههما غلظ القبة، حتى يظن من ينظر إليها أنها من دون القبة، يتبين مخها في عظامها كما يتبين السلك الأبيض في الياقوتة الصافية، ثم يأمرك الله عز وجل فتتحول في مركبتك مع صاحبتك، فتعانقك وتقبلك، وتمنيك بكرامة الله عز وجل. والقبة إما لؤلؤة، وإما زمردة، وإما ياقوتة، وإما درة. وإذا في قبة من تلك القصور منابر من نور، عليها ملائكة قعود، ينتظرونكم ليهنئوكم ويحيوكم، فيتحول كل واحد منكم على مركبة تزف تلك الخيول، وبجنبها الولدان المخلدون، تشيعكم الملائكة المقربون، يقطعون بكم رياض الجنة، فلما رُفعتم إلى قصوركم نهضت الملائكة في أعراضكم فاستنزلوكم وصافحوكم، وشبكوا أيديهم في أيديكم، ثم أجلسوكم بينهم، ثم أقبلتم على الضحك والمداعبة حتى علت أصواتكم.

نوق الجنة:

وبينما هم يتحدثون في ظل طوبى، إذ يأتيهم الملائكة بنوق مزمومة بسلاسل الذهب، كأن وجوهها المصابيح من حسنها، ذلك من غير تهيئة، نجب من غير رباية، عليها رحائل الذهب، وكسوتها سندس وإستبرق، حتى تُرفع إليهم، ثم

يُسلموا عليهم، فيقولون: إن ربكم بعث إليكم بهذه الرواحل لتركبوها فتزوروه وتُسلموا عليه، فيتحول كل واحد منهم على راحلته، ثم يسيرون بها صفا واحدا في الجنة، الرجل منهم إلى جنب صاحبه، لا يجاوز أذن ناقة منها أذن صاحبتها، ولا ركبة ناقة منها ركبة صاحبتها، وإنهم ليمرون بالشجرة من شجر الجنة، فتتأخر من مكانها، فإذا وقفوا بين يدي الرحمن تبارك وتعالى أسفر لهم عن وجهه الكريم، وتجلى لهم، فيُسَلَّمون عليه، ويُرحب بهم، وسلامهم عليه أن يقولوا: «**ربنا أنت السلام، ومن عندك السلام، ولك حق الجلال والإكرام**»، فيقول لهم الجليل جل جلاله: وعليكم سلام مني، وعليكم رحمتي وكرامتي، مرحبا وأهلا بعبادي، الذين أطاعوني بالغيب، وحفظوا وصيتي، فيقولون: لا، وعزتك ما قدرناك حق قدرك، وما أدينا إليك كل حقك، ائذن لنا أن نسجد لك، فيقول: إني قد رفعت عنكم مؤنة العبادة، وأفضيتم إلى كرامتي.

والذي نفسي بيده، إنهم إذا خرجوا من قبورهم استُقْبِلوا بنوق بيضٍ لها أجنحة، عليها رحال الذهب، شرك نعالهم نور يتلألأ، كل خطوة منها مثل مد البصر، فينتهون إلى باب الجنة، فإذا حلقة من ياقوتة حمراء على صفائح الذهب، وإذا شجرة على باب الجنة ينبع من أصلها عينان، فإذا شربوا من أحدهما جرت في وجوههم بنضرة النعيم، وإذا توضأوا من الأخرى لم تشعث أشعارهم أبداً، فيضربون الحلقة بالصفيحة، فيبلغ كل حوراء أن زوجها قد أقبل، فتستخفها العجلة، فتبعث قَيِّمَها فيفتح له الباب، فلولا أن الله عز وجل عرّفه نفسه لخرّ له ساجداً، مما يرى من النور والبهاء، فيقول: أنا قَيِّمُك الذي وُكِّلْتُ بأمرك، فيتبعه، ويقفو أثره، فيأتي زوجته، فتستخفها العجلة، فتخرج من الخيمة، فتعانقه، وتقول: (أنت حبي وأنا حبك، وأنا الراضية فلا أسخط أبداً، وأنا الناعمة فلا أبأس أبداً، وأنا الخالدة فلا أظعن أبداً)، فيدخل بيتاً من أساسه، وطرائق صفر، ما منها طريقة تشاكل صاحبتها، فيأتي الأريكة، فإذا عليها سرير، على السرير سبعون فراشاً، على كل فراش سبعون زوجة، على كل زوجة سبعون حلة، يرى مخ ساقها من باطن الحلل، يفضي جماعهن في مقدار ليلة، تجري من تحتهم أنهار

مطردة ، وأنهار من ماء غير آسن ، صاف ليس فيه كدر ، وأنهار من عسل مصفى ، لم يخرج من بطون النحل ، وأنهار من خمر لذة للشاربين ، لم تعصره الرجال بأقدامها ، وأنهار من لبن لم يتغير طعمه ، لم يخرج من بطون الماشية . فإذا اشتهوا الطعام جاءتهم طير بيض ، فترفع أجنحتها ، فيأكلون من جنوبها من أي الثمار شاءوا ، إن شاء قائماً ، وإن شاء متكئاً ، وذلك قوله: ﴿وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ﴾ [الرحمن: ٥٤] ، وبين أيديهم خد كاللؤلؤ [1] .

طعام وشراب أهل الجنة :

أول طعامنا في الجنة زيادة كبد الحوت ، ثم يُنحر لنا ثور رعى من أطراف الجنة ، ثم تُوضع لنا مائدة الخلد ، زاوية من زواياها أوسع مما بين المشرق والمغرب ، ثم نتفكه ، ولا نتفل ، ولا نبول ، ولا نتغوط ، ولا نمتخط ، نُلهم التسبيح والتحميد كما يُلهم أهل الدنيا النفس . فمن يدخل الجنة يأكل أشهى الطعام ، ويشرب ألذ الشراب ، لا يتعب ، ولا يقلق ، ولا يعرق ، ولا يتبول ، ولا يتغوط ، ولا يمتخط ، ولا يبصق ، ولا يتفل .

وإن أحدنا في الجنة ليعطى قوة مائة رجل ، في الأكل والشرب ، والجماع والشهوة ، وإن أحدنا ليشتهي الطعام ، وسيد طعامنا اللحم ، فيقوم على رأسه عشرة آلاف خادم ، مع كل خادم صحفتان: واحدة من فضة ، وواحدة من ذهب ، في كل صحفة لون ليس في الأخرى مثلها ، يأكل من آخره كما يأكل من أوله ، فيجد لآخره من اللذة والطعم ما لا يجد لأوله ، ويبلغ غداؤه سبعين ألف صحفة ، من ألوان لحوم الطير ، كأنها البخت ، لا ريش لها ، ولا زغب ولا عظم ، ولا تُطبخ بالنار ، ولا تقليها القدور ، ولذتها لذة الزبد ، وحلاوتها حلاوة العسل ، ورائحتها رائحة المسك ، يأكل من كلها ، يجد لآخرها من الطعم كما يجد لأولها ، وفي عشائه مثل ذلك ، فيقول: يا رب ، لو أَذِنْتَ لي لأطعمتُ أهل الجنة ، وسقيتُهم ، وما ينقص مما عندي شيء .

وإن أحدنا ليشتهي الشراب من شراب الجنة ، فيجيء الإبريق إليه ، فيقع في يده ،

---

(١) هذه الأحاديث أخرجها المنذري في الترغيب .

فيشرب، ثم يعود مكانه. وإذا كانت منه الحاجة، خرج الطعام من جسده جشاء ورشحا كرشح المسك، وفاض من جلده عرقا، وسال من تحت ذوائبه إلى قدميه مسكا، فإذا بطنه قد ضمر.

لباس أهل الجنة:

ويدعوه الله عز وجل على رؤوس الخلائق، حتى يخيره من أي حلل الجنة شاء لبس، فيلبس منها ما أراد، ثم يذهب إلى شجرة في الجنة، فيلبس منها ثيابا، لا تبلى ولا تفنى، لو أن ثوبا منها لُبس في الدنيا لصعق من ينظر إليه، وما تحملته أبصارهم. فيكون عليه ثوبان يتجاوبان، بصوت مليح، يقول الثوب الذي يلي جسده: أنا أكرم على ولي الله منك، أنا أمس بدنه، وأنت لا تمس بدنه، فيقول الثوب الذي يلي وجهه: بل أنا أكرم على ولي الله منك، أنا أرى وجهه، وأنت لا ترى وجهه، الله أكبر... الكل يتمنى رضاك حتى ثوبك الذى ترتديه، وثيابنا في الجنة لا خلقا تُخلق، ولا نسجا تُنسج، بل تشقق عنها ثمر الجنة. ويَلبس الذهب، إن لم يكن يلبسه في الدنيا، ويلبس الحرير، إن لم يكن يلبسه في الدنيا، فيعطيه الله خاتم من ذهب يلبسه، وهو خاتم الخلد، ثم يعطيه خواتم من در وياقوت ولؤلؤ، وذلك إذا رأى ربه في داره دار السلام.

ويُؤتى بمن قرأ القرآن فأكمله، وعمل بما فيه، فيُلبس قارئ القرآن فى الجنة والديه تاجا هو أحسن من ضوء الشمس، هذا لوالديه، فما ظنكم بالذي عمل به. ويَلقى أهل الجنة بعضهم بعضا، فيُقبل الرجل ذو المنزلة المرتفعة، فيَلقى من هو دونه، وما فيهم دني، فيروعه ما يرى عليه من اللباس، فما ينقضي آخر حديثه حتى يتخيل إليه ما هو أحسن منه، وذلك أنه لا ينبغي لأحد أن يحزن فيها، ثم ينصرف إلى منزله، فتتلقاه أزواجه، فيقلن: مرحبا وأهلا، لقد جئتَ وإن بك من الجمال أفضل مما فارقتنا عليه.

وإنه ليتكئ في الجنة سبعين سنة، قبل أن يتحول، ثم تأتيه امرأته، فتضرب على منكبيه، فينظر وجهه في خدها أصفى من المرآة، وإن أدنى لؤلؤة عليها تضيء ما بين المشرق والمغرب، فتُسلم عليه، فيرد السلام، ويسألها: من أنتِ؟ فتقول: أنا

من المزيد، وإنه ليكون عليها سبعون ثوبًا، أدناها مثل النعمان من طوبى، فينفذها بصره، حتى يرى مخ ساقها من وراء ذلك، وإن عليها التيجان المزينة باللؤلؤ، لو أن أدنى لؤلؤة عليها نزلت إلى الدنيا، لأضاءت ما بين المشرق والمغرب، فيتمتع معها، ويلذ بها، كيفما أراد، ومتى ما أراد، وحيثما أراد، فلا مقطوعة ولا ممنوعة.

مساكن وقصور أهل الجنة:

وإذا دخلتَ الجنة يا ولي الله يدخل أمامك ملك، فيأخذ بك في سككها، فيقول لك: انظر ما ترى، فتقول: أرى أكثر قصور رأيتها من ذهب وفضة، وأكثر أنيس، فيقول لك الملك: فإن هذا أجمع لك، حتى إذا رُفعتَ إليهم استقبلوك من كل باب، ومن كل مكان، يقولون: نحن لك، ثم يقول لك الملك: امش، فتمشي، فيقول الملك: ماذا ترى؟ فتقول: أرى أكثر عساكر رأيتها من خيام، وأكثر أنيس، فيقول الملك: فإن هذا أجمع لك، فإذا رُفعتَ إليهم استقبلوك وقالوا: نحن لك.

ومنزلك في الجنة لؤلؤة، فيها أربعون ألف دار، وفيها شجرة تنبت الحلل، فتأخذ بإصبعيك سبعين حلة، متمنطقة باللؤلؤ والمرجان. وفيها مساكن طيبة في جنات عدن، وإنك لأدل على منزلك في الجنة من منزلك الذي كان لك في الدنيا. ومسكنك في الجنة قصر من لؤلؤة بيضاء، فيها سبعون دارا من ياقوتة حمراء، في كل دار سبعون بيتا من زمردة خضراء، في كل بيت سبعون سريرا، على كل سرير فراش، لون على لون، على كل فراش امرأة من الحور العين. في كل بيت مائدة، على كل مائدة سبعون قصعة، وعلى كل مائدة سبعون وصيفا ووصيفة، يعطيك الله عز وجل في غداة واحدة من الشهوة والقوة ما تأكل ذلك الطعام، وتطوف على تلك الأزواج.

وعلى أبواب قصورك كثبان من مسك، تزور الله جل وعلا في الجمعة مرتين، فتجلس على كرسي من ذهب، مكلل باللؤلؤ والياقوت والزبرجد، تنظر إلى الله عز وجل، وينظر إليك، فإذا قمتَ انقلبتَ إلى الغرفة من غرفك، ولها سبعون باباً، مكللة بالياقوت والزبرجد.

طيور الجنة :

وتنظر من حولك ، فترى طيور الجنة ، كأمثال البخت ، ترعى في شجر الجنة ، أعناقها كأعناق الجزر ، وإنها لناعمة ، وأنت أنعم منها ، تنظر إلى أحدها فيخر بين يديك مشويا ، ويقول لك: يا ولي الله ، أمّا أنا فقد رعيتُ في واد كذا وكذا ، وأكلتُ من ثمار كذا وكذا ، وشربتُ من ماء عين كذا وكذا ، وسني كذا ، وريحي كذا ، فكل مني ، فإذا اشتهيتَ حسن الطير واشتهيتَ صفته ، ووقع في نفسك وقع الطائر على ما تريد ، قبل أن تتكلم ، نصفه قديدا ونصفه شواء ، متفلقا نضجا .

وتشتهي طيرا آخر ، فيجيء مثل البختي ، حتى يقع على خوانه ، لم يصبه دخان ، ولم تمسه نار ، فتأكل منه وكلما تلذذت من أكله وقع على صحفتك طير غيره ، له سبعون ألف ريشة ، فينتفض ، فيقع من كل ريشة لون أبيض من الثلج ، وألين من الزبد ، وألذ من الشهد ، ليس منها لون يشبه صاحبه ، فتأكل منه حتى تشبع ، ثم يطير . وكلما شبعتَ ألقى الله عليك ألف باب من الشهوة في الأكل . ثم تؤتى بالشراب ، على برد الكافور ، وطعم الزنجبيل ، وريح المسك ، فتشرب ، فإذا شربتَ هضمت ما أكلت من الطعام ، وإنك لتأكل مقدار أربعين عامًا .

سرر الجنة :

وذلك أنك -يا ولي الله- في الجنة على سرير ، والسرير ارتفاعه خمسمائة عام ، والسرير من ياقوت أحمر ، منسوج بقضبان الذهب ، مشتبكة بالدر والياقوت والزبرجد ، له جناحان من زمرد أخضر . وعلى السرير سبعون فراشا ، حشوها النور ، وظواهرها السندس ، وبطائنها من إستبرق ، ولو دُلِّيَ أعلاها فراشا ما وصل إلى آخرها مقدار أربعين عامًا .

وسريرك في الجنة يا عبد الله كما بين مكة وأيلة ، طوله في السماء مائة ذراع ، إذا أردتَ أن تجلس عليه تواضع لك حتى تجلس عليه ، فإذا جلستَ عليه ارتفع إلى مكانه .

أرائك الجنة :

وعلى السرير أريكة من لؤلؤة ، عليها سبعون سترا من نور ، وذلك قوله عز وجل: ﴿ هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾ [يس: ٥٦] ؛ أي في ظلال

الأشجار على الأرائك متكئون على السرر . وبينما أنت معانقها ، لا تمل منك ولا تمل منها ، والمعانقة أربعين عاما ، ترفع رأسك ، فإذا أنتَ بأخرى متطلعة تناديك: يا ولي الله ، أما لنا فيك من دولة؟ فتقول: حبيبتي من أنتِ؟ فتقول: أنا من اللواتي قال الله فيهن: ﴿ وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴾ [ق: ٣٥] ، فيطير سريرك ، أو كرسيك الذهب ، وله جناحان ، فإذا رأيتَها وجدتَها تضعف على الأولى بمائة ألف جزء من النور ، فتعانقها مقدار أربعين عاما ، لا تمل منك ولا تمل منها ، فإذا رفعتَ رأسك رأيتَ نورا ساطعا في دارك ، فتعجب ، فتقول: سبحان الله! أملك كريم زارنا؟ أم ربنا أشرف علينا؟ فيقول الملك وهو على كرسي من نور ، وبينه وبين الملك سبعون عاما ، والملك في حجبته في الملائكة: لم يزرك ملك ، ولم يشرف عليك ربك عز وجل ، فتقول: ما هذا النور؟ ، ولننظر من كان يعيش فى نور الهداية فى الدنيا من صلاة وصيام وقراءة قرآن والصلاة فى الجماعة وفعل المعروف والأمر به ، والبعد عن المحرمات والمنكرات فهو إن شاء الله برحمته وفضله فى أنوار الجنة!!!

حال النساء في الجنة :

لا ينكر على النساء عند سؤالهن عما سيحصل لهن في الجنة من الثواب وأنواع النعيم ، لأن النفس البشرية مولعة بالتفكير في مصيرها ومستقبلها ورسول الله ﷺ لم ينكر مثل هذه الأسئلة من صحابته عن الجنة وما فيها ومن ذلك أنهم سألوه ﷺ عن الجنة وبنائها؟ فقال ﷺ : «**لبنة من ذهب ولبنة من فضة...**» إلى آخر الحديث . ومرة قالوا له: (يا رسول الله هل نصل إلى نسائنا في الجنة؟) فأخبرهم بحصول ذلك .

فالنفس البشرية - سواء كانت رجلا أو امرأة - تشتاق وتطرب عند ذكر الجنة وما حوته من أنواع الملذات وهذا حسن بشرط أن لا يصبح مجرد أماني باطلة دون أن نتبع ذلك بالعمل الصالح ، فرحمة الله تنال بطاعته والعمل على رضاه تعالى ، وليست مجرد أماني وحسن ظن دون حسن العمل ، فإن الله يقول للمؤمنين: ﴿ وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾ ﴾ [الزخرف: ٧٢] فشوّقوا النفس بأخبار الجنة وصدّقوا ذلك بالعمل .

* إن الجنة ونعيمها ليست خاصة بالرجال دون النساء إنما هي قد: ﴿ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [آل عمران: ١٣٣] من الجنسين كما أخبرنا بذلك تعالى قال سبحانه: ﴿ وَمَن يَعْمَلْ

مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ ﴾ [النساء: ١٢٤] .

عند ذكر الله للمغريات الموجودة في الجنة من أنواع المأكولات والمناظر الجميلة والمساكن والملابس فإنه يعمم ذلك للجنسين (الذكر والأنثى) فالجميع يستمتع بما سبق . ويتبقى: أن الله قد أغرى الرجال وشوقهم للجنة بذكر ما فيها من الحور العين والنساء الجميلات ولم يرد مثل هذا للنساء . .

ينبغي للمرأة أن لا تشغل بالها بكثرة الأسئلة والتنقيب عن تفصيلات دخولها للجنة: ماذا سيعمل بها؟ أين ستذهب؟ إلى آخر أسئلتها . . وكأنها قادمة إلى صحراء مهلكة! ويكفيها أن تعلم أنه بمجرد دخولها الجنة تختفي كل تعاسة أو شقاء مر بها . . ويتحول ذلك إلى سعادة دائمة وخلود أبدي ويكفيها قوله تعالى عن الجنة: ﴿ لَا يَمَسُّهُمۡ فِيهَا نَصَبٞ وَمَا هُم مِّنۡهَا بِمُخۡرَجِينَ ﴿٤٨﴾ ﴾ [الحجر: ٤٨] ، وقوله: ﴿ وَفِيهَا مَا تَشۡتَهِيهِ ٱلۡأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلۡأَعۡيُنُۖ وَأَنتُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ [الزخرف: ٧١] ويكفيها قبل ذلك كله قوله تعالى عن أهل الجنة: ﴿ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ ﴾ [المائدة: ١١٩] .

أختي المؤمنة الكريمة: ماذا بعد رضا الله عنك ودخولك الجنة التي قال النبي ﷺ عنها للصحابي: «**حولها ندندن**» فانظري إلى الأعلى إلى الأفق ولا تنظري فقط تحت قدميك .

نساء الدنيا :

فيقول الملك: إنها زوجتك الدنيوية ، وهي معك في الجنة ، وإنها اطلعتْ عليك فرأتك معانقا لهذه فتبسمتْ ، فهذا النور الساطع الذي تراه في دارك هو نور ثناياها ، فترفع رأسك إليها ، فتقول لك: يا ولي الله ، أما لنا فيك من دولة؟ فتقول: حبيبتي من أنت؟ فتقول لك: يا ولي الله ، أما أنا فمن اللواتي قال الله عز وجل فيهن: ﴿ فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ ﴾ [السجدة: ١٧] ، فيطير سريرك إليها ، فإذا لقيتَها وجدتَّها تضعف عن هذه الأخرى بمائة ألف جزء من النور ، لأن هذه صامت وصلت وعبدتِ الله عز وجل ، فهي إذا دخلتِ الجنة أفضل من نساء الجنة ، لأن أولئك أُنبتن نباتا ، فتعانق هذه مقدار أربعين عامًا ، لا تمل منك ولا تمل منها ، ثم إنها تقوم بين يديك وخلاخلها من ياقوت ، فإذا وطئتها سمعتَ من خلاخلها صفير كل طير في الجنة ، وإذا مسستَ كفها كان ألين من المخ ، وتشم من كفها

رائحة طيب الجنة، وعليها سبعون حلة من نور، لو نُشِرَ الرداء منها لأضاء ما بين المشرق والمغرب، خلقتْ من نور، والحلل أرق من نسج العنكبوت، وهو أخف عليها من النقش، وإنك لترى مخ ساقها، من صفائها ورقتها، من وراء العظم واللحم والجلد والحلل، مكتوب على ذراعها اليمين بالنور ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ ﴾ [فاطر: ٣٤] الله أكبر . . . يا له من نعيم!!!!!

فالمؤمنات يتفوقن على الحور العين في الجمال، ويتفوقن عليهن في الحسن، ويتفوقن عليهن في الأخلاق، ويتفوقن عليهن في حسن التبعل للأزواج، ويتفوقن عليهن في كلمات العشق والحب والغرام، ويتفوقن عليهن في جمال الصوت، وحلاوة النغمات، ويتفوقن عليهن في النور والضياء، ويتفوقن عليهن في الحلل والأساور، والتيجان والكساء، ويتفوقن عليهن في الولدان والوصائف، بل إن الحوراء العيناء خادمة للمؤمنات، وحبيبها وزوجها أشد شغلاً بها من الحوراء.

﴿ وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ ﴾ [الواقعة: ٢٢]، حور بيض، ضخام العيون، شقر، الحوراء بمنزلة جناح النسر، ﴿ كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُوِ ٱلْمَكْنُونِ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الواقعة: ٢٣]، صفاؤهن صفاء الدر الذي في الأصداف الذي لم تمسه الأيدي، ﴿ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴿٤٩﴾ ﴾ [الصافات: ٤٩]، رقتهن كرقة الجلد الذي رأيته في داخل البيضة مما يلي القشر، وهو الغرقىء، ﴿ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾ ﴾ [الواقعة: ٣٧]، هن اللواتي قبضن في دار الدنيا عجائز رمصاً شمطاً، خلقهن الله بعد الكبر، فجعلهن عذارى، عرباً متخشعات متحببات، أتراباً على ميلاد واحد، فنساء الدنيا أفضل من الحور العين، كفضل الظهارة على البطانة، وذلك بصلاتهن وصيامهن وعبادتهن لله تعالى، ألبس الله وجوههن النور، وأجسادهن الحرير، بيض الألوان، خضر الثياب، صفر الحلي، مجامرهن الدر، وأمشاطهن الذهب، يقلن: نحن الخالدات فلا نموت أبداً، ونحن الناعمات فلا نبأس أبداً، ونحن المقيمات فلا نظعن أبداً، ونحن الراضيات فلا نسخط أبداً، وطوبى لمن كنا له وكان لنا.

وإن الحور العين إذا قلن: نحن الخالدات فلا نموت أبداً، ونحن الناعمات فلا نبأس أبداً، ونحن المقيمات فلا نظعن أبداً، ونحن الراضيات فلا نسخط أبداً، ونحن خَيْرات حسان، حبيبات لأزواج كرام. أجابهن المؤمنات من نساء أهل الدنيا: نحن المصليات وما

صليتن، ونحن الصائمات وما صمتن، ونحن المتوضئات وما توضأتن، ونحن المتصدقات وما تصدقتن، فيغلبنهن. وإن الآدميات أفضل من الحور العين بسبعين ألف ضعف.

والمؤمنة إذا تزوجتْ أكثر من واحد في الدنيا فإنها تُخيَّر، فتختار أحسنهم خُلُقاً، فتقول: أي رب، إن هذا كان أحسنهم معي خلقاً في دار الدنيا فزوجنيه، فتتزوجه، فقد ذهب حسن الخلق بخيري الدنيا والآخرة.

عند ذكر الله للمغريات الموجودة في الجنة من أنواع المأكولات والمناظر الجميلة والمساكن والملابس فإنه يعمم ذلك للجنسين (الذكر والأنثى) فالجميع يستمتع بما سبق.

ويتبقى: أن الله قد أغرى الرجال وشوقهم للجنة بذكر ما فيها من (الحور العين) و(النساء الجميلات).

ولم يرد مثل هذا للنساء.. فقد تتساءل المرأة عن سبب هذا !؟

والجواب:

١- أن الله: ﴿ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الأنبياء: ٢٣] ولكن لا حرج أن نستفيد حكمة هذا العمل من النصوص الشرعية وأصول الإسلام فأقول:

٢- أن من طبيعة النساء الحياء - كما هو معلوم - ولهذا فإن الله - عز وجل - لا يشوقهن للجنة بما يستحين منه.

٣- أن شوق المرأة للرجال ليس كشوق الرجال للمرأة - كما هو معلوم - ولهذا فإن الله شوّق الرجال بذكر نساء الجنة مصداقا لقوله ﷺ: «**ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء**»[1].

أما المرأة فشوقها إلى الزينة من اللباس والحلي يفوق شوقها إلى الرجال؛ لأنه مما جبلت عليه كما قال تعالى: ﴿ أَوَمَن يُنَشَّؤُا۟ فِى ٱلْحِلْيَةِ ﴾ [الزخرف: ١٨].

٤- قال الشيخ ابن عثيمين: إنما ذكر - أي الله عز وجل - الزوجات للأزواج لأن

(١) أخرجه البخاري.

الـزوج هو الطالب وهو الراغب في المرأة فلذلك ذكرت الزوجات للرجال في الجنة وسكت عـن الأزواج للنساء ولكن ليس مقتضى ذلك أنه ليس لهن أزواج . . بل لهن أزواج من بني آدم .

المرأة لا تخرج عن هذه الحالات في الدنيا فهي :

١- إما أن تموت قبل أن تتزوج .

٢- إما أن تموت بعد طلاقها قبل أن تتزوج من آخر .

٣- إما أن تكون متزوجة ولكن لا يدخل زوجها معها الجنة - والعياذ بالله .

٤- إما أن تموت بعد زواجها .

٥- إما أن يموت زوجها وتبقى بعده بلا زوج حتى تموت .

٦- إما أن يموت زوجها فتتزوج بعده غيره .

هذه حالات المرأة في الدنيا ولكل حالة ما يقابلها في الجنة :

١- فأمـا المـرأة الـتي ماتـت قبل أن تتزوج فهذه يزوجها الله - عز وجل - في الجنة من رجل من أهل الدنيا لقولـه ﷺ : « **ما في الجنة أعزب** »[١] .

٢- قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله تعالى : إذا لم تتزوج - أي المرأة - في الدنيا فإن الله تعـالى يـزوجها ما تقر بها عينها في الجنة . . فالنعيم في الجنة ليس مقصورا على الذكور وإنما هو للذكور والإناث ومن جملة النعيم : الزواج .

٢- ومثلها المرأة التي ماتت وهي مطلقة .

٣- ومثلها المرأة التي لم يدخل زوجها الجنة . قال الشيخ ابن عثيمين : فالمرأة إذا كانت مـن أهل الجنة ولم تتزوج أو كان زوجها ليس من أهل الجنة فإنها إذا دخلت الجنة فهناك من أهل الجنة من لم يتزوجوا من الرجال .

أي فيتزوجها أحدهم .

---

(١) أخرجه مسلم .

٤-وأما المرأة التي ماتت بعد زواجها فهي - في الجنة - لزوجها الذي ماتت عنه .

٥- وأما المرأة التي مات عنها زوجها فبقيت بعده لم تتزوج حتى ماتت فهي زوجة له في الجنة .

٦- وأما المرأة التي مات عنها زوجها فتزوجت بعده فإنها تكون لآخر أزواجها مهما كثروا لقوله ﷺ : «**المرأة لآخر أزواجها**»[1] .

ولقول حذيفة - رضي الله عنه - لامرأته : (إن شئت أن تكوني زوجتي في الجنة فلا تزوجي بعدي فإن المرأة في الجنة لآخر أزواجها في الدنيا فلذلك حرم الله على أزواج النبي أن ينكحن بعده لأنهن أزواجه في الجنة) .

مسألة: قد يقول قائل : إنه قد ورد في الدعاء للجنازة أننا نقول: (وأبدلها زوجا خيرا من زوجها) فإذا كانت متزوجة . . فكيف ندعو لها بهذا ونحن نعلم أن زوجها في الدنيا هو زوجها في الجنة وإذا كانت لم تتزوج فأين زوجها ؟

والجواب كما قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله تعالى : إن كانت غير متزوجة فالمراد خيرا من زوجها المقدر لها لو بقيت وأما إذا كانت متزوجة فالمراد بكونه خيرا من زوجها أي خيرا منه في الصفات في الدنيا لأن التبديل يكون بتبديل الأعيان كما لو بعت شاة ببعير مثلا ويكون بتبديل الأوصاف كما لو قلت لك: بدل الله كفر هذا الرجل بإيمان وكما في قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ﴾ [إبراهيم: ٤٨] والأرض هي الأرض ولكنها مدت والسماء هي السماء لكنها انشقت .

ورد في الحديث الصحيح قوله ﷺ للنساء : «**إني رأيتكن أكثر أهل النار...**» وفي حديث آخر قال ﷺ : «**إن أقل ساكني الجنة النساء**»[2] .

وورد في حديث آخر صحيح أن لكل رجل من أهل الدنيا (زوجتان) أي من نساء الدنيا .

---

(١) سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني .

(٢) أخرجه البخاري ومسلم .

فاختلف العلماء - لأجل هذا - في التوفيق بين الأحاديث السابقة : أي هل النساء أكثر في الجنة أم في النار ؟

فقال بعضهم : بأن النساء يكن أكثر أهل الجنة وكذلك أكثر أهل النار لكثرتهن . قال القاضي عياض : (النساء أكثر ولد آدم) .

وقال بعضهم : بأن النساء أكثر أهل النار للأحاديث السابقة . وأنهن - أيضا - أكثر أهل الجنة إذا جمعن مع الحور العين فيكون الجميع أكثر من الرجال في الجنة وقال آخرون : بل هن أكثر أهل النار في بداية الأمر ثم يكن أكثر أهل الجنة بعد أن يخرجن من النار - أي المسلمات .

قال القرطبي تعليقا على قوله ﷺ : «**رأيتكن أكثر أهل النار**» : (يحتمل أن يكون هذا في وقت كون النساء في النار وأما بعد خروجهن في الشفاعة ورحمة الله تعالى حتى لا يبقى فيها أحد ممن قال : لا إله إلا الله فالنساء في الجنة أكثر) .

الحاصل: أن تحرص المرأة أن لا تكون من أهل النار ، وذلك بطاعتها لربها وحسن تبعلها لزوجها ، وعدم اتباعها نساء أهل النار الساقطات السافرات من المغنيات وأصحاب الموضات المتشوفات للرجال .

إذا دخلت المرأة الجنة فإن الله يعيد إليها شبابها وبكارتها لقوله ﷺ : «**إن الجنة لا يدخلها عجوز.... إن الله تعالى إذا أدخلهن الجنة حولهن أبكارا**» .

ورد في بعض الآثار أن نساء الدنيا يكن في الجنة أجمل من الحور العين بأضعاف كثيرة نظرا لعبادتهن الله .

قال ابن القيم: (إن كل واحد محجور عليه أن يقرب أهل غيره فيها) أي في الجنة .

وبعد : فهذه الجنة قد تزينت لكن معشر النساء كما تزينت للرجال (في مقعد صدق عند مليك مقتدر) فالله الله أن تضيعن الفرصة فإن العمر عما قليل يرتحل ولا يبقى بعده إلا الخلود الدائم ، فليكن خلودكن في الجنة - إن شاء الله - واعلمن أن الجنة مهرها الإيمان والعمل الصالح وليس الأماني الباطلة مع التفريط وتذكرن قوله ﷺ : «**إذا صلت المرأة**

خمسها وصامت شهرها وحصنت فرجها وأطاعت زوجها قيل لها : ادخلي الجنة من أي أبواب الجنة شئت» [١] .

واحذرن - كل الحذر - دعاة الفتنة و(تدمير) المرأة من الذين يودون إفسادكن وابتذالكن وصرفكن عن الفوز بنعيم الجنة . ولا تُغررن بعبارات وزخارف هؤلاء المتحررين والمتحررات من الكتاب والكاتبات ومثلهم أصحاب (القنوات) فإنهم كما قال تعالى : ﴿ وَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَآءً ﴾ [النساء: ٨٩] .

أسأل الله أن يوفق نساء المسلمين للفوز بجنة النعيم وأن يجعلهن هاديات مهديات وأن يصرف عنهن شياطين الإنس من دعاة وداعيات تدمير المرأة وإفسادها .

ضيافة الله :

وإذا سكن أهل الجنة الجنة ، وأهل النار النار ، هبط ربنا الجليل جل جلاله ، بلا تكييف ولا تعطيل ولا تشبيه ولا تمثيل ، يتعالى ربنا عن ذلك ، إلى مرج أفيح ، فمُدَّ بينه وبين خلقه حجابا من لؤلؤ ، وحجابا من نور ، ثم وُضِعَتْ منابر النور ، وسرر النور ، وكراسي النور ، ثم أُذِن لرجل كريم على الله عز وجل ، بين يديه أمثال من النور ، يسمع دوي تسبيح الملائكة معه ، وصفُقَ أجنحتهم ، فمَدَّ أهل الجنة أعناقهم ، فقيل: من هذا الذي قد أَذِن له الله عز وجل؟ فقيل: هذا المجبول بيده ، والمعلَّم الأسماء ، والذي أُمرتِ الملائكة فسجدتْ له ، والذي أبيحتْ له الجنة ، آدم ﷺ ، أَذن له الله عز وجل . ثم أُذِن لرجل آخر على الله عز وجل ، بين يديه أمثال الجبال من النور ، يسمع تسبيح الملائكة معه ، وصفُق أجنحتهم ، فمَدَّ أهل الجنة أعناقهم ، فقيل: من هذا الذي أَذن له الله عز وجل؟ فقيل: هذا الذي اتخذه الله خليلا ، وجعل النار عليه بردا وسلاما ، إبراهيم عليه الصلاة والسلام ، قد أَذِن له الله عز وجل . ثم أُذِن إلى رجل آخر على الله عز وجل ، بين يديه أمثال الجبال من النور ، يسمع تسبيح الملائكة معه ، وصفُق أجنحتهم ، فمَدَّ أهل الجنة أعناقهم ، فقيل: من هذا الذي قد أُذن له على الله عز وجل؟ فقيل: هذا الذي اصطفاه الله عز وجل برسالته ، وقربه نجيا ، وكلمه تكليما ، موسى عليه الصلاة والسلام ، قد أُذِن له على الله عز وجل . ثم أُذِن لرجل

---

(١) رواه البخاري .

آخر ، معه مثل جميع مواكب النبيين قبله ، بين يديه أمثال الجبال من النور ، ويسمع دوي تسبيح الملائكة ، وصفق أجنحتهم ، فقيل: من هذا الذي قد أُذِن له على الله عز وجل؟ فقيل: هذا أول شافع وأول مشفَّع ، وسيّد ولد آدم ؛ أول من تنشق عنه الأرض ، وصاحب لواء الحمد ؛ أحمد ﷺ ، قد أُذِن له على الله عز وجل . فجلس النبيون على منابر النور ، والصديقون على سرر النور ، والشهداء على كراسي النور ، وجلس سائر الناس على كثبان من المسك الأبيض الأذفر ، فهلا أخذنا العدة ، وعملنا لهذا اليوم حتى نكون أهلا لضيافة الرحمن - فبالحقارة الدنيا بجانب هذه اللحظات !!!

وفد الله :

ثم ناداهم الرب جل جلاله من وراء الحجب: مرحبا بعبادي وزواري ، وجيراني ووفدي ، يا ملائكتي ، انهضوا إلى عبادي فأطعموهم ، فقُرِّبتِ الملائكة إليهم لحم طير كأنها البخت ، لا ريش معها ولا عظم ، فأكلوا . ثم ناداهم الرب جل جلاله من وراء الحجب: مرحبا بعبادي وزواري ، وجيراني ووفدي ، أكلوا ، اسقوهم يا ملائكتي ، فنهض إليهم غلمان كأنهم اللؤلؤ المنثور ، بأباريق الذهب ، بأشربة مختلفة ، تجد لذة آخرها كلذة أولها: ﴿لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ﴿١٩﴾﴾ [الواقعة: ١٩] . ثم ناداهم الرب تبارك وتعالى من وراء الحجب: مرحبا بعبادي وزواري ، وجيراني ووفدي ، أكلوا وشربوا ، فَكِّهوهم ، فقُرِّبتْ إليهم أطباق مكللة بالياقوت ، من الرطب الجني ، الذي أسماه الله ، أشد بياضا من اللبن ، وأطيب من عذوبة الشهد ، فطعموا وشربوا وفكهوا . ثم ناداهم الرب جل جلاله من وراء الحجب: مرحبا بعبادي وزواري ، وجيراني ووفدي ، أكلوا وشربوا وفكهوا ، اكسوهم ، أحبائى : لنكون من وفود الرحمن فى الجنان وجب علينا ألا نكون من وفد الشيطان فى الدنيا ، وكما هو معلوم أنه وأتباعه وأعوانه مصيرهم إلى النار ، والجزاء من جنس العمل .

أماني أهل الجنة :

ويقول الله عز وجل: وبلَغ الوعد الذي وَعدتُ لكم ، فتمنوا ، فإن لكل إنسان منكم ما تمنى ، فيتمنون ، فيُعطي كل واحد منهم ما تمنى ، ثم يزيدهم تبارك وتعالى من فضله وكرمه ما لم تبلغ إليه أمانيهم .

وإن من أهل الجنة من يستأذن ربه في الزرع ، فيقول له الله عز وجل: ألستَ فيما

شئت؟ فيقول: بلى، ولكني أحب أن أزرع، فيبذر، فيبادر الطرف نباته واستواؤه واستحصاده، فيكون أمثال الجبال، فيقول الله عز وجل: دونك يا بن آدم، فإنه لا يُشبعك شيء.

وإذا أراد المؤمن الولد في الجنة، كان حمله ووضعه وسنه في ساعة كما يشتهي، فها هي جنة الرحمن لهم فيها ما يشتهون وما يدعون نزلا من غفور رحيم.

رؤية أهل الجنة لربهم عز وجل:

وبينا أهل الجنة في نعيمهم إذ سطع لهم نور، فرفعوا رؤوسهم، فإذا الرب قد أشرف عليهم من فوقهم، فقال: السلام عليكم يا أهل الجنة، وذلك قول الله: ﴿سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴿٥٨﴾﴾ [يس: ٥٨]، تريدون شيئًا أزيدكم؟ فيقولون: ربنا، وأي خير لم تفعله بنا؟ ألست أعنتنا على سكرات الموت، وآنستَ منا الوحشة في ظلمات القبور، وآمنتَ روعتنا عند النفخة في الصور، ألستَ أقلتَ عثراتنا، وسترتَ علينا القبيح من فعلنا، وثبَّتَ على جسر جهنم أقدامنا، ألستَ الذي أدنيتنا من جوارك، وأسمعتنا لذاذة منطقك، وتجليتَ لنا بنورك، فأي خير لم تفعله بنا! ألم تُبيِّض وجوهنا، ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار. فيكشف الحجاب، فينظر إليهم وينظرون إليه، فما أُعطوا شيئًا أحب إليهم من النظر إلى ربهم عز وجل، ولا يلتفتون إلى شيء من النعيم ما داموا ينظرون إليه، حتى يحتجب عنهم، ويبقى نوره وبركته عليهم في ديارهم، قال تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦].

وأهل الجنة إذا رأوا ربهم وأرادوا الانصراف، يُعطى كل رجل منهم رمانة خضراء، فيها سبعون حلة، لكل حلة سبعون لونا، ليس منهم حلة تشبه الأخرى، فإذا انصرفوا عن ربهم مروا في أسواق الجنة، ليس فيها بيع ولا شراء، وفيهما من الحلل والسندس والإستبرق، والحرير والرفرف والعبقري، من در وياقوت، وأكاليل معلقة، فيأخذون من تلك الأسواق من هذه الأصناف ما شاؤوا، ولا ينقص من تلك الأسواق شيئًا، وفيها صور كصور الناس، مِن أحسن ما يكون من الصور، مكتوب في نحر كل صورة منها: مَن تمنى أن يكون مثل صورتي جعل الله حسنه على صورتي، فمَن تمنى أن يكون حسن وجهه مثل حسن تلك الصورة، جعله الله على تلك الصورة، ثم ينصرفون إلى منازلهم.

وبينما هم في مجلس لهم إذ سطع لهم نور على باب الجنة، فرفعوا رؤوسهم، فإذا الرب تبارك وتعالى قد أشرف عليهم، فقال: يا أهل الجنة، سلوني، فقالوا: نسألك الرضا عنا، قال: رضائي أحلّكم داري، وأنالكم كرامتي، وهذا أوانها فسلوني، قالوا: نسألك الزيادة، فيُؤتَون بنجائب من ياقوت أحمر، أزمّتها من زمرد أخضر وياقوت أحمر، فيُحملون عليها، تضع حوافرها عند منتهى طرفيها، فيأمر الله عز وجل بأشجار عليها الثمار، فتجيءُ حوار من الحور العين، وهُن يقلن: نحن الناعمات فلا نبأس، ونحن الخالدات فلا نموت، أزواج قوم مؤمنين كرام.

يوم المزيد:

ويأمر الله عز وجل من مسك أبيض أذفر، فينثر عليهم ريحاً يقال لها: المثيرة، حتى تنتهي بهم إلى جنة عدن، فتقول الملائكة: يا ربنا، قد جاء القوم، فيقول: مرحباً بالصادقين، مرحباً بالطائعين، فيكشف لهم الحجاب، فينظرون إلى الله تبارك وتعالى، فيتمتعون بنور الرحمن، حتى لا ينظر بعضهم بعضاً، ثم يقول: أرجعوهم إلى القصور بالتحف، فيرجعون وقد أبصر بعضهم بعضاً، فذلك قوله: ﴿ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾ ﴾ [فصلت: ٣٢].

وإن ربك عز وجل اتخذ في الجنة وادياً أفيح من مسك أبيض، فإذا كان يوم الجمعة نزل تبارك وتعالى من عليين على كرسيه، ثم حف الكرسي بمنابر من نور، وجاء النبيون حتى يجلسوا عليها، ثم حف المنابر بكراسي من ذهب، ثم جاء الصديقون والشهداء حتى يجلسوا عليها، ثم يجيء أهل الجنة حتى يجلسوا على الكثيب، فيتجلى لهم ربهم تبارك وتعالى حتى ينظروا إلى وجهه، وهو يقول: أنا الذي صدقتُكم وعدي، وأتممتُ عليكم نعمتي، هذا محل كرامتي، فسلوني، فيسألونه الرضا، فيقول الله عز وجل: رضائي أحلكم داري، وأنالكم كرامتي، فسلوني، فيسألونه حتى تنتهي رغبتهم، فيفتح لهم عند ذلك ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، إلى مقدار منصرف الناس يوم الجمعة، وهو من الجمعة إلى الجمعة، ثم يصعد الرب تبارك وتعالى على كرسيه، فيصعد معه الشهداء والصديقون، ويرجع أهل الغرف إلى غرفهم، درة بيضاء، لا فصم فيها ولا وصم، أو ياقوتة حمراء، أو زبرجدة خضراء، منها غرفها وأبوابها، مطردة فيها أنهارها، متدلية فيها ثمارها، فيها أزواجها وخدمها، فليسوا إلى شيء أحوج منهم إلى يوم الجمعة، ليزدادوا فيه

نظراً إلى وجهه تبارك وتعالى، ولذلك دُعي يوم المزيد.

وإذا كان يوم الجمعة في الحين الذي يخرج فيه أهل الجمعة إلى جمعتهم، نادى منادٍ: يا أهل الجنة اخرجوا إلى دار المزيد، لا يعلم سعتها وعرضها وطولها إلا الله عز وجل، فيخرجون في كثبان من المسك، وإنه أشد بياضاً من الدقيق، فيخرج غلمان الأنبياء بمنابر من نور، ويخرج غلمان المؤمنين بكراسي من ياقوت، فإذا وُضعت لهم، وأخذ القوم مجالسهم، بعث الله تبارك وتعالى عليهم ريحاً تُدعى المثيرة، تُثير عليهم أثابير المسك الأبيض، فتُدخله من تحت ثيابهم، وتُخرجه في وجوههم وأشعارهم، فتلك الريح أعلم كيف تصنع بذلك المسك من امرأة أحدكم، ولو دُفع إليها كل طيب على وجه الأرض، ثم يوحي الله سبحانه إلى حملة العرش، فيوضع بين ظهراني الجنة، وبينه وبينهم الحجب؛ فيكون أول ما يسمعون منه أن يقول: أين عبادي الذين أطاعوني بالغيب ولم يروني، وصدقوا رسلي واتبعوا أمري؟ فسلوني، فهذا يوم المزيد، فيجتمعون على كلمة واحدة: رب رضينا عنك فارض عنا، فيرجع الله تعالى في قولهم: يا أهل الجنة، إني لو لم أرض عنكم لما أسكنتُكم جنتي، فسلوني، فهذا يوم المزيد، فيجتمعون على كلمة واحدة: رب وجهك أرنا ننظر إليه، فيكشف الله تبارك وتعالى تلك الحجب، ويتجلى لهم، فيغشاهم من نوره شيء، لولا أنه قضى عليهم أن لا يحترقوا لاحترقوا مما غشيهم من نوره، ثم يُقال لهم: ارجعوا إلى منازلكم، فيَرجعون إلى منازلهم وقد خَفُوا على أزواجهم وخفين عليهم، مما غشيهم من نوره تبارك وتعالى، فإذا صاروا إلى منازلهم ترادّ النور، وأمسكن حتى يرجعوا إلى صورهم التي كانوا عليها، فتقول لهم أزواجهم: لقد خرجتم من عندنا على صورة، ورجعتم على غيرها، فيقولون: ذلك بأن الله تبارك وتعالى تجلى لنا فنظرنا منه إلى ما خفينا به عليكم، فلهم في كل سبعة أيام الضعف على ما كانوا، وذلك قوله عز وجل: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [السجدة: ١٧].

يا لها من كرامة يا أهل الإيمان!!!

فُتحتْ لهم أشجار الجنة بحلل مصفوفة بنور الرحمن، فأُلبسوا. ثم ناداهم الرب من وراء الحجب: مرحبا بعبادي وزواري، وجيراني ووفدي، أكلوا وشربوا وفكهوا وكسوا، طيبوهم، فهاجت عليهم ريح من تحت العرش يقال لها المثيرة، بأنابيب المسك الأبيض

الأذفر، فنضحت على وجوههم من غير غبار ولا قتار. ثم يناديهم الرب تبارك وتعالى من وراء الحجب: مرحبا بعبادي وزواري، وجيراني ووفدي، أكلوا وشربوا وفكهوا وكسوا وطيبوا، وعزتي وجلالي لأتجلين لهم حتى ينظروا إلي، فذلك منتهى العطايا، وفضل المزيد، فيتجلى الرب تبارك وتعالى، فيقول: السلام عليكم عبادي، انظروا إلي، فقد رضيت عنكم، فتداعت قصور الجنة وأشجارها واهتزت، تقول: سبحانك، أربع مرات، وخر القوم سجدا، فناداهم الرب عز وجل: ارفعوا رؤوسكم، فإنها ليست بدار عمل، ولا بدار نصب، وإنما هي دار جزاء ودار ثواب، وعزتي وجلالي، ما خلقتها إلا لأجلكم، وما من ساعة ذكرتموني فيها في دار الدنيا إلا ذكرتكم فوق عرشي.

فالمؤمنون أرواحهم في جوف طير خضر، تسرح في الجنة حيث شاءت، تَرِدُ أنهار الجنة، وتأكل من ثمارها، وتأوي إلى قناديل من ذهب معلقة في ظل العرش، وقد وَجدوا طيب مأكلهم، ومشربهم، ومقيلهم، فينادي فيهم منادٍ: أن لكم أن تحيوا فلا تموتوا أبدا، وأن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبدا، وأن لكم أن تشبوا ولا تهرموا، وأن لكم أن تنعموا ولا تبأسوا، فذلك قوله عز وجل: ﴿ وَنُودُوٓاْ أَن تِلۡكُمُ ٱلۡجَنَّةُ أُورِثۡتُمُوهَا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴾ [الأعراف: ٤٣].

سوق الجنة وحديث المناجاة:

وأهل الجنة إذا دخلوا الجنة نزلوا فيها بفضل الله ورحمته وكذلك جزاء إحسانهم، ثم يُؤذن في مقدار يوم الجمعة من أيام الدنيا، فيزورون ربهم، ويبرز لهم عرشه، ويتبدى لهم في روضة من رياض الجنة، فتوضع لهم منابر من نور، ومنابر من لؤلؤ، ومنابر من ياقوت، ومنابر من زبرجد، ومنابر من ذهب، ومنابر من فضة، ويجلس أدناهم، وما فيهم دني، على كثبان المسك والكافور، وما يرون أن أصحاب الكراسي بأفضل منهم مجلسا، فيرون ربهم، لا يمارون في رؤيته، ولا يبقى في ذلك المجلس رجل إلا حاضره الله محاضرة، حتى يقول للرجل منهم: يا فلان ابن فلان، أتذكر يوم قلتَ كذا وكذا؟ فيُذَكر ببعض غدراته في الدنيا، فيقول: يا رب، أفلم تغفر لي؟ فيقول: بلى، فسعة مغفرتي بلغت بك منزلتك هذه.

فبينما نحن على ذلك، تغشانا سحابة من فوقنا، فتمطر علينا طيبا، لم نجد مثل ريحه شيئا قط، ويقول ربنا تبارك وتعالى: قوموا إلى ما أعددت لكم من الكرامة، فخذوا ما

اشتهيتم، فنأتي سوقا قد حفتْ به الملائكة، ما فيه بيع ولا شراء، إلا الصور من النساء والرجال، فإذا اشتهى أحدنا صورة دخل فيها، وفيه ما لم تنظر العيون إلى مثله، ولم تسمع الآذان، ولم يخطر على القلوب، فيحمل لنا ما اشتهينا.

وفيه مجمع للحور العين، يرفعن أصواتا لم نر ولم نسمع مثلها قط، يقلن: نحن الخالدات فلا نبيد، ونحن الراضيات فلا نسخط، ونحن الناعمات فلا نبأس، فطوبى لمن كان لنا وكنا له. وفي ذلك السوق نلقى بعضنا بعضا، فيقبل الواحد منا ذو المنزلة المرتفعة فيلقى من هو دونه، وما فينا دني، فيروعه ما يرى عليه من اللباس، فما ينقضي آخر حديثه حتى يتخيل إليه ما هو أحسن منه، وذلك أنه لا ينبغي لأحد أن يحزن فيها، ثم ننصرف إلى منازلنا، فتتلقانا أزواجنا، فيقلن: مرحبا وأهلا، لقد جئتَ وإن بك من الجمال أفضل مما فارقتنا عليه، فنقول: إنا جالسنا اليوم ربنا الجبار، ويحق لنا أن ننقلب بمثل ما انقلبنا.

أهل الجنة يتزاورون:

ونتزاور على المطايا والنجب، فنؤتى في الجنة بخيل مسرجة ملجمة، لا تروث ولا تبول، فنركبها حتى ننتهي حيث شاء الله عز وجل، فيأتينا مثل السحابة، فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، فنقول: أمطري علينا، فما يزال المطر علينا حتى ينتهي ذلك فوق أمانينا، ثم يبعثُ الله ريحاً غير مؤذية، فتنسف كثباناً من مسك، عن أيماننا وعن شمائلنا، فنأخذ ذلك المسك في نواصي خيولنا وفي معارفها، وفي رؤوسنا، ولكل رجل منا جمة على ما اشتهت نفسه، فيتعلق ذلك المسك في تلك الجمام، وفي الخيل، وفيما سوى ذلك من الثياب، ثم نُقبل حتى ننتهي إلى ما شاء الله، فإذا المرأة تناديك: يا عبد الله، أما لك فينا حاجة؟ فتقول: ما أنتِ، ومن أنتِ؟ فتقول: أنا زوجتك، وحبك، فتقول: ما كنتُ علمتُ بمكانك، فتقول آرأه: أوَ ما تعلم أن الله تعالى قال: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءً بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [السجدة: ١٧]، فتقول: بلى وربي، فلعلك تُشغَل عنها بعد ذلك الموقف أربعين خريفاً، لا تلتفت ولا تعود، ولا يشغلك عنها إلا ما أنت فيه من النعيم والكرامة.

وإذا اشتقتَ يا عبد الله إلى أخيك المؤمن في الجنة، يسير سريرك إلى سريره، وسريره إلى سريرك، حتى تجتمعا جميعاً، فتتكئ أنت ويتكئ هو، فتقول لصاحبك: أتعلم متى غفر الله

لنا؟ فيقول صاحبك: نعم، يوم كنا في موضع كذا وكذا، فدعونا الله فغفر لنا.

زيارات أخرى لأهل الدرجات:

إذا كان لأهل الجنة ما تشتهي أنفسهم فيها ولهم فيها. ما يدعون فأي شيء أشهى على النفس من زيارة إخوان كان يربط بينهم في الدنيا حب الله والسير في الطريق إليه.

وعليه فهل تحصل زيارات في الجنة يسرون بها وينعمون على تفاوتهم في الدرجات، وارتفاع المنازل، وعلو المقامات ؟ نعم يا أخي القارئ الكريم ولم لا يكون لهم ذلك وكيف لا وقد علمت أن لهم فيها ما تشتهي أنفسهم وما يدعون، قال النبي ﷺ: «**إذا دخل أهل الجنة فيشتاق الإخوان بعضهم إلى بعض فيسير سرير هذا إلى سرير هذا، وسرير هذا إلى سرير هذا حتى يجتمعا جميعاً فيتكئ هذا، فيقول أحدهما لصاحبه : أتعلم متى غفر الله لنا ؟ فيقول صاحبه :نعم، يوم كنا في موضع كذا وكذا فدعونا الله تعالى فغفر لنا**»[1].

أما أبو هريرة رضي الله عنه فيروي لنا ويقول : إن أهل الجنة ليتزاورون على العيس الجون، عليها رجال الميس يثير مناسمها غبار المسك، خطام أو زمام أحدهما من الدنيا وما فيها.

يروي الترمذي عن النبي ﷺ قوله: «**إن في الجنة لمجتمعاً لحور العين يرفعن بأصوات لم يسمع الخلائق بمثلها يقلن : (نحن الخالدات فلا نبيد) و(نحن الناعمات فلا نبأس) و(نحن الراضيات فلا نسخط) (وطوبى لمن كان لنا وكنا له**» وإليك أخي القارئ مجتمعاً آخر لحور العين يا له من مجتمع عجيب !! دونك النهر على حافتيه صفوف الحور العين يغنين بأصوات يسمعها الخلائق حتى ما يرون في الجنة لذة مثلها) وقيل لأبي هريرة. وما ذاك الغناء فقال: (إن شاء الله التسبيح والتحميد والتقديس والثناء على الرب عز وجل).

أكرم زيارة:

أية زيارة أكرم يا أخي، وأية زيارة أعظم، وأية زيارة أشهى على النفس وأحب لها من تلك التي هي زيارة الرب تبارك وتعالى !!

---

(١) رواه البزار.

وعن علي رضي الله عنه عن النبي ﷺ قوله: «**إذا سكن أهل الجنة الجنة أتاهم ملك فيقول لهم: إن الله يأمركم أن تزوروه فيجتمعون، فيأمر الله تعالى داود عليه السلام فيرفع صوته بالتسبيح والتهليل ثم توضع مائدة الخلد**» ، قالوا يا رسول الله وما مائدة الخلد ؟ قال: «**زاوية من زواياها أوسع مما بين المشرق والمغرب فيطمعون، ثم يسقون، ثم يكسون،فيقولون لم يبق إلا النظر في وجه ربنا عز وجل، فيتجلى لهم فيخرون سجداً فيقال لهم : لستم في دار عمل، إنما أنتم في دار جزاء**»[1] .

سلام عليكم :

بينما أهل الجنة في نعيمهم إذ سطع لهم نور فرفعوا رؤوسهم فإذا الرب جل جلاله قد أشرف عليهم من فوقهم فقال : سلام عليكم يا أهل الجنة .

وهو قول الله تعالى من سورة يس: ﴿ سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴿٥٨﴾ ﴾ [يس: ٥٨] فلا يتلفتون إلى شيء مما هم فيه من النعيم ما داموا ينظرون إليه حتى يحتجب عنهم، وتبقى فيهم بركته ونوره .

إلى أعظم نعيم :

﴿ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ﴾ [التوبة: ٧٢] .

هكذا يقول الله تعالى في كتابه العزيز: ﴿ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ﴾ [التوبة: ٧٢] .

فقد ذكر تبارك وتعالى ما أعده لأوليائه وأهل وفادته من النعيم المقيم في جنات عدن، ثم قال بعد ذلك النعيم العظيم: ﴿ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ﴾ [التوبة: ٧٢] فعلم أن رضاه سبحانه وتعالى من عباده هو أكبر نعيم يلقونه في دار الإكرام والإنعام .

وقال رسول الله ﷺ : «**إن الله عز وجل يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة، فيقولون : لبيك ربنا وسعديك، والخير بيديك، فيقول : هل رضيتم ؟ فيقولون : وما لنا لا نرضى يا ربنا وقد أعطيتنا ما لم تعط أحداً من خلقك، فيقول : ألا أعطيكم أفضل من ذلك (فيقولون : وأي شيء أفضل من ذلك ؟ فيقول: أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم**

---

(١) رواه أبو نعيم في حليته .

بعده أبداً»[1] اللهم اجعلنا من أهل طاعتك ومحبتك ورضوانك . . . . . آمين .

رؤية الله تبارك وتعالى في الجنة :

قال الله تعالى: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ﴿٢٤﴾ تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴿٢٥﴾ ﴾ [القيامة: ٢٢ - ٢٥] .

وعن صهيب عن النبي ﷺ قال: «**إذا دخل أهل الجنة الجنة يقول الله تبارك وتعالى: أتريدون شيئاً أزيدكم؟ فيقولون: ألم تبيض وجوهنا، ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار، قال: فيرفع الحجاب فينظرون إلى وجه الله تعالى فما أعطوا شيئاً أحب إليهم من النظر إلى ربهم ثم** تلا: ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ [يونس: ٢٦]» .

قال العلماء: الحسنى الجنة والزيادة هي النظر إلى وجه الله تعالى الكريم اللهم ارزقنا ذلك بفضلك .

وعن ابن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «**إن أدنى أهل الجنة منزلة لمن ينظر إلى جنانه وزوجاته ونعيمه وخدمه وسرره مسيرة ألف سنة، وأكرمهم على الله من ينظر إلى وجهه تعالى غدوة وعشية**» ثم قرأ: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ [القيامة: ٢٢ - ٢٣] .

وفي الصحيحين عن جرير بن عبد الله قال: نظر رسول الله إلى القمر ليلة البدر قال: «**إنكم سترون ربكم عياناً كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته فإن استطعتم أن لا تغلبوا عن صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوه ثم قرأ:** ﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ﴾ [طه: ١٣٠]» .

وعن سعيد بن المسيب أنه لقي أبا هريرة فقال: أسأل الله أن يجمع بيني وبينك في سوق الجنة فقال: سعيد أفيها سوق؟ قال: نعم أخبرني رسول الله ﷺ : «**أن أهل الجنة إذا دخلوها نزلوا فيها بفضل أعمالهم ثم يؤذن لهم في مقدار يوم الجمعة من أيام الدنيا فيزورون ربهم لهم عرشه ويتبدى لهم في روضة من رياض الجنة، فتوضع لهم منابر من نور ومنابر من لؤلؤ**

---

(١) رواه البخاري .

ومنابر من ياقوت ومنابر من زبرجد ومنابر من ذهب ومنابر من فضة، ويجلس أدناهم وما فيهم دنى على كثبان المسك والكافور، ما يرون أن أصحاب الكراسي بأفضل منهم مجلساً»[1].

قال أبو هريرة: قلت: يا رسول اللّه وهل نرى ربنا؟ قال: «نعم هل تتمارون في رؤية الشمس والقمر ليلة البدر؟» قلنا: لا، قال: «كذلك لا تتمارون في رؤية ربكم ولا يبقى في ذلك المجلس إلا حاضرة اللّه محاضرة حتى يقول للرجل منهم: يا فلان ابن فلان أتذكر يوم قلت كذا وكذا، فيذكره ببعض غدراته في الدنيا، فيقول: أفلم تغفر لي؟ فيقول؟ فبسعة مغفرتي بلغت منزلتك هذه، فبينما هم على ذلك غشيتهم سحابة من فوقهم فأمطرت عليهم طيباً لم يجدوا مثل ريحه شيئاً قط، ويقول ربنا: قوموا إلى ما أعددت لكم من الكرامة، فخذوا ما اشتهيتم فيأتون سوقاً قد حفت بهم الملائكة فيها ما لم تنظر العيون إلى مثله، ولم تسمع الآذان ولم يخطر على القلوب، فيجمع لنا ما اشتهينا ليس يباع فيها ولا يشتري، وفي ذلك السوق يلقى أهل الجنة بعضهم بعضاً».

قال: «فيقبل الرجل ذو المنزلة المرتفعة فيلقى من دونه وما فيهم دنى، فيروعه ما يرى من اللباس فما ينقضي آخر حديثه حتى يتخيل عليه ما هو أحسن منه، وذلك أنه لا ينبغي لأحد أن يحزن فيها، ثم ننصرف إلى منازلنا فتتلقانا أزواجنا، فيقلن مرحباً وأهلاً لقد جئت وإن بك من الجمال أفضل مما فارقنا، فنقول: إنا جالسنا اليوم ربنا الجبار ويحق لنا أن ننقلب بمثل ما انقلبنا».

العشرة المبشرون بالجنة:

عن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه، أن النبيﷺ قال: «أبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعلي في الجنة، وعثمان في الجنة، وطلحة في الجنة، والزبير بن العوام في الجنة، وعبد الرحمن بن عوف في الجنة، وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل في الجنة، وأبو عبيدة بن

(١) رواه الترمذي.

الجراح في الجنة»[١].

والعشرة المبشرون بالجنة هم:

أبو بكر رضي الله عنه:

هو عبد الله بن أبي قحافة، من قبيلة قريش، ولد بعد الرسول ﷺ بثلاث سنين، أمه أم الخير سلمى بنت صخر التيمية، كان يعمل بالتجارة اعتنق الإسلام دون تردد، فهو أول من أسلم من الرجال الأحرار، ثم أخذ يدعو لدين الله فاستجاب له عدد من قريش من بينهم عثمان بن عفان، والزبير بن العوام وعبد الرحمن بن عوف، والأرقم بن أبي الأرقم.

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «**من أصبح منكم اليوم صائما؟**» فقال أبو بكر: أنا. فقال: «**من أطعم منكم اليوم مسكينا؟**» فقال أبو بكر: أنا. قال: «**من تبع منكم اليوم جنازة؟**» فقال أبو بكر: أنا. فقال: «**من عاد منكم اليوم مريضا؟**» فقال أبو بكر: أنا فقال رسول الله ﷺ: «**ما اجتمعت هذه الخصال قط في رجل إلا دخل الجنة**»[٢].

مناقبه وكراماته:

- مناقب أبو بكر - رضي الله عنه- كثيرة ومتعددة فمن مناقبه السبق إلى أنواع الخيرات والعبادات حتى قال عمر بن الخطاب: ما سبقت أبا بكر إلى خير إلاّ سبقني.

وكان أبو بكر الصديق يفهم إشارات الرسول ﷺ التي تخفى على غيره كحديث: «**إن عبداً خيره الله بين الدنيا وبين ما عنده، فاختار ما عنده**»، ففهم أنه عليه الصلاة والسلام ينعي نفسه، ومن ذلك أيضا فتواه في حضرة الرسول ﷺ وإقراره على ذلك.

وهو أول خليفة في الإسلام، وأول من جمع المصحف الشريف، وأول من أقام للناس حجّهم في حياة رسول الله ﷺ وبعده. وكان في الجاهلية قد حرم على نفسه شرب الخمر، وفي الإسلام امتنع عن قول الشعر. كما أنه - رضي الله عنه- لم يفته أي مشهد مع الرسول ﷺ.

---

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده.

(٢) رواه مسلم وغيره.

وقد قال لـه الرسول ﷺ : «**أنت عتيق الله من النار**» ، فسمّي عتيقاً .

وقـد بلغ بلال بن رباح أن ناساً يفضلونه على أبي بكر فقال : (كيف تفضّلوني عليه ، وإنما أنا حسنة من حسناته !!) .

عن أبي الدرداء - رضي الله عنه- قال: كنت جالسا عند النبي ﷺ إذ أقبل أبو بكر آخذا بطرف ثوبه حتى أبدى عن ركبته ، فقال النبي ﷺ : «**أما صاحبكم فقد غامر**» . فسلم وقال : (إنـي كـان بيني وبين عمر فأسرعت إليه ثم ندمت ، فسألته أن يغفر لي ، فأبى علي فأقبلت إليك) . فقـال : «**يغفر الله لك يا أبا بكر**» . ثلاثـا ، ثم إن عمر ندم ، فأتى منزل أبي بكر ، فسأل : (أثـم أبـو بكـر) . فقالـوا : (لا) فأتـى إلى النبي ﷺ فسلم ، فجعل وجه النبى ﷺ يتمعـر ، حتى أشفق أبو بكر ، فجثا على ركبتيه فقال : (يا رسول الله ، والله أنا كنت أظلم مـرتين) . فقـال الـنبي ﷺ : «**إن الله بعـثني إليكم فقلتم: كذبت، وقال أبو بكر: صدق، وواساني بنفسه وماله، فهل أنتم تاركوا لي صاحبي**» . مرتين فما أوذي بعدها .

عمر رضي الله عنه :

أبـو حفـص ، عمـر بـن الخطاب بن نُفيل القرشي العدوي ، ولد بعد عام الفيل بثلاث عـشرة سنة (٤٠ عام قبل الهجرة) ، وكانت لـه مكانة رفيعـة في قومه إذ كانت لـه السفارة في الجاهلـية ، وأصـبح بعـد الإسـلام : (الفـاروق) الـصحابي العظـيم الـشجاع صـاحب الفتوحات ، وأول من لقب بأمير المؤمنين .

عمر في الأحاديث النبوية:

رُويَ عـن الرسـول ﷺ العديـد من الأحاديث التي تبين فضل عمـر بن الخطاب نذكر مـنها: «**إن الله سبحانـه جعل الحق على لسان عمر وقلبه**» ، «**الحق بعدي مع عمـر حيث كـان**» ، «**لـو كان بعدي نبيّ لكان عمـر بن الخطاب**» ، «**إن الشيطان لم يلق عمـر منذ أسلم إلا خرَّ لوجهه**» .

«**مـا في الـسماء ملك إلا وهو يوقّر عمر، ولا في الأرض شيطان إلا وهو يفرق من عمر**» .

قـال الرسـول ﷺ : «**رأيـتني دخلت الجنة فإذا أنا بالرميصاء امرأة أبي طلحة وسمعت**

خشفاً أمامي، فقلت : ما هذا يا جبريل ؟ قال : هذا بلال، ورأيت قصرا أبيض بفنائه جارية، فقلت : لمن هذا القصر ؟ قالوا : لعمر بن الخطاب، فأردت أن أدخله فأنظر إليه، فذكرت غيْرتك» . فقال عمر : بأبي وأمي يا رسول الله أعليك أغار ! .

وقال الرسول ﷺ : **«بيْنا أنا نائم إذ أتيت بقدح لبنٍ، فشربت منه حتى إني لأرى الريّ يجري في أظفاري، ثم أعطيت فضْلي عمر بن الخطاب»** . قالوا : فما أوّلته يا رسول الله ؟ . قال : **«العلم»** .

قال الرسول ﷺ : **«بينا أنا نائم رأيت الناس يعرضون عليّ وعليهم قمصٌ، منها ما يبلغ الثدي ومنها ما يبلغ أسفل من ذلك، وعُرِضَ عليّ عمر بن الخطاب وعليه قميص يجرّه»** . قالوا : فما أوّلته يا رسول الله ؟ . قال : **«الدين»** .

خلافة عمر:

رغب أبو بكر - رضي الله عنه - في شخصية قوية قادرة على تحمل المسؤولية من بعده ، واتجه رأيه نحو عمر بن الخطاب فاستشار في ذلك عددًا من الصحابة مهاجرين وأنصارا فأثنوا عليه خيرا ومما قاله عثمان بن عفان : اللهم علمي به أن سريرته أفضل من علانيته ، وأنه ليس فينا مثله . وبناء على تلك المشورة وحرصا على وحدة المسلمين ورعاية مصلحتهم . .

أوصى أبو بكر الصديق بخلافة عمر من بعده ، وأوضح سبب اختياره قائلا : اللهم إني لم أرد بذلك إلا صلاحهم ، وخفت عليهم الفتنة فعملت فيهم بما أنت أعلم ، واجتهدت لهم رأيا فوليت عليهم خيرهم وأقواهم عليهم . ثم أخذ البيعة العامة له بالمسجد إذ خاطب المسلمين قائلا : أترضون بمن أستخلف عليكم ؟ فوالله ما آليت من جهد الرأي ، ولا وليت ذا قربى ، وإني قد استخلفت عمر بن الخطاب فاسمعوا له وأطيعوا . فرد المسلمون: (سمعنا وأطعنا) . وبايعوه سنة (١٣ هـ) .

إنجازاته:

استمرت خلافته عشر سنين تم فيها كثير من الإنجازات المهمة . لهذا وصفه ابن مسعود - رضي الله عنه - فقال : (كان إسلام عمر فتحا ، وكانت هجرته نصرا ، وكانت إمامته

رحمة ، ولقد رأيتنا وما نستطيع أن نصلي إلى البيت حتى أسلم عمر ، فلما أسلم عمر قاتلهم حتى تركونا فصلينا .

فهو أول من جمع الناس لقيام رمضان في شهر رمضان سنة (١٤ هـ) .

وأول من كتب التاريخ من الهجرة في شهر ربيع الأول سنة (١٦ هـ) .

وأول من عسّ في عمله ، يتفقد رعيته في الليل وهو واضع الخراج .

كما أنه مصّر الأمصار ، واستقضى القضاة ، ودون الدواوين ، وفرض الأعطية ، وحج بالناس عشر حِجَجٍ متوالية ، وحج بأمهات المؤمنين في آخر حجة حجها .

وهدم مسجد الرسولﷺ وزاد فيه ، وأدخل دار العباس بن عبد المطلب فيما زاد ، ووسّعه وبناه لمّا كثر الناس بالمدينة .

وهو أول من ألقى الحصى في المسجد النبوي ، فقد كان الناس إذا رفعوا رؤوسهم من السجود نفضوا أيديهم ، فأمر عمر بالحصى فجيء به من العقيق ، فبُسِط في مسجد الرسولﷺ .

وعمر - رضي الله عنه - هو أول من أخرج اليهود وأجلاهم من جزيرة العرب إلى الشام ، وأخرج أهل نجران وأنزلهم ناحية الكوفة .

عثمان رضي الله عنه :

هو عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية ، يجتمع نسبه مع رسول اللهﷺ وسلم في عبد مناف ، ولد في السنة السادسة بعد عام الفيل ، نشأ في بيت كريم ذي مال وجاه ، وشب على حسن السيرة والعفة والحياء فكان محبوبا في قومه . تزوج عثمان -رضي الله عنه- من رقية بنت رسول اللهﷺ فلما توفيت تزوج أختها أم كلثوم ولذلك سمي (ذا النورين) .

فضله:

دخل رسول اللهﷺ على ابنته وهي تغسل رأس عثمان فقال: «**يا بنيّة أحسني إلى أبي عبد الله فإنه أشبهُ أصحابي بي خُلُقاً**» . . وقال رسول اللهﷺ : «**مَنْ يُبغضُ عثمان أبغضه الله**» . . وقال: «**اللهم ارْضَ عن عثمان**» . وقال: «**اللهم إن عثمان يترضّاك فارْضَ عنه**» .

اختَصّه رسول الله ﷺ بكتابة الوحي ، وقد نزل بسببه آيات من كتاب الله تعالى ، وأثنى عليه جميع الصحابة ، وبركاته وكراماته كثيرة ، وكان عثمان - رضي الله عنه - شديد المتابعة للسنة ، كثير القيام بالليل .

قال عثمان رضي الله عنه: (ما تغنيّتُ ولّما تمنّيتُ ، ولا وضعتُ يدي اليمنى على فرجي منذ بايعتُ بها رسول الله ﷺ وما مرّت بي جمعة إلا وأعتقُ فيها رقبة ، ولا زنيتُ في جاهلية ولا إسلام ، ولا سرقت) .

اللهم اشهد:

عن الأحنف بن قيس رضي الله عنه قال: انطلقنا حجّاجاً فمروا بالمدينة ، فدخلنا المسجد ، فإذا علي بن أبي طالب والزبير وطلحة وسعد بن أبي وقاص . فلم يكن بأسرع من أن جاء عثمان عليه ملاءة صفراء قد منع بها رأسه فقال : (أها هنا عليّ ؟) . قالوا: نعم . قال: (أنشدكم بالله الذي لا إله إلا هو أتعلمون أن رسول الله ﷺ قال : «**من يبتاع مِرْبدَ بني فلان غفر الله له**» . فابتعته بعشرين ألفاً أو بخمسة وعشرين ألفاً ، فأتيت رسول الله ﷺ فقلت: (إني قد ابتعته) . فقال: «**اجعله في مسجدنا وأجره لك**» . قالوا: نعم

قال: (أنشدكم بالله الذي لا إله إلا هو أتعلمون أن رسول الله ﷺ قال: «**من يبتاع بئر رومة غفر الله له**» فابتعتها بكذا وكذا ، فأتيت رسول الله ﷺ فقلت: (إني قد ابتعتها) . فقال: اجعلها سقاية للمسلمين وأجرها لك . قالوا : نعم

قال: (أنشدكم بالله الذي لا إله إلا هو أتعلمون أن رسول الله ﷺ نظر في وجوه القوم يوم (جيش العُسرة) فقال: «**من يجهز هؤلاء غفر الله له**» . فجهزتهم ما يفقدون خطاماً ولا عقالاً . .قالوا : نعم ، قال: (اللهم اشهد اللهم اشهد) ثم انصرف .

علي رضي الله عنه :

هو ابن عم النبي ﷺ، ولد قبل البعثة النبوية بعشر سنين وأقام في بيت النبوة فكان أول من أجاب إلى الإسلام من الصبيان ، هو أحد العشرة المبشرين بالجنة ، وزوجته فاطمة الزهراء ابنة النبي ﷺ ووالد الحسن والحسين سيدي شباب الجنة .

أبو تراب:

دخل علي على فاطمة -رضي الله عنهما- ، ثم خرج فاضطجع في المسجد ، فقال النبي ﷺ : «**أين ابن عمك**» قالت : (في المسجد) ، فخرج إليه فوجد رداءه قد سقط عن ظهره ، وخلص التراب إلى ظهره ، فجعل يمسح التراب عن ظهره**ويقول** : «**اجلس يا أبا تراب**» مرتين .

غزواته في سبيل الله:

شهد عليٌّ - رضي اللّه عنه - الغزوات مع رسول اللّه ﷺ ، فكان له شأن عظيم ، وأظهر شجاعة عجيبة ، وأعطاه رسول اللّه ﷺ اللواء في مواطن كثيرة .

في غزوة بدر الكبرى ، كان أمام رسول اللّه ﷺ رايتان سوداوان ، إحداهما مع عليٍّ يقال لها: (العقاب) والأخرى مع الأنصار . وأمره رسول اللّه ﷺ أن يبارز في هذه الغزوة الوليدَ بن عتبة ، فبارزه وقتله وكان من أشد أعداء رسول اللّه .

وفي غزوة أحد ، قام طلحة بن عثمان فقال: يا معشر أصحاب محمد! إنكم تزعمون أن اللّه يعجلنا بسيوفكم إلى النار ويعجلكم بسيوفنا إلى الجنة ، فهل منكم أحد يعجله اللّه بسيفي إلى الجنة ، أو يعجلني بسيفه إلى النار؟؟

فقام إليه عليٌّ بن أبي طالب - رضي اللّه عنه - فقال: والذي نفسي بيده ، لا أفارقك حتى أعجلك بسيفي إلى النار ، أو تعجلني بسيفك إلى الجنة ، فضربه عليٌّ فقطع رجله فسقط فانكشفت عورته .

فقال: أنشدك اللّه والرحم يا بن عم ، فتركه ، فكبّر رسول اللّه ﷺ ، وقال لعليٍّ أصحابُه: ما منعك أن تجهز عليه؟ قال: إن ابن عمي ناشدني حين انكشفت عورته . فاستحييتُ منه .

وفي غزوة خيبر ، أعطى رسول اللّه ﷺ اللواء عمر بن الخطاب ونهض من نهض معه من الناس فلقوا أهل خيبر فانكشف عمر وأصحابه فرجعوا إلى رسول اللّه ﷺ يجبنه أصحابه ويجبنهم ، فقال رسول اللّه ﷺ: «**لأعطين اللواء غداً رجلاً يحب اللّه ورسوله، ويحبه اللّه ورسوله**» فلما كان من الغد تطاول لها أبو بكر وعمر فدعا عليّاً ، وهو أرمد فتفل في

عينيه وأعطاه اللواء .

وأرسل رسول اللّه ﷺ عليّاً والزبير بن العوام في أثر المرأة التي أعطاها حاطب بن أبي بلتعة كتاباً إلى قريش وذلك لَما أجمع رسول اللّه ﷺ المسير إلى مكة . فخرجا وأدركاها بالخليفة فاستنزلاها فالتمسا في رحلها فلم يجدا شيئاً . فقال لها عليُّ بن أبي طالب: إني أحلف ما كذب رسول اللّه ، ولا كذبنا ، ولتُخْرِجِنَّ إليَّ هذا الكتاب أو لنكشفنك ، فلما رأت الجدَّ منه ، قالت: أعرض عني ، فأعرض عنها . فحلّت قرون رأسها فاستخرجت الكتاب منه . فدفعته إليه ، فجاء به إلى رسول اللّه ﷺ .

وكان عليٌّ - رضي اللّه عنه - ممن ثبت مع رسول اللّه ﷺ في غزوة حنين حين انهزم المسلمون كما ثبت في غزوة أحد .

وفي غزوة تبوك خلّف رسول اللّه ﷺ عليَّ بن أبي طالب على أهله وأمره بالإقامة فيهم . فأرجف المنافقون بعليٍّ وقالوا: ما خلّفه إلا استثقالاً له وتخففاً منه . فلما قال ذلك المنافقون أخذ عليٌّ سلاحه ، ثم خرج حتى أتى رسول اللّه ﷺ وهو بالجُرْف - موضع على ثلاثة أميال من المدينة - فقال: يا نبيَّ اللّه زعم المنافقون أنك لَما خلفتني أنك استثقلتني وتخففت مني . فقال: «**كذبوا ولكني إنما خلفتك لما ورائي فارجع فاخلفني في أهلي وأهلك. أفلا ترضى يا عليّ أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى، إلا أنه لا نبيّ بعدي**» فرجع عليٌّ إلى المدينة ومضى رسول اللّه ﷺ على سفره .

وعن أنس رضي اللّه عنه ، عن النبي ﷺ أنه قال: «**أقضَى أمّتي عليٌّ**» . وعن عمر بن الخطاب رضي اللّه عنه قال: أقضانا عليُّ بن أبي طالب .

وعن معاذ بن جبل قال: قال رسول اللّه ﷺ لعليٍّ: «**تخصم الناسَ بسبع، ولا يحاجك أحد من قريش، أنت أولهم إيماناً باللّه، وأوفاهم بعهد اللّه، وأقسمهم بالسوية، وأعدلهم في الرعية، وأبصرهم بالقضية، وأعظمهم عند اللّه مزية**» .

عن عليٍّ رضي اللّه عنه قال: بعثني رسول اللّه ﷺ إلى اليمن قاضياً وأنا حديث السنِّ . فقلت: يا رسول اللّه تبعثني إلى قوم يكون بينهم أحداث ولا علم لي بالقضاء .

قال: «**إن اللّه سيَهدي لسانك، ويثبت قلبك**» .

قال: فما شككت في قضاء بين اثنين. وفي رواية: «**إن الله يثبت لسانك، ويهدي قلبك**» ثم وضع يده على فمه.

صدقته وزهده وتواضعه:

عن عمّار بن ياسر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ لعليٍّ: «**إن الله قد زيّنك بزينة لم يزين العباد بزينة أحب منها، هي زينة الأبرار عند الله، الزهد في الدنيا. فجعلك لا تسرزأ من الدنيا ولا ترزأ الدنيا منك شيئاً، ووصب لك المساكين فجعلك ترضى بهم أتباعاً ويرضون بك إماماً**».

اشترى عليٌّ رضي الله عنه تمراً بدرهم فحمله في ملحفته فقيل له: يا أمير المؤمنين ألا نحمله عنك؟ قال: أبو العيال أحق بحمله. وعوتبَ في لباسه، فقال: ما لكم وللباسي! هذا هو أبعد من الكبر وأجدر أن يقتدي به المسلم.

أبو عبيدة رضي الله عنه:

أبو عبيدة عامر بن عبد الله بن الجراح الفهري، يلتقي مع النبي ﷺ في أحد أجداده (فهر ابن مالك) أسلم على يد أبي بكر الصديق في الأيام الأولى للإسلام، وهاجر إلى الحبشة في الهجرة الثانية ثم عاد ليشهد مع الرسول ﷺ المشاهد كلها.

جهاده:

غزوتا بدر وأحد:

وَقَدْ شَهِدَ أَبُو عُبَيْدَةَ بَدْراً، فَقَتَلَ يَوْمَئِذٍ أَبَاهُ، روى بعض أهل السير أنه لما كان يوم بدر، جعل عبد الله بن الجراح -أبو أبي عبيدة وكان مشركًا- يتعرض لأبي عبيدة فيعرض عنه أبو عبيدة، فلما أكثر أبوه قصده، قتله أبو عبيدة؛ فأنزل الله تعالى قوله: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ [المجادلة: ٢٢].

وَأَبْلَى يَوْمَ أُحُدٍ بَلاَءً حَسَناً، وَنَزَعَ يَوْمَئِذٍ الحَلْقَتَيْنِ اللَّتَيْنِ دَخَلَتَا مِنَ المِغْفَرِ فِي وَجْنَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنْ ضَرْبَةٍ أَصَابَتْهُ، فَانْقَلَعَتْ ثَنِيَّتَاهُ، فَحَسُنَ ثَغْرُهُ بِذَهَابِهِمَا، حَتَّى قِيلَ: مَا رُؤِيَ هَتْمٌ قَطُّ أَحْسَنُ مِنْ هَتْمِ أَبِي عُبَيْدَةَ.

غزوة ذات السلاسل:

قَالَ مُوسَى بنُ عُقْبَةَ فِي (مَغَازِيهِ): كان عَمْرِو بنِ العَاص فى غزوة هِيَ غَزْوَةُ ذَاتِ السَّلاَسِلِ، مِنْ مَشَارِفِ الشَّام، فطلب المدد من رَسُوْلَ اللهِ ﷺ فَانْتَدَبَ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ ومجموعة مِنَ المُهَاجِرِيْنَ، وجعلَ نَبِيُّ اللهِ أَبَا عُبَيْدَةَ أميرا عليهم.

فَلَمَّا قَدِمُوا عَلَى عَمْرِو بنِ العَاصِ، قَالَ: أَنَا أَمِيْرُكُم. فَقَالَ المُهَاجِرُوْنَ: بَلْ أَنتَ أَمِيرُ أَصْحَابِكَ، وَأَمِيْرُنَا أَبُو عُبَيْدَةَ.

فَقَالَ عَمْرٌو: إِنَّمَا أَنْتُم مَدَدٌ أُمْدِدْتُ بِكُم. فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ أَبُو عُبَيْدَةَ بنُ الجَرَّاحِ، وَكَانَ رَجُلاً حَسَنَ الخُلُقِ، لَيِّنَ الشِّيْمَةِ، مُتَّبِعاً لأَمْرِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَعَهْدِهِ، فَسَلَّمَ الإِمَارَةَ لِعَمْرٍو.

الخروج إلى الشام:

وحظي (أبو عبيدة) بثقة خليفة المسلمين (أبي بكر الصديق) - رضي الله عنه، وهو الذي زكّاه النبي ﷺ ووصفه بـ"أمين الأمة"، فلم يجد "أبو بكر" من يقوم بأمر مال المسلمين خيرًا منه، فولاه بيت مال المسلمين، فكان يتلقى أموال الزكاة، وينظر في توزيعها على حاجات المسلمين.

وكان (أبو عبيدة) ممن استشارهم (الصدّيق) لغزو (الشام) بعد وفاة النبي ﷺ، وحاجة الدولة الإسلامية الناشئة إلى تأمين حدودها من الأخطار المحدقة بها، وتأكيد قوتها أمام القوى الخارجية المتربصة بها، والحفاظ على هيبتها ومكانتها في نفوس أعدائها.

فلما فرغ (الصديق) من حرب أهل الردة، وحرب مسيلمة الكذّاب، واستطاع تأمين الدولة من الداخل ضد القبائل العربية المتمردة، وفلول المرتدين من مانعي الزكاة ومدّعي النبوة وغيرهم، جهَّز الأمراء والجنود لفتح الشام، ووقع اختياره على "أبي عبيدة" و"يزيد ابن أبي سفيان" و"عمرو بن العاص" و"شرحبيل بن حسنة"؛ ليكونوا على قيادة الجيوش المتجهة إلى الشام، واستطاع هؤلاء القادة أن يحققوا الانتصارات.

في السابع من شعبان من العام الثاني عشر الهجري خرج (أبو عبيدة بن الجراح) إلى (الشام) قائدًا على أحد جيوش المسلمين للتصدي للروم، ونشر راية الإسلام، ودعوة الحق والعدل والتوحيد.

واستطاع (أبو عبيدة) أن يتوغل بجنوده في أرض الشام، مارًّا بوادي القرى وبالحجر، فلما دخل (مآب) قاومه الروم وعرب (مآب) فتصدى لهم وأخضعهم، فلما بلغ (الجابية) جاءته الأنباء بتجهيز (الروم) بقيادة (هرقل) للقاء المسلمين بجيش كبير.

تحت إمرة (خالد):

وأرسل (أبو عبيدة) إلى (أبي بكر) يستشيره في الأمر، فأمدَّه الخليفة بجيش كبير، وكتب إليه يقول: " أما بعد، فإني قد وليت خالد بن الوليد قتال الروم في الشام فلا تخالفه، واسمع له، وأطع أمره، فإني وليته عليك وأنا أعلم أنك خير منه، ولكن ظننت أن له فطنة في الحرب ليست لك. أراد الله بنا وبك سبيل الرشاد ".

وبسماحة رحبة وتواضع عظيم يسلم (أبو عبيدة) قياده لخالد بن الوليد، فيجعله (خالد) على المشاة، وانطلق جيش المسلمين ليحاصر (دمشق)، فنزل (خالد) على الباب الشرقي، ونزل (أبو عبيدة) على باب الجابية، وبقية القوَّاد على الأبواب الأخرى.

ووسط هذه الأحداث الصعبة جاء خطاب (عمر بن الخطاب) - رضي الله عنه - إلى (أبي عبيدة) ينعي إليه نبأ وفاة (أبي بكر)، ويخبره بعزل (خالد بن الوليد) عن قيادة الجيش، وتوليته هو القيادة بدلاً منه.

أبو عبيدة أمين هذه الأمة:

عَنْ أَنَسٍ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَمِيناً، وَأَمِينُ هَذِهِ الأُمَّةِ: أَبُو عُبَيْدَةَ بنُ الجَرَّاحِ**».

عَنْ حُذَيْفَةَ، قَالَ: أَتَى النَّبِيَّ ﷺ أُسْقُفَا نَجْرَانَ: العَاقِبُ وَالسَّيِّدُ، فَقَالاَ: ابْعَثْ مَعَنَا أَمِيناً حَقَّ أَمِينٍ. فَقَالَ: «**لأَبْعَثَنَّ مَعَكُم رَجُلاً أَمِيناً حَقَّ أَمِيْنٍ**». فَاسْتَشْرَفَ لَهَا النَّاسُ، فَقَالَ: «**قُمْ يَا أَبَا عُبَيْدَةَ**»، فَأَرْسَلَهُ مَعَهُم.

لَمَّا وصل عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ إلى " سَرْغ "، قالوا له أَنَّ بِالشَّامِ وَبَاءً شَدِيداً، فَقَالَ: إِنْ أَدْرَكَنِي أَجَلِي، وَأَبُو عُبَيْدَةَ حَيٌّ، اسْتَخْلَفْتُهُ، فَإِنْ سَأَلَنِي اللهُ - عَزَّ وَجَلَّ: لِمَ اسْتَخْلَفْتَهُ عَلَى أُمَّةِ مُحَمَّدٍ؟ قُلْتُ: إِنِّي سَمِعْتُ رَسُوْلَ اللهِ ﷺ يَقُوْلُ: «**إِنَّ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَمِيناً، وَأَمِينُ هَذِهِ الأُمَّةِ: أَبُو عُبَيْدَةَ بنُ الجَرَّاحِ**».

قَالَ: فَأَنْكَرَ القَوْمُ ذَلِكَ، وَقَالُوا: مَا بَالُ عَلْيَاءِ قُرَيْشٍ؟

ثُمَّ قَالَ: وَإِنْ أَدْرَكَنِي أَجَلِي، وَقَدْ تُوُفِّيَ أَبُو عُبَيْدَةَ، أَسْتَخْلِفْ مُعَاذَ بنَ جَبَلٍ، فَإِنْ سَأَلَنِي رَبِّي قُلْتُ: إِنِّي سَمِعْتُ نَبِيَّكَ يَقُوْلُ: «**إِنَّهُ يُحْشَرُ يَوْمَ القِيَامَةِ بَيْنَ يَدَيِ العُلَمَاءِ بِرُتْوَةٍ**».

عَنْ عَبْدِ اللهِ، قَالَ: سَأَلْتُ عَائِشَةَ: أَيُّ أَصْحَابِ رَسُوْلِ اللهِ ﷺ كَانَ أَحَبَّ إِلَيْهِ؟ قَالَتْ: «**أَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ عُمَرُ، ثُمَّ أَبُو عُبَيْدَةَ بنُ الجَرَّاحِ**».

عَنْ أَبِي الزُّبَيْرِ، عَنْ جَابِرٍ، قَالَ: كُنْتُ فِي الجَيْشِ الَّذِينَ مَعَ خَالِدٍ، الَّذِيْنَ أَمَدَّ بِهِم أَبَا عُبَيْدَةَ وَهُوَ مُحَاصِرٌ دِمَشْقَ، فَلَمَّا قَدِمْنَا عَلَيْهِم قَالَ لِخَالِدٍ: تَقَدَّمْ، فَصَلِّ، فَأَنْتَ أَحَقُّ بِالإِمَامَةِ؛ لأَنَّكَ جِئْتَ تَمُدُّنِي.

فَقَالَ خَالِدٌ: مَا كُنْتُ لأَتَقَدَّمَ رَجُلاً سَمِعْتُ رَسُوْلَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**لِكُلِّ أُمَّةٍ أَمِينٌ، وَأَمِينُ هَذِهِ الأُمَّةِ: أَبُو عُبَيْدَةَ بنُ الجَرَّاحِ**».

حسن خلقه:

عَنِ الحَسَنِ: قَالَ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ: «**مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ لَوْ شِئْتُ لأَخَذْتُ عَلَيْهِ بَعْضَ خُلُقِهِ، إِلاَّ أَبَا عُبَيْدَةَ**».

وَكَانَ أَبُو عُبَيْدَةَ مَوْصُوْفاً بِحُسْنِ الخُلُقِ، وَبِالحِلْمِ الزَائِدِ، وَالتَّوَاضُعِ.

قَالَ عُمَرُ لِجُلَسَائِهِ: تَمَنَّوْا. فَتَمَنَّوْا، فَقَالَ عُمَرُ: لَكِنِّي أَتَمَنَّى بَيْتاً مُمْتَلِئاً رِجَالاً مِثْلَ أَبِي عُبَيْدَةَ بنِ الجَرَّاحِ.

قَالَ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ: «**مَا مِنْ أَصْحَابِي أَحَدٌ إِلاَّ لَوْ شِئْتُ أَخَذْتُ عَلَيْهِ، إِلاَّ أَبَا عُبَيْدَةَ**».

قَالَ ابْنُ مَسْعُوْدٍ: أَخِلاَّئِي مِنْ أَصْحَابِ رَسُوْلِ اللهِ ﷺ ثَلاَثَةٌ: أَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ، وَأَبُو عُبَيْدَةَ.

زهده وورعه:

كان أبو عبيدة رجلاً زاهدًا، دخل عمر بن الخطاب بيته في الشام فلم يجد شيئًا من متاع الدنيا فقال له: (كلنا غيرته الدنيا غيرك يا أبا عبيدة). وقال عنه عثمان بن عفان: رجلاً بأمة فلم ير مثله.

دَخَلَ رجل على أبي عبيدة فَوَجَدَهُ يَبْكِي ، فَقَالَ: مَا يُبْكِيْكَ يَا أَبَا عُبَيْدَةَ؟

قَالَ: يُبْكِينِي أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ ذَكَرَ يَوْماً مَا يَفْتَحُ اللهُ عَلَى المُسْلِمِيْنَ ، حَتَّى ذَكَرَ الشَّامَ ، فَقَالَ: «إِنْ نَسِيَ اللهُ فِي أَجَلِكَ، فَحَسْبُكَ مِنَ الخَدَمِ ثَلاَثَةٌ: خَادِمٌ يَخْدُمُكَ، وَخَادِمٌ يُسَافِرُ مَعَكَ، وَخَادِمٌ يَخْدِمُ أَهْلَكَ، وَحَسْبُكَ مِنَ الدَّوَابِّ ثَلاَثَةٌ: دَابَّةٌ لِرَحْلِكَ، وَدَابَّةٌ لِثِقَلِكَ، وَدَابَّةٌ لِغُلاَمِكَ» .

ثُمَّ هَا أَنَذَا أَنْظُرُ إِلَى بَيْتِي قَدِ امْتَلأَ رَقِيقاً ، وَإِلَى مَرْبِطِي قَدِ امْتَلأَ خَيْلاً ، فَكَيْفَ أَلْقَى رَسُوْلَ اللهِ ﷺ بَعْدَهَا؟ وَقَدْ أَوْصَانَا: «إِنَّ أَحَبَّكُم إِلَيَّ، وَأَقْرَبَكُمْ مِنِّي، مَنْ لَقِيَنِي عَلَى مِثْلِ الحَالِ الَّتِي فَارَقْتُكُمْ عَلَيْهَا» .

قَدِمَ عُمَرُ الشَّامَ ، فَتَلَقَّاهُ الأُمَرَاءُ وَالعُظَمَاءُ .

فَقَالَ: أَيْنَ أَخِي أَبُو عُبَيْدَةَ؟

قَالُوا: يَأْتِيْكَ الآنَ .

قَالَ: فَجَاءَ عَلَى نَاقَةٍ مَخْطُوْمَةٍ بِحَبْلٍ ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ لِلنَّاسِ: انْصَرِفُوا عَنَّا .

فَسَارَ مَعَهُ حَتَّى أَتَى منزلـه ، فَنَزَلَ عَلَيْهِ ، فَلَمْ يَرَ فِي بَيْتِهِ إِلاَّ سَيْفَهُ وَتُرْسَهُ وَرَحْلَهُ .

فَقَالَ لـه عُمَرُ : لَوِ اتَّخَذْتَ مَتَاعاً ، أَو شَيْئاً .

فَقَالَ: يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِيْنَ! إِنَّ هَذَا سَيُبَلِّغُنَا المَقِيلَ .

عَنِ ابْنِ عُمَرَ: أَنَّ عُمَرَ حِيْنَ قَدِمَ الشَّامَ ، قَالَ لأَبِي عُبَيْدَةَ: انْهَبْ بِنَا إِلَى مَنْزِلِكَ .

قَالَ: وَمَا تَصْنَعُ عِنْدِي؟ مَا تُرِيْدُ إِلاَّ أَنْ تُعَصِّرَ عَيْنَيْكَ عَلَيَّ .

قَالَ: فَدَخَلَ ، فَلَمْ يَرَ شَيْئاً ، قَالَ: أَيْنَ مَتَاعُكَ؟ لاَ أَرَى إِلاَّ لِبْداً وَصَحْفَةً وَشَنّاً ، وَأَنْتَ أَمِيْرٌ ، أَعِنْدَكَ طَعَامٌ؟

فَقَامَ أَبُو عُبَيْدَةَ إِلَى جَوْنَةٍ ، فَأَخَذَ مِنْهَا كُسَيْرَاتٍ ، فَبَكَى عُمَرُ ،

فَقَالَ لـه أَبُو عُبَيْدَةَ: قَدْ قُلْتُ لَكَ: إِنَّكَ سَتَعْصِرُ عَيْنَيْكَ عَلَيَّ يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ ، يَكْفِيكَ مَا يُبَلِّغُكَ المَقِيل .

قَالَ عُمَرُ: غَيَّرَتْنَا الدُّنْيَا كُلَّنَا ، غَيْرَكَ يَا أَبَا عُبَيْدَةَ .

وروى أَنَّ عُمَرَ أَرْسَلَ إِلَى أَبِي عُبَيْدَةَ بِأَرْبَعَةِ آلاَفٍ ، أَوْ بِأَرْبَعِ مَائَةِ دِيْنَارٍ ، وَقَالَ لِلرَّسُوْلِ: انْظُرْ مَا يَصْنَعُ بِهَا .

قَالَ: فَقَسَّمَهَا أَبُو عُبَيْدَةَ ، ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَى مُعَاذٍ بِمِثْلِهَا .

قَالَ: فَقَسَّمَهَا ، إِلاَّ شَيْئاً قَالَتْ لَه امْرَأَتُهُ: نَحْتَاجُ إِلَيْهِ ، فَلَمَّا أَخْبَرَ الرَّسُوْلُ عُمَرَ ، قَالَ: الحَمْدُ للهِ الَّذِي جَعَلَ فِي الإِسْلاَمِ مَنْ يَصْنَعُ هَذَا .

وروى أَنَّ أَبَا عُبَيْدَةَ كَانَ يَسِيْرُ فِي العَسْكَرِ ، فَيَقُولُ: أَلاَ رُبَّ مُبَيِّضٍ لِثِيَابِهِ ، مُدَنِّسٍ لِدِيْنِهِ! أَلاَ رُبَّ مُكْرِمٍ لِنَفْسِهِ وَهُوَ لَهَا مُهِيْنٌ! بَادِرُوا السَّيِّئَاتِ القَدِيمَاتِ بِالحَسَنَاتِ الحَدِيثَاتِ .

قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ! إِنِّي امْرُؤٌ مِنْ قُرَيْشٍ ، وَمَا مِنْكُم مِنْ أَحْمَرَ وَلاَ أَسْوَدَ يَفْضُلُنِي بِتَقْوَى ، إِلاَّ وَدِدْتُ أَنِّي فِي مِسْلاَخِهِ .

ومعنى وددت أنى فى مسلاخه : أى أكون مثله .

وفاته فى طاعون عمواس:

روى أَنَّ عُمَرَ كَتَبَ إِلَى أَبِي عُبَيْدَةَ فِي الطَّاعُوْنِ: إِنَّهُ قَدْ عَرَضَتْ لِي حَاجَةٌ ، وَلاَ غِنَى بِي عَنْكَ فِيْهَا ، فَعَجِّلْ إِلَيَّ .

فَلَمَّا قَرَأَ الكِتَابَ ، قَالَ: عَرَفْتُ حَاجَةَ أَمِيْرِ المُؤْمِنِيْنَ ، إِنَّهُ يُرِيْدُ أَنْ يَسْتَبْقِيَ مَنْ لَيْسَ بِبَاقٍ .

فَكَتَبَ: إِنِّي قَدْ عَرَفْتُ حَاجَتَكَ ، فَحَلِّلْنِي مِنْ عَزِيْمَتِك ، فَإِنِّي فِي جُنْدٍ مِنْ أَجْنَادِ المُسْلِمِيْنَ ، لاَ أَرْغَبُ بِنَفْسِي عَنْهُم .

فَلَمَّا قَرَأَ عُمَرُ الكِتَابَ ، بَكَى ، فَقِيلَ لَه: مَاتَ أَبُو عُبَيْدَةَ؟

قَالَ: لاَ ، وَكَأَنْ قَدْ .

قَالَ: فَتُوُفِّيَ أَبُو عُبَيْدَةَ ، وَانْكَشَفَ الطَّاعُونُ .

وَعَنِ الأَسْوَدِ ، عَنْ عُرْوَةَ: أَنَّ وَجَعَ عَمَوَاسَ كَانَ مُعَافًى مِنْهُ أَبُو عُبَيْدَةَ وَأَهْلُهُ ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ نَصِيْبَكَ فِي آلِ أَبِي عُبَيْدَةَ !

انْطَلَقَ أَبُو عُبَيْدَةَ مِنَ الجَابِيَةِ إِلَى بَيْتَ المَقْدِسِ لِلصَّلاَةِ ، فَاسْتَخْلَفَ عَلَى النَّاسِ مُعَاذَ بنَ جَبَلٍ .

فَأَدْرَكَهُ أَجَلُهُ بِفِحْلٍ ، فَتُوُفِّيَ بِهَا بِقُرْبِ بَيْسَانَ . وتُوفِّي "أبو عبيدة" في طاعون "عَمواس" وهي قرية بين (الرملة) و(بيت المقدس) في سنة (١٨هـ = ٦٣٩م) عن عمر بلغ ثمانية وخمسين عامًا ، ولم يعقُب له ولد .

سعد بن أبى وقاص رضي الله عنه :

سعد بن مالك بن أهيب الزهري القرشي أبو إسحاق ، فهو من بني زهرة أهل آمنة بنت وهب أم الرسول ﷺ فقد كان الرسول ﷺ يعتز بهذه الخؤولة فقد ورد أنه ﷺ كان جالسا مع نفر من أصحابه ، فرأى سعد بن أبي وقاص مقبلا ، فقال لمن معه : «**هذا خالي فليرني امرؤ خاله**» .

إسلامـــــه:

كان سعد بن أبى وقاص من أوائل من أسلم بالله ورسوله ، كان سعد فى ذلك الوقت في السابعة عشر من عمره ، لكنه كان يجمع بين رجاحة الكهول وحكمة الشيوخ و كان يصرف همه في برى السهام والتمرس بالرماية ، وكأنه كان يعد نفسه لأمر كبير . قذف الله في قلبه نور الهداية فأسرع إلى اعتناق الإسلام .

عَنْ سَعِيْدِ بنِ المُسَيَّبِ: سَمِعْتُ سَعْداً يَقُولُ: مَا أَسْلَمَ أَحَد فِي اليَوْمِ الَّذِي أَسْلَمْتُ ، وَلَقَدْ مَكَثْتُ سَبْعَ لَيَالٍ ، وَإِنِّي لَثُلُثُ الإِسْلاَمِ .

ثورة أمه:

كان سعد بن أبى وقاص من أكرم فتيان مكة وأشرفهم نسباً ، عَنْ أَبِي عُثْمَانَ: أَنَّ سَعْداً قَالَ:

نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ فِيَّ : ﴿ وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ﴾ [لقمان: ١٥] .

قَالَ: كُنْتُ بَرّاً بِأُمِّي ، فَلَمَّا أَسْلَمْتُ ، قَالَتْ: يَا سَعْدُ! مَا هَذَا الدِّينُ الَّذِي قَدْ أَحْدَثْتَ؟ لَتَدَعَنَّ دِينَكَ هَذَا ، أَو لاَ آكُلُ ، وَلاَ أَشْرَبُ حَتَّى أَمُوْتَ ، فَتُعَيَّرَ بِي ، فَيُقَالُ: يَا قَاتِلَ أُمِّهِ .

قُلْتُ: لاَ تَفْعَلِي يَا أُمَّهُ، إِنِّي لاَ أَدَعُ دِيْنِي هَذَا لِشَيْءٍ.

فَمَكَثَتْ يَوْماً لاَ تَأْكُلُ وَلاَ تَشْرَبُ وَلَيْلَةً، وَأَصْبَحَتْ وَقَدْ جُهِدَتْ.

فَلَمَّا رَأَيْتُ ذَلِكَ، قُلْتُ: يَا أُمَّهُ! تَعْلَمِيْنَ - وَاللهِ - لَوْ كَانَ لَكِ مَائَةُ نَفْسٍ، فَخَرَجَتْ نَفْساً نَفْساً، مَا تَرَكْتُ دِينِي، إِنْ شِئْتِ فَكُلِي أَوْ لاَ تَأْكُلِي، فَلَمَّا رَأَتْ ذَلِكَ، أَكَلَتْ [1].

أول سهم فى الإسلام:

كان سعد أول من رمى بالسهم في سبيل الله، عن الزهرى قال: بعث رسول الله ﷺ سرية فيها سعد إلى جانب من الحجاز يُدعى (رابغ) - وَهُوَ مِنْ جَانِبِ الجُحْفَةِ - فانكفأ المشركون على المسلمين، فحماهم سعد بسهامه، فكان هذا أول قتال في الإسلام.

قَالَ سَعْدُ بنُ مَالِك (بن أبى وقاص): وَإِنِّي لأَوَّلُ المُسْلِمِينَ رَمَى المُشْرِكِينَ بِسَهْمٍ، وَلَقَدْ رَأَيْتُنِي مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ سَابِعَ سَبْعَةٍ، مَا لَنَا طَعَامٌ إِلاَّ وَرَقَ السَّمُرِ، حَتَّى إِنْ أَحَدَنَا لَيَضَعُ كَمَا تَضَعُ الشَّاةُ، ثُمَّ أَصْبَحَتْ بَنُو أَسَدٍ تُعَزِّرُنِي عَلَى الإِسْلاَمِ، لَقَدْ خِبْتُ إِذَنْ وَضَلَّ سَعْيِي.

عَنِ القَاسِمِ بنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ: أَوَّلُ مَنْ رَمَى بِسَهْمٍ فِي سَبِيْلِ اللهِ: سَعْدٌ، وَإِنَّهُ مِنْ أَخْوَالِ النَّبِيِّ ﷺ.

فَقَالَ سَعْدٌ:

أَلاَ هَلْ أَتَى رَسُوْلَ اللهِ أَنِّي ::: حَمَيْتُ صَحَابَتِي بِصُدُورِ نَبْلِي
فَمَا يَعْتَدُّ رَامٍ فِي عَدُوٍّ ::: بِسَهْمٍ يَا رَسُوْلَ اللهِ قَبْلِي

ارم فداك أبى وأمى:

عَنْ بَعْضِ آلِ سَعْدٍ، عَنْ سَعْدٍ: أَنَّهُ رَمَى يَوْمَ أُحُدٍ.

قَالَ: فَلَقَدْ رَأَيْتُ رَسُوْلَ اللهِ ﷺ يُنَاوِلُنِي النَّبْلَ وَيَقُولُ: «ارْمِ فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي».

حَتَّى إِنَّهُ لَيُنَاوِلُنِي السَّهْمَ مَا لَهُ مِنْ نَصْلٍ، فَأَرْمِي بِهِ.

قَالَ ابْنُ المُسَيَّبِ: كَانَ سعد جَيِّدَ الرَّمْيِ، سَمِعْتُهُ يَقُوْلُ: جَمَعَ لِي رَسُوْلُ اللهِ ﷺ أَبَوَيْهِ يَوْمَ أُحُدٍ.

---

(١) أخرجه مسلم ١٧٤٨.

قَالَ عَلِيٌّ: مَا سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَجْمَعُ أَبَوَيْهِ لأَحَدٍ غَيْرَ سَعْدٍ .

عَنْ عَائِشَةَ بِنْتِ سَعْدٍ: سَمِعْتُهَا تَقُول: أَنَا ابْنَةُ الْمُهَاجِرِ الَّذِي فَدَاهُ رَسُولُ اللهِ يَوْمَ أُحُدٍ بِالأَبَوَيْنِ .

قَالَ عَبْدُ اللهِ بنُ مَسْعُوْدٍ: لَقَدْ رَأَيتُ سَعْداً يُقَاتِلُ يَوْمَ بَدْرٍ قِتَالَ الفَارِسِ فِي الرِّجَالِ .

مكانته عند رسول الله:

عَنْ سَعِيْدِ بنِ الْمُسَيِّبِ ، عَنْ سَعْدٍ ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ! مَنْ أَنَا؟

قَالَ: (سَعْدُ بنُ مَالِكِ بنِ وُهَيْبِ بنِ عَبْدِ مَنَافِ بنِ زُهْرَةَ ، مَنْ قَالَ غَيْرَ هَذَا فَعَلَيْهِ لَعنَةُ اللهِ) .

عَنْ جَابِرٍ ، قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُوْلِ اللهِ ﷺ إِذ أَقْبَلَ سَعْدُ بنُ مَالِكٍ .

فَقَالَ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ : «**هَذَا خَالِي، فَلْيُرِنِي امْرُؤٌ خَالَهُ**» .

قُلْتُ: لأَنَّ أُمَّ النَّبِيِّ ﷺ زُهْرِيَّةٌ ، وَهِيَ: آمِنَةُ بِنْتُ وَهْبِ بنِ عَبْدِ مَنَافٍ ، ابْنَةُ عَمِّ أَبِي وَقَّاصٍ .

يقول سعد : لقد رأيت رسول الله ﷺ يناولني النبل وهو يقول: «**ارم فداك أبي وأمي**» حتى إنه ليناولني السهم ما له من نصل ، فيقول : «**ارم به**»[1] .

بل لقد بلغت منزلته عند الله أنه رأى يوم أحد الملائكة وهم يدافعون عن النبي فيقول: رأيت رسول الله ﷺ يوم أحد ومعه رجلان يقاتلان عنه ، عليهما ثياب بيض ما رأيتهما قبل ولا بعد[2] .

حارس النبي ﷺ :

عن عائشة قالت: أرقَ رسول الله ﷺ ذات ليلة ، فقال: ليت رجلاً صالحاً من أصحابي يحرسني الليلة . قالت : فسمعنا صوت السلاح ، فقال رسول الله ﷺ : «**من هذا ؟**» قال سَعْدُ ابنُ أَبِي وَقَّاصٍ : أنا يا رسول الله جئت أحرسك ، فنام الرسول ﷺ حتى سمعتُ

(١) البخاري .
(٢) البخاري .

غطيطه[١].

اللهم اشف سعداً وأتمم لـــه هجرته:

قـال سـعد : تـشكيت بمكـة شـكوى شديدة ، فجاءني النبي ﷺ يزورني - يَعُودُنِي - ، فَمَسَحَ وَجْهِي وَصَدْرِي وَبَطْنِي ، وقال: «**اللهم اشف سعداً، وأتمم لـــه هجرته**» ، فَمَا زِلْتُ يُخَيَّلُ إِلَيَّ أَنِّي أَجِدُ بَرْدَ يَدِهِ ﷺ عَلَى كَبِدِي حَتَّى السَّاعَةَ[٢] .

رجل من أهل الجنة:

عَنِ ابْنِ عُمَرَ ، قَالَ: كُنَّا جُلُوْساً عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**يَدْخُلُ عَلَيْكُم مِنْ هَذَا البَابِ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ**» . فَطَلَعَ سَعْدُ بنُ أَبِي وَقَّاصٍ .

دعوته مستجابة:

عَنْ قَيْسٍ ، أَخْبَرَنِي سَعْدٌ: أَنَّ رَسُوْلَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**اللَّهُمَّ استَجِبْ لِسَعْدٍ إِذَا دَعَاكَ**» .

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: أَنَّ رَسُوْلَ اللهِ ﷺ قَالَ يَوْمَ أُحُدٍ: «**اللَّهُمَّ استَجِبْ لِسَعْدٍ**» ثَلاَثَ مَرَّاتٍ .

عَنْ إِسْحَاقَ بنِ سَعْدِ بنِ أَبِي وَقَّاصٍ ، حَدَّثَنِي أَبِي: أَنَّ عَبْدَ اللهِ بنَ جَحْشٍ قَالَ يَوْمَ أُحُدٍ: أَلاَ تَأْتِي نَدْعُو اللهَ -تَعَالَى؟

فَخَلَوْا فِي نَاحِيَةٍ ، فَدَعَا سَعْدٌ ، فَقَالَ:

يَا رَبِّ! إِذَا لَقِيْنَا العَدُوَّ غَداً ، فَلَقِّنِي رَجُلاً شَدِيداً بَأْسُهُ ، شَدِيداً حَرَدُهُ ، أُقَاتِلُهُ وَيُقَاتِلُنِي ، ثُمَّ ارْزُقْنِي الظَّفَرَ عَلَيْهِ حَتَّى أَقْتُلَهُ ، وَآخُذَ سَلَبَهُ ، فَأَمَّنَ عَبْدَ اللهِ .

ثُـمَّ قَـالَ: اللَّهُـمَّ ارْزُقْنِـي غَداً رَجُلاً شَدِيْداً بَأْسُهُ ، شَدِيداً حَرَدُهُ ، فَأُقَاتِلُهُ وَيقَاتِلُنِي ، ثُمَّ يَأْخُذُنِي فَيَجْدَعُ أَنْفِي وَأُذُنِي ، فَإِذَا لَقِيْتُكَ غَداً قُلْتَ لِي: يَا عَبْدَ اللهِ! فِيْمَ جُدِعَ أَنْفُكَ وَأُذُنَاكَ؟

فَأَقُوْلُ: فِيكَ وَفِي رَسُوْلِكَ .

فَتَقُوْلُ: صَدَقْتَ .

---

(١) البخاري ٢٨٨٥ الجهاد- مسلم ٢٤١٠ الفضائل .

(٢) البخاري .

قَالَ سَعْدٌ: كَانَتْ دَعْوَتُهُ خَيْراً مِنْ دَعْوَتِي ، فَلَقَدْ رَأَيْتُهُ آخِرَ النَّهَارِ ، وَإِنَّ أَنْفَهُ وَأُذُنَهُ لَمُعَلَّقٌ فِي خَيْطٍ .

عَنْ جَابِرِ بنِ سَمُرَةَ ، قَالَ: شَكَا أَهْلُ الكُوفَةِ سَعْداً إِلَى عُمَرَ ، فَقَالُوا: إِنَّهُ لاَ يُحْسِنُ أَنْ يُصَلِّي .

فَقَالَ سَعْدٌ: أَمَّا أَنَا ، فَإِنِّي كُنْتُ أُصَلِّي بِهِم صَلاَةَ رَسُوْلِ اللهِ صَلاَتِي العَشِيِّ ، لاَ أَخْرِمُ مِنْهَا ، أَرْكُدُ فِي الأُوْلَيَيْنِ ، وَأَحْذِفُ فِي الأُخْرَيَيْنِ .

فَقَالَ عُمَرُ: ذَاكَ الظَّنُّ بِكَ يَا أَبَا إِسْحَاقَ . فَبَعَثَ رِجَالاً يَسْأَلُوْنَ عَنْهُ بِالكُوْفَةِ ، فَكَانُوا لاَ يَأْتُونَ مَسْجِداً مِنْ مَسَاجِدِ الكُوفَةِ إِلاَّ قَالُوا خَيْراً ، حَتَّى أَتَوْا مَسْجِداً لِبَنِي عَبْسٍ .

فَقَالَ رَجُلٌ يُقَالُ لَـه: أَبُو سعدَةَ: أَمَا إِذ نَشَدْتُمُوْنَا بِاللهِ ، فَإِنَّهُ كَانَ لاَ يَعْدِلُ فِي القَضِيَّةِ ، وَلاَ يَقْسِمُ بِالسَّوِيَّةِ ، وَلاَ يَسِيرُ بِالسَّرِيَّةِ .

فَقَالَ سَعْدٌ: اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ كَاذِباً فَأَعْمِ بَصَرَهُ ، وَأَطِلْ عُمُرَهُ ، وَعَرِّضْهُ لِلْفِتَنِ .

قَالَ عَبْدُ المَلِكِ: فَأَنَا رَأَيْتُهُ بَعْدُ يَتَعَرَّضُ لِلإِمَاءِ فِي السِّكَكِ ، فَإِذَا سُئِلَ كَيْفَ أَنْتَ؟

يَقُوْلُ: كَبِيْرٌ مَفْتُوْنٌ ، أَصَابَتْنِي دَعْوَةُ سَعْدٍ .

ويروى أَنَّ سَعْداً خَطَبَهُمْ بِالكُوْفَةِ ، فَقَالَ: يَا أَهْلَ الكُوْفَةِ! أَيُّ أَمِيرٍ كُنْتُ لَكُم ؟

فَقَامَ رَجُلٌ ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ مَا عَلِمْتُكَ لاَ تَعْدِلُ فِي الرَّعِيَّةِ ، وَلاَ تَقْسِمُ بِالسَّوِيَّةِ ، وَلاَ تَغْزُو فِي السَّرِيَّةِ .

فَقَالَ سَعْدٌ: اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ كَاذِباً فَأَعْمِ بَصَرَهُ ، وَعَجِّلْ فَقْرَهُ ، وَأَطِلْ عُمُرَهُ ، وَعَرِّضْهُ لِلْفِتَنِ .

قَالَ: فَمَا مَاتَ حَتَّى عَمِيَ ، فَكَانَ يَلْتَمِسُ الجُدُرَاتِ ، وَافْتَقَرَ حَتَّى سَأَلَ ، وَأَدْرَكَ فِتْنَةَ المُخْتَارِ ، فَقُتِلَ فِيهَا .

خَرَجَتْ جَارِيَةٌ لِسَعْدٍ ، عَلَيْهَا قَمِيْصٌ جَدِيْدٌ ، فَكَشَفَتْهَا الرِّيْحُ ، فَشَدَّ عُمَرُ عَلَيْهَا بِالدِّرَّةِ ، وَجَاءَ سَعْدٌ لِيَمْنَعَهُ ، فتناوله بِالدِّرَّةِ . فَذَهَبَ سَعْدٌ يَدْعُو عَلَى عُمَرَ ، فَنَاوَلَهُ الدِّرَّةَ ، وَقَالَ: اقْتَصَّ . فَعَفَا عَنْ عُمَرَ .

عَنْ مُصْعَبِ بنِ سَعْدٍ: أَنَّ رَجُلاً نَالَ مِنْ عَلِيٍّ، فَنَهَاهُ سَعْدٌ، فَلَمْ يَنْتَهِ، فَدَعَا عَلَيْهِ، فَمَا بَرِحَ حَتَّى جَاءَ بَعِيْرٌ نَادٌّ، فَخَبَطَهُ حَتَّى مَاتَ.

القادسية:

وَمِنْ مَنَاقِبِ سَعْدٍ أَنَّ فَتْحَ العِرَاقِ كَانَ عَلَى يَدَيْ سَعْدٍ، وَهُوَ كَانَ مُقَدَّمَ الجُيُوْشِ يَوْمَ وَقْعَةِ القَادِسِيَّةِ، وَنَصَرَ اللهُ دِيْنَهُ.

وَنَزَلَ سَعْدٌ بِالمَدَائِنِ، ثُمَّ كَانَ أَمِيْرَ النَّاسِ يَوْمَ جَلُوْلاَءَ، فَكَانَ النَّصْرُ عَلَى يَدِهِ، وَاسْتَأْصَلَ اللهُ الأَكَاسِرَةَ.

خطبته في معركة القادسية : (أن الله هو الحق، لا شريك له في الملك) وليس لقوله خُلف قال جل ثناؤه: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ [الأنبياء: ١٠٥].

إن هذا ميراثكم وموعود ربكم وقد أباحها لكم منذ ثلاث حجج، فأنتم تطعمون منها، وتأكلون منها وتقتلون أهلها وتُجبونهم وتُسبونهم إلى هذا اليوم، بما نال منهم أصحاب الأيام منكم، ولقد جاءكم منهم هذا الجمع، وأنتم وجوه العرب وأعيانهم وخيار كل قبيلة وعزّ من وراءكم، فإن تزهدوا في الدنيا وترغبوا في الآخرة جمع الله لكم الدنيا والآخرة، ولا يُقرب ذلك أحداً إلى أجله، وإن تفشلوا وتهنوا وتضعفوا تذهب ريحكم وتوبقوا آخرتكم.

ثم قال : (إني قد استخلفت عليكم خالد بن عرفطة، وليس يمنعني أن أكون مكانه إلا وجعي الذي يعودني، فأني مكبّ علي وجهي، وشخصي لكم بادٍ، فاسمعوا له وأطيعوا، فإنه إنما يأمركم بأمري، ويعمل برأيي).

قال الطبري: فقُرئ على الناس فزادهم خيراً، وانتهوا إلى رأيه، وقبلوا منه وتحادثوا على السمع والطاعة، وأجمعوا على عذر سعد والرضا بما صنع.

لك الله أيها الليث ها أنت تدير المعركة من شرفتك رغم مرضك الشديد، وتعطي أوامرك للجنود :

الـزموا مـواقفكم ، لا تحـركوا شـيئا حتـى تصلّوا الظهر ، فإذا صلّيتم الظهر فإنى مكبّر تكـبيرةً ، فكبّـروا وشدُّوا شـسع نعالكم واستعدوا ، واعلموا أن التكبير لم يُعطهُ أحدٌ قبلكم ، واعلمـوا انمـا أُعطيتموه تأييداً لكم ، فإذا كبرت الثانية فكبروا وتهيئوا ولتستتم عدتكم ، فإذا كبّرت الثالثة فكبروا ، ولينشط فرسانكم الناس ليبرزوا ويطاردوا ، فإذا كبرت الرابعة فشدوا الـنواجذ علـى الأضراس ، واحملوا وازحفوا جميعاً حتى تخالطوا عدوكم ، وقولوا: "لا حول ولا قـوة إلا بـالله " بعـد ثلاثـة أيـام تهـاوت نار الفرس وتهاوت معهم الوثنية ، وقد تمسك الفـرس في هذه الموقعة تماسكاً رهيباً . وأجبروا المسلمين على القتال ٤ أيام وخسر المسلمون أكثر من ٢٥٪ من قواتهم فيها .

فتح البيت الأبيض:

قال رسول الله : **«عصبة من أمتي يفتحون البيت الأبيض، بيت كسري»** [1] بعد شهرين أمـضاها سـعد في القادسية . كاتب عمر بن الخطاب فيما يفعل ، فكتب إليه عمر بالمسير إلى المدائن ، حاول سعد أن يُؤمن عبور الجيش في السفن ، فلم يستطع لأن الفرس ضمُّوا السفن ليحرموا المسلمين من الإفادة منها .

وفي لـيلة رأى سـعد رؤيـا خلاصـتها أن خـيول المـسلمين اقـتحمت مياه دجلة الهادرة وعبرت ، وقد أقبلت من المد بأمر عظيم .

عبور لا مثيل لـــه في التاريخ:

خطبـته في الجـيش : " إن عدوكم قد اعتصم منكم بهذا البحر ، فلا تخلُصُون إليه معه ، وهم يخلُصون إليكم إذا شاؤوا . وقد رأيت من الأوفق أن تبادروا جهاد العدو بناياتكم قبل أن تحصركم الدنيا ، إلا أني قد عزمت على قطع هذا البحر إليهم . فقالوا جميعاً: عزم الله لنا ولك على الرُشد ، فافعل " .

سـبحان الله . نهـر هادر لا يقل عُمق مياهه عن ستة أمتار تخوضه الخيول سباحةً وعلى رأسها الفرسان يقاتلون .

---

(١) رواه أحمد ومسلم .

عبر سعد وهو يقول: (حسبنا الله ونعم الوكيل، والله لينصرن الله وليه، وليُظهرن الله دينه، وليهزمنّ الله عدوه، إن لم يكن في الجيش بغيٌ أو ذنوبٌ تغلب الحسنات).

ودخل سعد بن أبي وقاص إيوان كسرى وصلى فيه ثماني ركعات صلاة الفتح شكرا لله على نصرهم.

إمارة العراق:

وبعد هذا النصر الكبير ولاه عمر بن الخطاب على العراق.

ولكن أهل الكوفة اشتكوه إلى عمر بن الخطاب.

عن جَابِرَ بنَ سَمُرَةَ، قَالَ: قَالَ عُمَرُ لِسَعْدٍ: قَدْ شَكَوكَ فِي كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى فِي الصَّلاَةِ.

قَالَ: أَمَّا أَنَا فَإِنِّي أَمُدُّ فِي الأُوْلَيَينِ، وَأَحْذِفُ فِي الأُخْرَيَينِ، وَمَا آلُو مَا اقْتَدَيتُ بِهِ مِنْ صَلاَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

قَالَ: ذَاكَ الظَّنُّ بِكَ، أَوْ كَذَاكَ الظَّنُّ بِكَ.

الشورى:

عَنْ عَمْرِو بنِ مَيْمُوْنٍ، عَنْ عُمَرَ: أَنَّهُ لَمَّا أُصِيبَ، جَعَلَ الأَمْرَ شُورَى فِي السِّتَّةِ. الذين مات النبي ﷺ وهو عنهم راض وأحدهم سعد بن أبي وقاص.

وَقَالَ عمر: مَنِ اسْتَخْلَفُوْهُ فَهُوَ الخَلِيْفَةُ بَعْدِي، وَإِنْ أَصَابَتْ سَعْداً، وَإِلاَّ فَلْيَسْتَعِنْ بِهِ الخَلِيْفَةُ بَعْدِي، فَإِنِّي لَمْ أَنْزَعْهُ - يَعْنِي: عَنِ الكُوْفَةِ- مِنْ ضَعْفٍ وَلاَ خِيَانَةٍ.

الفتنـــة:

اعتزل سعد بن أبى وقاص الفتنة ونأى بنفسه ودينه عنها ولم يكن مع أى الفريقين فلا حضر الجَمَلَ، ولا صِفِّينَ، ولا التحكيم، ولقد كان أهلاً للإمامة كبير الشأن - رضى الله عنه وأرضاه.

عَنْ مُحَمَّدٍ، قَالَ: ثُبِّتُ أَنَّ سَعْداً قَالَ: مَا أَزْعُمُ أَنِّي بِقَمِيصِي هَذَا أَحَقُّ مِنِّي بِالخِلاَفَةِ، جَاهَدْتُ وَأَنَا أَعْرَفُ بِالجِهَادِ، وَلاَ أَبْخَعُ نَفْسِي إِنْ كَانَ رَجُلاً خَيْراً مِنِّي، لاَ أُقَاتِلُ حَتَّى يَأْتُونِي بِسَيْفٍ لَه عَيْنَانِ وَلِسَانٌ، فَيَقُولُ: هَذَا مُؤْمِنٌ، وَهَذَا كَافِرٌ.

عَنْ عَامِرِ بنِ سَعْدٍ: أَنَّ أَبَاهُ سَعْداً كَانَ فِي غَنَمٍ لـه، فَجَاءَ ابْنُهُ عُمَرُ، فَلَمَّا رَآهُ قَالَ: أَعُوْذُ بِاللهِ مِنْ شَرِّ هَذَا الرَّاكِبِ.

فَلَمَّا انْتَهَى إِلَيْهِ، قَالَ: يَا أَبَتِ أَرَضِيْتَ أَنْ تَكُوْنَ أَعْرَابِيًا فِي غَنَمِكَ، وَالنَّاسُ يَتَنَازَعُونَ فِي المُلْكِ بِالمَدِيْنَةِ.

فَضَرَبَ صَدْرَ عُمَرَ وَقَالَ: اسْكُتْ، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّ اللهَ - عَزَّ وَجَلَّ - يُحِبُّ العَبْدَ التَّقِيَّ، الغَنِيَّ، الخَفِيَّ**».

وروى أَنَّـهُ جَاءهُ ابْنُهُ عَامِرٌ، فَقَالَ: أَيْ بُنَيَّ! أَفِي الفِتْنَةِ تَأْمُرُنِي أَنْ أَكُوْنَ رَأْساً؟ لاَ وَاللهِ، حَتَّى أُعْطَى سَيْفاً، إِنْ ضَرَبْتُ بِهِ مُسْلِماً نَبَا عَنْهُ، وَإِنْ ضَرَبْتُ كَافِراً قَتَلَهُ.

سَمِعْتُ رَسُوْلَ اللهِ ﷺ يَقُوْلُ: «**إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الغَنِيَّ، الخَفِيَّ، التَّقِيَّ**».

عَنْ حُسَيْنِ بنِ خَارِجَةَ الأَشْجَعِيِّ، قَالَ:

لَمَّا قُتِلَ عُثْمَانُ، أَشْكَلَتْ عَلَيَّ الفِتْنَةُ، فَقُلْتُ: اللَّهُمَّ أَرِنِي مِنَ الحَقِّ أَمْراً أَتَمَسَّكُ بِهِ.

فَرَأَيْتُ فِي النَّوْمِ الدُّنْيَا وَالآخِرَةَ بَيْنَهُمَا حَائِطٌ، فَهَبَطْتُ الحَائِطَ، فَإِذَا بِنَفَرٍ، فَقَالُوا: نَحْنُ المَلاَئِكَةُ.

قُلْتُ: فَأَيْنَ الشُّهَدَاءُ؟

قَالُوا: اصْعَدِ الدَّرَجَاتِ. فَصَعَدْتُ دَرَجَةً، ثُمَّ أُخْرَى، فَإِذَا مُحَمَّدٌ، وَإِبْرَاهِيْمُ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِمَا - وَإِذَا مُحَمَّدٌ يَقُولُ لإِبْرَاهِيْمَ: اسْتَغْفِرْ لأُمَّتِي. قَالَ: إِنَّكَ لاَ تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ، إِنَّهُم اهْرَاقُوا دِمَاءهُم، وَقَتَلُوا إِمَامَهُم، أَلاَ فَعَلُوا كَمَا فَعَلَ خَلِيلِي سَعْدٌ؟

قَالَ: قُلْتُ: لَقَدْ رَأَيْتُ رُؤْيَا، فَأَتَيْتُ سَعْداً فَقَصَصْتُهَا عَلَيْهِ، فَمَا أَكْثَرَ فَرِحاً، وَقَالَ:

قَدْ خَابَ مَنْ لَمْ يَكُنْ إِبْرَاهِيْمُ -عَلَيْهِ السَّلاَمُ- خَلِيلَهُ.

قُلْتُ: مَعَ أَيِّ الطَّائِفَتَيْنِ أَنْتَ؟ قَالَ: مَا أَنَا مَعَ وَاحِدٍ مِنْهُمَا.

قُلْتُ: فَمَا تَأْمُرُنِي؟ قَالَ: هَلْ لَكَ مِنْ غَنَمٍ؟ قُلْتُ: لاَ.

قَالَ: فَاشْتَرِ غَنَماً، فَكُنْ فِيْهَا حَتَّى تَنْجَلِي.

دَخَلَ سَعْدٌ عَلَى مُعَاوِيَةَ ، فَلَمْ يُسَلِّمْ عَلَيْهِ بِلقب أمير المؤمنين .

فَقَالَ مُعَاوِيَةُ: لَوْ شِئْتَ أَنْ تَقُوْلَ غَيْرَهَا لَقُلْتَ .

قَالَ: فَنَحْنُ الْمُؤْمِنُونَ ، وَلَمْ نُؤَمِّرْكَ ، فَإِنَّكَ مُعْجَبٌ بِمَا أَنْتَ فِيهِ ، وَاللهِ مَا يَسُرُّنِي أَنِّي عَلَى الَّذِي أَنْتَ عَلَيْهِ ، وَأَنِّي هَرَقْتُ مِحْجَمَةَ دَمٍ .

صبره على البلاء:

لما قدم سعد إلى مكة وكان قد كُفَّ بصره ، جاءه الناس يهرعون إليه كل واحد يسأله أن يدعو له فيدعو لهذا ولهذا ، وكان مجاب الدعوة فقال له أحدهم: أنت تدعو للناس فلو دعوت لنفسك فردّ عليك بصرك ؟ فتبسم وقال : يا بُني قضاء الله سبحانه عندي أحسن من بصري "[1] .

وفاته:

مات سعد في قصره بالعقيق على عشرة أميال من المدينة ودُفن بالبقيع .

عَنْ مُصْعَبِ بنِ سَعْدٍ ، أَنَّهُ قَالَ: كَانَ رَأْسُ أَبِي فِي حجْرِي ، وَهُوَ يَقْضِي ، فَبَكَيْتُ .

فَرَفَعَ رَأْسَهُ إِلَيَّ ، فَقَالَ: أَيْ بُنَيَّ! مَا يُبْكِيْكَ ؟ قُلْتُ: لِمَكَانِكَ ، وَمَا أَرَى بِكَ .

قَالَ: لاَ تَبْكِ ، فَإِنَّ اللهَ لاَ يُعَذِّبُنِي أَبَداً ، وَإِنِّي مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ . قُلْتُ: صَدَقَ وَاللهِ ، فَهَنِيْئاً لَه .

وروى عن الزهري أَنَّ سَعْدَ بنَ أَبِي وَقَّاصٍ لَمَّا احْتُضِرَ ، دَعَا بِخَلَقِ جُبَّةِ صُوْفٍ ، فَقَالَ: كفنوني فيها ، فإني لقيتُ المشركين فيها يوم بدر ، وإنما خبأتها لهذا اليوم [2] .

وَعَنْ أُمِّ سَلَمَةَ أَنَّهَا قَالَتْ: لَمَّا مَاتَ سَعْدٌ ، وَجِيءَ بِسَرِيْرِهِ ، فَأُدْخِلَ عَلَيْهَا ، جَعَلت تَبْكِي وَتَقُولُ: بَقِيَّةُ أَصْحَابِ رَسُوْلِ اللهِ ﷺ .

عن النُعْمَانُ بنُ رَاشِدٍ: عَنِ الزُّهْرِيِّ ، عَنْ عَامِرِ بنِ سَعْدٍ ، قَالَ: كَانَ سَعْدٌ آخِرَ الْمُهَاجِرِينَ وَفَاةً .

---

(١) إحياء علوم الدين .

(٢) أخرجه الحاكم٣/ ٤٩٦ .

الزبير رضي الله عنه :

الزبير بن العوام يلتقي نسبه مع الرسول ﷺ في (قصي بن كلاب) كما أن أمه (صفية) عمة رسول الله ، وزوجته أسماء بنت أبي بكر ذات النطاقين ، كان رفيع الخصال عظيم الشمائل ، يدير تجارة ناجحة وثراؤه عريضا لكنه أنفقه في الإسلام حتى مات مدينا .

يرتبط ذكر الزبير دوما مع طلحة بن عبيد الله ، فهما الاثنان متشابهان في النشأة والثراء والسخاء والشجاعة وقوة الدين ، وحتى مصيرهما كان متشابها فهما من العشرة المبشرين بالجنة وآخى بينهما الرسول ﷺ ، ويجتمعان بالنسب والقرابة معه ، وتحدث عنهما الرسول قائلا: (طلحة والزبير جاراي في الجنة) ، وكانا من أصحاب الشورى الستة الذين اختارهم عمر بن الخطاب لاختيار خليفته .

ثباته فى الإسلام:

كان للزبير - رضي الله عنه - نصيب من العذاب على يد عمه ، فقد كان يلفه في حصير ويدخن عليه بالنار كي تزهق أنفاسه ، وينا ديه: (اكفر برب محمد أدرأ عنك هذا العذاب) . فيجيب الفتى الغض: (لا والله ، لا أعود للكفر أبدا) . ويهاجر الزبير إلى الحبشة الهجرتين ، ثم يعود ليشهد المشاهد كلها مع الرسول ﷺ .

الزبير في الجنة:

عن عمر بن سعيد عن عبد الرحمن بن حميد عن أبيه أن سعيد بن زيد حدثه في نفر أن رسول الله ﷺ قال: «**عشرة في الجنة أبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعثمان، وعلي، والزبير، وطلحة، وعبد الرحمن، وأبو عبيدة، وسعد بن أبي وقاص**» قال: فعد هؤلاء التسعة وسكت عن العاشر فقال القوم: ننشدك الله يا أبا الأعور من العاشر قال: نشدتموني بالله أبو الأعور في الجنة[1] .

أول سيف شهر فى الإسلام:

أَسْلَمَ الزُّبَيْرُ ابْنُ ثَمَانِ سِنِيْنَ ، وسمع أَنَّ رَسُوْلَ اللهِ أُخِذَ بِأَعْلَى مَكَّةَ ، فَخَرَجَ الزُّبَيْرُ وَهُوَ غُلَامٌ بِيَدِهِ السَّيْفُ ، فَمَنْ رَآهُ عَجِبَ ، وَقَالَ: الغُلَامُ مَعَهُ السَّيْفُ ، حَتَّى أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ:

---

(١) رواه الترمذي .

«مَا لَكَ يَا زُبَيْرُ؟» . فَأَخْبَرَهُ ، وَقَالَ: أَتَيْتُ أَضْرِبُ بِسَيْفِي مَنْ أَخَذَكَ .

وفى رواية أخرى : جَاءَ الزُّبَيْرُ بِسَيْفِهِ ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : «مَا لَكَ؟» .

قَالَ: أُخْبِرْتُ أَنَّكَ أُخِذْتَ .

قَالَ: «فَكُنْتَ صَانِعاً مَاذَا؟» . قَالَ: كُنْتُ أَضْرِبُ بِهِ مَنْ أَخَذَكَ ، فَدَعَا لَه وَلِسَيْفِهِ .

رَوَى أَحَادِيْثَ يَسِيْرَةً:

عنَ بنَ عَبْدِ اللهِ بنِ الزُّبَيْرِ ، عَنْ أَبِيْهِ ، قَالَ:

قُلْتُ لأَبِي: مَا لَكَ لاَ تُحَدِّثُ عَنْ رَسُوْلِ اللهِ ﷺ كَمَا يُحَدِّثُ عَنْهُ فُلاَنٌ وَفُلاَنٌ؟

قَالَ: مَا فَارَقْتُهُ مُنْذُ أَسْلَمْتُ ، وَلَكِنْ سَمِعْتُ مِنْهُ كَلِمَةً: سَمِعْتُهُ يَقُوْلُ: «مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّداً فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ» .

شهادة عثمان للزبير:

حدثنا أبو أسامة عن هشام أخبرني أبي سمعت مروان كنت عند عثمان أتاه رجل فقال: استخلف قال: وقيل ذاك؟ قال: نعم الزبير قال: أما والله إنكم لتعلمون أنه خيركم ثلاثا . رواه البخاري ، عن هشام بن عروة عن أبيه قال: أخبرني مروان بن الحكم قال: أصاب عثمان بن عفان رعاف شديد سنة الرعاف حتى حبسه عن الحج: وأوصى فدخل عليه رجل من قريش قال: استخلف قال: وقالوه؟ قال: نعم قال: ومن ، فسكت فدخل عليه رجل آخر أحسبه الحارث فقال: استخلف فقال: عثمان وقالوا فقال: نعم ، قال: ومن هو فسكت قال: فلعلهم قالوا: الزبير قال: نعم قال: أما والذي نفسي بيده إنه لخيرهم ما علمت وإن كان لأحبهم إلى رسول الله ﷺ [1] .

غزواته فى سبيل الله:

قَالَ الزُّبَيْرُ: مَا تَخَلَّفْتُ عَنْ غَزْوَةٍ غَزَاهَا الْمُسْلِمُونَ ، إِلاَّ أَنْ أُقْبِلَ ، فَأَلْقَى نَاساً يَعْقِبُونَ .

وَعَنِ الثَّوْرِيِّ قَالَ: هَؤُلاَءِ الثَّلاَثَةُ نَجْدَةُ الصَّحَابَةِ: حَمْزَةُ ، وَعَلِيٌّ ، وَالزُّبَيْرُ .

---

(١) رواه البخاري .

وقد روى مَنْ رَأَى الزُّبَيْرَ أن فِي صَدْرِهِ أَمْثَالُ العُيُونِ مِنَ الطَّعْنِ وَالرَّمْيِ .

عَنْ عُرْوَةَ قَالَ: كَانَ فِي الزُّبَيْرِ ثَلاَثُ ضَرَبَاتٍ بِالسَّيْفِ: إِحْدَاهُنَّ فِي عَاتِقِهِ ، إِنْ كُنْتُ لأُدْخِلُ أَصَابِعِي فِيهَا ، ضُرِب ثِنْتَيْنِ يَوْمَ بَدْرٍ ، وَوَاحِدَةً يَوْمَ اليَرْمُوكِ .

غزوة بدر:

كَانَ يَوْمَ بَدْرٍ مَعَ رَسُوْلِ اللهِ ﷺ فَارِسَانِ: الزُّبَيْرُ عَلَى فَرَسٍ ، عَلَى المَيْمَنَةِ ، وَالمِقْدَادُ بنُ الأَسْوَدِ عَلَى فَرَسٍ ، عَلَى المَيْسَرَةِ .

وَقَالَ هِشَامُ بنُ عُرْوَةَ: عَنْ أَبِيْهِ ، قَالَ: كَانَتْ عَلَى الزُّبَيْرِ يَوْمَ بَدْرٍ عِمَامَةٌ صَفْرَاءُ ، فَنَزَلَ جِبْرِيلُ عَلَى سِيمَاءِ الزُّبَيْرِ .

يوم أحد:

قَالَتْ عَائِشَةُ: يَا ابنَ أُخْتِي! كَانَ أَبَوَاكَ - يَعْنِي: الزُّبَيْرَ ، وَأَبَا بَكْرٍ - مِن: ﴿ ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ ﴾ [آل عمران: ١٧٢].

لَمَّا انْصَرَفَ المُشْرِكُوْنَ مِنْ أُحُدٍ ، وَأَصَابَ النَّبِيُّ ﷺ وَأَصْحَابَهُ مَا أَصَابَهُمْ ، خَافَ أَنْ يَرْجِعُوا ، فَقَالَ: «**مَنْ يُنْتَدَبُ لِهَؤُلاَءِ فِي آثَارِهِمْ حَتَّى يَعْلَمُوا أَنَّ بِنَا قُوَّةً؟**» .

فَانْتُدِبَ أَبُو بَكْرٍ وَالزُّبَيْرُ فِي سَبْعِيْنَ ، فَخَرَجُوا فِي آثَارِ المُشْرِكِيْنَ ، فَسَمِعُوا بِهِم ، فَانْصَرَفُوا .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ ﴾ [آل عمران: ١٧٤] لَمْ يَلْقَوا عَدُوّاً .

يوم الخندق:

عن محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله قال: سمعته يقول: ندب رسول الله ﷺ الناس يوم الخندق ، فانتدب الزبير ، ثم ندبهم فانتدب الزبير ، ثم ندبهم فانتدب الزبير ، فقال النبي ﷺ : «**لكل نبي حواري وحواري الزبير**» . رواه مسلم ، عن محمد بن المنكدر عن جابر رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ : «**إن لكل نبي حواريا وإن حواري الزبير بن العوام**»[1] .

---

(١) رواه البخاري .

قَالَ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ يَوْمَ الخَنْدَقِ: «مَنْ يَأْتِيْنَا بِخَبَرِ بَنِي قُرَيْظَةَ؟» . فَقَالَ الزُّبَيْرُ: أَنَا ، فَذَهَبَ عَلَى فَرَسٍ ، فَجَاءَ بِخَبَرِهِمْ .

ثُمَّ قَالَ الثَّانِيَةَ . فَقَالَ الزُّبَيْرُ: أَنَا ، فَذَهَبَ .

ثُمَّ الثَّالِثَةَ . فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : «لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوَارِيٌّ، وَحَوَارِيَّ الزُّبَيْرُ» .

وحين طال حصار بني قريظة دون أن يستسلموا للرسول ﷺ، أرسل الرسول الزبير وعلي بن أبي طالب فوقفا أمام الحصن يرددان: «والله لنذوقن ما ذاق حمزة ، أو لنفتحن عليهم حصنهم» ثم ألقيا بنفسيهما داخل الحصن وبقوة أعصابهما أحكما وأنزلا الرعب في أفئدة المتحصنين داخله وفتحا للمسلمين أبوابه .

يوم حنين:

وفي يوم حنين أبصر الزبير (مالك بن عوف) زعيم هوازن وقائد جيوش الشرك في تلك الغزوة ، أبصره واقفا وسط فيلق من أصحابه وجيشه المنهزم ، فاقتحم حشدهم وحده ، وشتت شملهم وأزاحهم عن المكمن الذي كانوا يتربصون فيه ببعض المسلمين العائدين من المعركة .

وروى أَنَّ الزبَيْرَ خَرَجَ غَازِياً نَحْوَ مِصْرَ ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ أَمِيْرُ مِصْرَ: إِنَّ الأَرْضَ قَدْ وَقَعَ بِهَا الطَّاعُوْنُ ، فَلاَ تَدْخُلْهَا .

فَقَالَ: إِنَّمَا خَرَجْتُ لِلطَّعْنِ وَالطَّاعُوْنِ ، فَدَخَلَهَا فَلَقِيَ طَعْنَةً فِي جَبْهَتِهِ .

شجاعته رضي الله عنه:

أخبرنا هشام بن عروة عن أبيه عن عبد الله بن الزبير قال: كنت يوم الأحزاب جعلت أنا وعمر بن أبي سلمة في النساء ، فنظرت فإذا أنا بالزبير على فرسه يختلف إلى بني قريظة مرتين أو ثلاثا ، فلما رجعت قلت: يا أبت رأيتك تختلف . قال: أو هل رأيتني يا بني؟ قلت: نعم قال: كان رسول الله ﷺ قال: «من يأت بني قريظة فيأتيني بخبرهم» فانطلقت ، فلما رجعت جمع لي رسول الله ﷺ أبويه فقال: فداك أبي وأمي[1] .

---

(١) رواه البخاري.

عن هشام بن عروة عن أبيه عن عبد الله بن الزبير عن الزبير قال: جمع لي رسول الله ﷺ أبويه يوم قريظة فقال: بأبي وأمي[١].

عن هشام بن عروة قال: أوصى الزبير إلى ابنه عبد الله صبيحة الجمل فقال: ما مني عضو إلا وقد جرح مع رسول الله ﷺ حتى انتهى ذاك إلى فرجه[٢].

حدثنا ابن المبارك أخبرنا هشام بن عروة عن أبيه أن أصحاب النبي ﷺ قالوا للزبير يوم اليرموك: ألا تشد فنشد معك فحمل عليهم فضربوه ضربتين على عاتقه بينهما ضربة ضربها يوم بدر، قال عروة: فكنت أدخل أصابعي في تلك الضربات ألعب وأنا صغير[٣].

فضائله:

أَوْصَى إِلَى الزُّبَيْرِ سَبْعَةٌ مِنَ الصَّحَابَةِ، مِنْهُم: عُثْمَانُ، وَابْنُ مَسْعُوْدٍ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ، فَكَانَ يُنْفِقُ عَلَى الوَرَثَةِ مِنْ مَالِهِ، وَيَحْفَظُ أَمْوَالَهُمْ.

وقد كَانَ لِلزُّبَيْرِ بنِ العَوَّام أَلفُ مَمْلُوْكٍ يُؤَدُّوْنَ إِلَيْهِ الخَرَاجَ، فَلاَ يُدْخِلُ بَيْتَهُ مِنْ خَرَاجِهِمْ شَيْئاً. بَلْ يَتَصَدَّقُ بِهَا كُلِّهَا.

قَالَ جُوَيْرِيَةُ بنُ أَسْمَاءَ: بَاعَ الزُّبَيْرُ دَاراً لَه بِستُّ مَائَةِ أَلفٍ، فَقِيلَ لَه: يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ! غُبِنْتَ. قَالَ: كَلاَّ، هِيَ فِي سَبِيْلِ اللهِ.

الشورى:

عندما طُعن عمر بن الخطاب وأراد أن يستخلف، قَالَ عُمَرُ: إِنَّهُمْ يَقُوْلُوْنَ: اسْتَخْلِفْ عَلَيْنَا، فَإِنْ حَدَثَ بِي حَدَثٌ فَالأَمْرُ فِي هَؤُلاَءِ السِّتَّةِ الَّذِيْنَ فَارَقَهُمْ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ وَهُوَ عَنْهُمْ رَاضٍ، ثُمَّ سَمَّاهُمْ. ومنهم الزبير بن العوام.

أَصَابَ عُثْمَانَ رُعَافٌ سَنَةَ الرُّعَافِ، حَتَّى تَخَلَّفَ عَنِ الحَجِّ، وَأَوْصَى، فَدَخَلَ عَلَيْهِ رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ، فَقَالَ: اسْتَخْلِفْ. قَالَ: وَقَالُوهُ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: مَنْ هُوَ؟ فَسَكَتَ الرجل. فَقَالَ عُثْمَانُ: قَالُوا: الزُّبَيْرَ؟ قَالُوا: نَعَم. قَالَ: أَمَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنْ كَانَ لأَخْيَرَهُمْ مَا

(١) رواه الترمذي..

(٢) رواه الترمذي.

(٣) رواه البخاري.

عَلِمْتُ، وَأَحَبَّهُم إِلَى رَسُوْلِ اللهِ ﷺ.

قَالَ عُمَرُ: لَوْ عَهِدْتَ أَوْ تَرَكْتَ تَرِكَةً كَانَ أَحَبُّهُمْ إِليَّ الزُّبَيْرُ، إِنَّهُ رُكْنٌ مِنْ أَرْكَانِ الدِّيْنِ.

الزبير والفتنة:

بعد استشهاد عثمان بن عفان خرج الزبير وطلحة إلى البصرة للأخذ بثأر عثمان، وكانت (موقعة الجمل) عام ٣٦ هجري طلحة والزبير في فريق وعلي في الفريق الآخر عَنْ مُطَرِّفٍ، قُلْتُ لِلزُّبَيْرِ: مَا جَاءَ بِكُمْ، ضَيَّعْتُمُ الخَلِيفَةَ حَتَّى قُتِلَ، ثُمَّ جِئْتُمْ تَطْلُبُونَ بِدَمِهِ؟

قَالَ: إِنَّا قَرَأْنَا عَلَى عَهْدِ رَسُوْلِ اللهِ ﷺ وَأَبِي بَكْرٍ، وَعُمَرَ، وَعُثْمَانَ: ﴿ وَٱتَّقُوا۟ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنكُمْ خَآصَّةً ﴾ [الأنفال: ٢٥] لَمْ نَكُنْ نَحْسِبُ أَنَّا أَهْلُهَا حَتَّى وَقَعَتْ مِنَّا حَيْثُ وَقَعَتْ.

قَالَ عَلِيٌّ: حَارَبَنِي خَمْسَةٌ: أَطْوَعُ النَّاسِ فِي النَّاسِ: عَائِشَةُ، وَأَشْجَعُ النَّاسِ: الزُّبَيْرُ، وَأَمْكَرُ النَّاسِ: طَلْحَةُ، لَمْ يُدْرِكْهُ مَكْرٌ قَطُّ، وَأَعْطَى النَّاسِ: يَعْلَى بنُ مُنْيَةَ، وَأَعْبَدُ النَّاسِ: مُحَمَّدُ بنُ طَلْحَةَ، كَانَ مَحْمُوداً حَتَّى اسْتَزَلَّهُ أَبُوْهُ.

الشهادة:

لَما كان الزبير بوادي السباع نزل يصلي فأتاه ابن جرموز من خلفه فقتله فَوَقَعَ، وَدُفِنَ بِوَادِي السِّبَاعِ، وَجَلَسَ عَلِيٌّ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- يَبْكِي عَلَيْهِ هُوَ وَأَصْحَابُهُ.

ولما قتله ابن جرموز احتز رأسه وذهب به إلى عليّ رضي الله عنه، ليحصل له به حظوة عنده، فاستأذن، فقال عليّ: لا تأذنوا له وبشروه بالنار، فقد سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**بشر قاتل ابن صفية بالنار**»، ثم دخل ابن جرموز ومعه سيف الزبير رضي الله عنه، فقال عليّ: إن هذا السيف طالما فرّج الكرب عن وجه رسول الله ﷺ، فيروى أن عمرو بن جرموز لما سمع ذلك قتل نفسه في الحال.

وبعد أن انتهى علي -رضي الله عنه- من دفنهما ودعهما بكلمات أنهاها قائلا: (إني لأرجو أن أكون أنا وطلحة والزبير وعثمان من الذين قال الله فيهم: ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ [الحجر: ٤٧].

ثم نظر إلى قبريهما وقال: سمعت أذناي هاتان رسول الله ﷺ يقول: «**طلحة والزبير، جاراي في الجنة**» .

طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه :

طلحة بن عبيد الله بن عثمان التيمي القرشي لقد كان طلحة - رضي الله عنه- من أثرياء قومه ، ومع هذا نال حظه من اضطهاد المشركين ، وهاجر إلى المدينة وشهد المشاهد كلها مع الرسول ﷺ إلا غزوة بدر ، فقد ندبه النبي ﷺ ومعه سعيد بن زيد إلى خارج المدينة ، وعند عودتهما عاد المسلمون من بدر ، فحزنا ألا يكونا مع المسلمين ، فطمأنهما النبي ﷺ بأن لهما أجر المقاتلين تماما ، وقسم لهما من غنائم بدر كمن شهدها .

طلحة الخير:

يكفيه وصف رسول الله ﷺ له بقوله: «**من أراد أن ينظر إلى شهيد يمشي على رجليه فلينظر إلى طلحة بن عبيد الله**» وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة ، وروي عن موسى بن طلحة عن أبيه قال: لما كان يوم أحد سماه النبي ﷺ : «**طلحة الخير**» وفي غزوة ذي العشيرة طلحة الفياض ويوم خيبر طلحة الجود .

نسبه ووصفه:

هو طلحة بن عبيد الله بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب ابن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة القرشي التيمي المكي أبو محمد .

قال أبو عبد الله بن منده: كان رجلا آدم كثير الشعر ليس بالجعد القطط ولا بالسبط حسن الوجه إذا مشى أسرع ولا يغير شعره . وعن موسى بن طلحة قال: كان أبي أبيض يضرب إلى الحمرة مربوعا إلى القصر هو أقرب رحب الصدر بعيد ما بين المنكبين ضخم القدمين إذا التفت التفت جميعا .

إسلامه:

قال طلحة يروي قصة إسلامه: بينما نحن في سوق البصرة ، إذا راهب ينادي الناس:

يا معشر التّجار سلوا أهل هذا الموسم ، أفيهم أحدٌ من أهل الحرم؟

وكنت قريباً منه فبادرت إليه وقلت: نعم أنا من أهل الحرم .

فقال: هل ظهر فيكم أحمد؟

فقلت: ومن أحمد؟

فقال: ابن عبد الله بن عبد المطلب . هذا شهرُهُ الذي يظهرُ فيه . وهو آخر الأنبياء . يخرج من أرضِكُم من الحرم ، ويهاجر إلى أرضٍ ذات حجارةٍ سُودٍ ، ونخيل وسِبَاخٍ ينزُّ منها الماءُ . فإيّاك أن تُسْبَقَ إليه يا فتى .

قال طلحة: فوقعت مقالتُه في قلبي ، فبادرت إلى مطاياي فرحلتُهَا ، وخلفت القافلة ورائي ، ومضيت أهوي هُوِيّاً إلى مكة .

فلما بلغتها ، قلت لأهلي: أكان من حدثٍ بعدنا في مكة؟

قالوا: نعم قام محمد بن عبد الله يزعُمُ أنّه نَبيٌّ وقد تَبِعَهُ ابنُ أبي قحافة (يريدون أبا بكر رضي الله عنه) .

قال طلحة: وكنت أعرف أبا بكرٍ ، فقد كان رجلاً سهلاً محبّاً مُوَطَّأ الأكْنافِ . وكان تاجراً ذا خلقٍ واستقامة ، وكنّا نألفه ونُحبّ مجالسه ، لعلمه بأخبار قريش ، وحفظه لأنسابها .

فمضيت إليه وقلت له: أحقًّا ما يقال من أنّ محمد بن عبد الله أظهر النُّبُوّةَ وأنّك اتّبعته؟

قال: نعم . وجعل يقصّ عليّ من خبره ، ويرغّبني في الدخول معه ، فأخبرته خبر الراهب ، فدهش له ، وقال: هلُمَّ معي إلى محمدٍ لتقص عليه خبرك ولتسمع ما يقول . ولتدخل في دين الله .

قال طلحة: فمضيت معه إلى محمد فعرض عليّ الإسلام وقرأ علي شيئاً من القرآن ، وبشّرَني بخيري الدنيا والآخرة .

فشرح الله صدري إلى الإسلام ، وقصصت عليه قصة راهب بُصْرَى فَسُرَّ بها سروراً بدا على وجهه . ثم أعلنت بين يديه شهادة أنْ لا إله إلا الله وأنّ محمداً رسول الله . فكنت رابع ثلاثة أسلموا على يدي أبي بكر .

مناقبه وفضائله:

هاجر طلحة إلى المدينة حين أُمر المسلمون بالهجرة ، ثم شهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ ، عدا غزوة بدر ، فإن الرسول ﷺ كان قد ندبه ومعه سعيد بن زيد لمهمة خارج المدينة . ولما أنجزاها ورجعا قافلين إلى المدينة ، كان النبي وصحبه عائدين من غزوة بدر ، فآلم نفسيهما أن يفوتهما أجر مشاركة الرسول ﷺ بالجهاد في أولى غزواته . بيد أن الرسول أهدى إليهما طمأنينة سابغة ، حين أنبأهما أن لهما من المثوبة والأجر مثل ما للمقاتلين تماما ، بل وقسم لهما من غنائم المعركة مثل من شهدوها .

عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «**من أراد أن ينظر إلى شهيد يمشي على رجليه فلينظر إلى طلحة بن عبيد الله**» .

وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ كان على حراء هو وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير فتحركت الصخرة فقال رسول الله: «**اهدأ فما عليك إلا نبي أو صديق أو شهيد**» .

قال ابن أبي خالد عن قيس قال: رأيت يد طلحة التي وقى بها النبي ﷺ يوم أحد شلاء[1] .

له عدة أحاديث عن النبي ﷺ وله في مسند بقي بن مخلد بالمكرر ثمانية وثلاثون حديثا ، له حديثان متفق عليهما وانفرد له البخاري بحديثين ومسلم بثلاثة أحاديث حدث عنه بنوه يحيى وموسى وعيسى والسائب بن يزيد ومالك بن أوس بن الحدثان وأبو عثمان النهدي وقيس بن أبي حازم ومالك بن أبي عامر الأصبحي والأحنف بن قيس التميمي وأبو سلمة بن عبد الرحمن وآخرون .

قال الترمذي: حدثنا أبو سعيد الأشج . حدثنا أبو عبد الرحمن نضر بن منصور ، حدثنا عقبة بن علقمة اليشكري سمعت عليا يوم الجمل يقول: سمعت من في رسول الله ﷺ يقول: «**طلحة والزبير جاراي في الجنة**» .

---

(١) أخرجه البخاري .

وروي عن موسى بن طلحة عن أبيه قال: لما كان يوم أحد سماه النبي ﷺ طلحة الخير وفي غزوة ذي العشيرة طلحة الفياض ويوم خيبر طلحة الجود.

قال مجالد: عن الشعبي عن قبيصة بن جابر قال: صحبت طلحة فما رأيت أعطى لجزيل مال من غير مسألة منه.

وروي عن موسى بن طلحة أن معاوية سأله: كم ترك أبو محمد من العين قال: ترك ألفي ألف درهم ومائتي ألف درهم ومن الذهب مائتي ألف دينار فقال: معاوية عاش حميدا سخيا شريفا وقتل فقيدا رحمه الله.

معركة أحد:

أخرج النسائي عن جابر قال: لما كان يوم أحد حين انهزم المسلمون عن رسول الله ﷺ ولم يبق معه غير أحد عشر رجلاً من الأنصار وطلحة بن عبيد الله من المهاجرين. وكان رسول الله ﷺ يصعد هو ومن معه في الجبل، فلحقت به عصبة من المشركين تريد قتله. فقال عليه رسول الله ﷺ: «**من يرُدُّ عنا هؤلاء وهو رفيقي في الجنّة؟**».

فقال طلحة: أنا يا رسول الله. فقال رسول الله ﷺ: «**لا، مكانك**».

فقال رجل من الأنصار: أنا يا رسول الله. فقال: «**نعم أنت**».

فقاتل الأنصاريّ حتى قُتِلَ، ثم صعد رسول الله ﷺ بمن معه فلحقه المشركون، فقال: ألاَ رَجُلٌ لهؤلاء؟ فقال طلحة: أنا يا رسول الله. فقال رسول الله ﷺ: «**لا، مكانك**».

فقال رجل من الأنصار: أنا يا رسول الله. فقال: «**نعم أنت**». ثم قاتل الأنصاري حتى قتل أيضاً.

وتابع رسول الله ﷺ صعوده فلحق به المشركون، فلم يزل يقول مثل قوله، وطلحة يقول: أنا يا رسول الله، فيمنعه النبيّ، ويأذن لرجل من الأنصار حتى استشهدوا جميعاً، ولم يبق معه إلا طلحة فلحق به المشركون، فقال لطلحة: الآن، نعم. فقاتل طلحة قتال الأحد عشر حتى قطعت أصابعه فقال: فقال رسول الله ﷺ: «**لو قلت: باسم الله لرفعتك الملائكة والناس ينظرون**».

وكان رسول الله ﷺ قد كسرت رباعيته وشج جبينه، وجرحت شفته، وسال الدم على وجهه، وأصابه الإعياء فجعل طلحة يكرُّ على المشركين حتى يدفعهم عن رسول الله ﷺ، ثم ينقلب إلى النبيّ، فيرقّى به قليلاً في الجبل، ثم يُسنِدُه إلى الأرض، ويكُرُّ على المشركين من جديد. وما زال كذلك حتى صدهم عنه.

قال أبو بكر رضي الله: وكنت آنئذ أنا وأبو عبيدة بن الجراح بعيدين عن رسول الله، فلما أقبلنا عليه نريد إسعافه، قال: اتركاني وانصرفا إلى صاحبكما، يريد طلحة.

فإذا طلحة تنزف دماؤه، وفيه بضع وسبعون ضربة بسيف أو طعنة برمح أو رمية بسهم. وإذا هو قطعت كفّهُ، وسقط في حفرة مغشياً عليه.

فكان الرسول عليه الصلاة والسلام يقول بعد ذلك: «**من سرّه أن ينظر إلى رجل يمشي على الأرض وقد قضى نحبه فلينظر إلى طلحة بن عبيد الله**». وكان الصديق رضوان الله عليه إذا ذكِرَ أحُدٌ يقول: ذلك يومٌ كُلُّهُ لطلحَةَ.

مواقف لا تنسى:

روي عن موسى وعيسى ابني طلحة عن أبيهما أن أصحاب رسول الله ﷺ قالوا لأعرابي، جاء يسأله عمن قضى نحبه من هو، وكانوا لا يجترئون على مسألته ﷺ يوقرونه ويهابونه، فسأله الأعرابي، فأعرض عنه، ثم سأله فأعرض عنه، ثم إني اطلعت من باب المسجد وعلي ثياب خضر، فلما رآني رسول الله ﷺ قال: «**أين السائل عمن قضى نحبه؟**» قال الأعرابي: أنا، قال: «**هذا ممن قضى نحبه**».

وروي عن سلمة بن الأكوع قال: ابتاع طلحة بئرا بناحية الجبل ونحر جزورا فأطعم الناس فقال رسول الله ﷺ: «**أنت طلحة الفياض**».

تقول زوجته سعدى بنت عوف: (دخلت على طلحة يوما فرأيته مهموما، فسألته: ما شأنك؟ فقال: المال الذي عندي، قد كثر حتى أهمني وأكربني وقلت له: ما عليك، اقسمه فقام ودعا الناس، وأخذ يقسمه عليهم حتى ما بقي منه درهم).

وفي أحد الأيام باع أرضا له بثمن عال، فلما رأى المال أمامه فاضت عيناه من الدمع وقال: (إن رجلا تبيت هذه الأموال في بيته لا يدري ما يطرق من أمر،

لمغرور بالله) فدعا بعض أصحابه وحملوا المال معه ومضى في الشوارع يوزعها حتى أسحر وما عنده منها درهم وكان - رضي الله عنه- من أكثر الناس برا بأهله وأقاربه ، وكان يعولهم جميعا ، لقد قيل : (كان لا يدع أحدا من بني تيم عائلا إلا كفاه مئونته ، ومئونة عياله) (وكان يزوج أياماهم ، ويخدم عائلهم ، ويقضي دين غارمهم) ويقول السائب بن زيد : (صحبت طلحة بن عبيد الله في السفر والحضر فما وجدت أحدا ، أعم سخاء على الدرهم ، والثوب ، والطعام من طلحة) .

قال الأصمعي: حدثنا ابن عمران قاضي المدينة أن طلحة فدى عشرة من أسارى بدر بماله وسئل مرة برحم فقال: قد بعت لي حائطا بسبع مائة ألف ، وأنا فيه بالخيار ، فإن شئت خذه وإن شئت ثمنه .

وروي عن عائشة وأم إسحاق بنتي طلحة قالتا: جرح أبونا يوم أحد أربعا وعشرين جراحة وقع منها في رأسه شجة مربعة وقطع نساه يعني العرق وشلت إصبعه وكان سائر الجراح في جسده وغلبه الغشي (الإغماء) ورسول الله ﷺ مكسورة رباعيته مشجوج في وجهه قد علاه الغشي ، وطلحة محتمله يرجع به القهقرى ، كلما أدركه أحد من المشركين قاتل دونه حتى أسنده إلى الشعب .

عن مالك بن أبي عامر قال: جاء رجل إلى طلحة فقال: رأيتك هذا اليماني هو أعلم بحديث رسول الله منكم (يعني أبا هريرة) نسمع منه أشياء لا نسمعها منكم قال: أما أنه قد سمع من رسول الله ما لم نسمع فلا أشك ، وسأخبرك إنا كنا أهل بيوت ، وكنا إنما نأتي رسول الله غدوة وعشية ، وكان مسكينا لا مال له إنما هو على باب رسول الله ، فلا أشك أنه قد سمع ما لم نسمع وهل تجد أحدا فيه خير يقول على رسول الله ﷺ ما لم يقل .

وروى مجالد عن الشعبي عن جابر أنه سمع عمر يقول لطلحة: ما لي أراك شعثت واغبررت مذ توفي رسول الله ﷺ لعله أن ما بك إمارة ابن عمك يعني: أبا بكر قال: معاذ الله إني سمعته يقول: إني لأعلم كلمة لا يقولها رجل يحضره الموت إلا وجد روحه لها روحا حين تخرج من جسده وكانت له نورا يوم القيامة ، فلم

أسأل رسول الله ﷺ عنها ولم يخبرني بها، فذاك الذي دخلني قال: عمر فأنا أعلمها قال: فلله الحمد فما هي؟ قال: الكلمة التي قالها لعمه قال: صدقت.

طلحة والفتنة:

عندما نشبت الفتنة في زمن عثمان بن عفان - رضي الله عنه- أيد طلحة حجة المعارضين لعثمان، وزكى معظمهم فيما ينشدون من إصلاح، ولكن أن يصل الأمر إلى قتل عثمان -رضي الله عنه، لا لكان قاوم الفتنة، وما أيدها بأي صورة، ولكن كان ما كان، أتم المبايعة هو والزبير لعلي - رضي الله عنهم جميعا - وخرجوا إلى مكة معتمرين، ومن هناك إلى البصرة للأخذ بثأر عثمان وكانت (وقعة الجمل) عام ٣٦ هجري، طلحة والزبير في فريق وعلي في الفريق الآخر، وانهمرت دموع علي - رضي الله عنه- عندما رأى أم المؤمنين (عائشة) في هودجها بأرض المعركة، وصاح بطلحة : (يا طلحة، أجئت بعرس رسول الله تقاتل بها، وخبأت عرسك في البيت ؟) ثم قال للزبير : (يا زبير : نشدتك الله، أتذكر يوم مر بك رسول الله ﷺ ونحن بمكان كذا، فقال لك : «يا زبير، ألا تحب عليا ؟؟» فقلت : ألا أحب ابن خالي، وابن عمي، ومن هو على ديني ؟؟ فقال لك: «يا زبير، أما والله لتقاتلنه وأنت له ظالم» فقال الزبير : (نعم أذكر الآن، وكنت قد نسيته، والله لا أقاتلك).

الشهادة:

أقلع طلحة والزبير -رضي الله عنهما- عن الاشتراك في هذه الحرب، ولكن دفعا حياتهما ثمنا لانسحابهما، ولكن لقيا ربهما قريرة أعينهما بما قررا، فالزبير تعقبه رجل اسمه عمرو بن جرموز وقتله غدرا وهو يصلي، وطلحة رماه مروان بن الحكم بسهم أودى بحياته وبعد أن انتهى علي - رضي الله عنه- من دفنهما ودعهما بكلمات أنهاها قائلا : إني لأرجو أن أكون أنا وطلحة والزبير وعثمان من الذين قال الله فيهم : ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الحجر: ٤٧] ثم نظر إلى قبريهما وقال: سمعت أذناي هاتان رسول الله ﷺ يقول : «طلحة والزبير، جاراي في الجنة».

وروي عن وكيع حدثنا إسماعيل بن أبي خالد عن قيس قال: رأيت مروان بن الحكم حين رمى طلحة يومئذ بسهم فوقع في ركبته فما زال ينسح حتى مات. وقال يحيى بن بكير وخليفة بن خياط وأبو نصر الكلاباذي: إن الذي قتل طلحة مروان بن الحكم.

وروى زيد بن أبي أنيسة عن محمد بن عبد الله من الأنصار عن أبيه أن عليا قال: بشروا قاتل طلحة بالنار.

وكان استشهاده في سنة ست وثلاثين في جمادى الآخرة، وقيل: في رجب وهو ابن ثنتين وستين سنة أو نحوها وقبره بظاهر البصرة.

ولطلحة أولاد نجباء أفضلهم محمد السجاد كان شابا خيرا عابدًا قانتا لله ولد في حياة النبي ﷺ قتل يوم الجمل أيضا، فحزن عليه علي، وقال: صرعه بره بأبيه.

عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه:

عبد الرحمن بن عوف أحد الثمانية السابقين إلى الإسلام، عرض عليه أبو بكر الإسلام فما غُمَّ عليه الأمر ولا أبطأ، بل سارع إلى الرسول ﷺ يبايعه وفور إسلامه حمل حظه من اضطهاد المشركين، هاجر إلى الحبشة الهجرة الأولى والثانية، كما هاجر إلى المدينة مع المسلمين وشهد المشاهد كلها وكان اسمه في الجاهلية عبد عمرو، وقيل: عبد الكعبة، فسمَّاه النبي ﷺ عبد الرحمن.

قال عنه ابن عباس: جلسنا مع عمر، فقال: هل سمعت عن رسول الله ﷺ شيئاً أمر به المرءَ المسلم إذا سها في صلاته، كيف يصنع؟ فقلت: لا والله، أو سمعتَ أنت يا أمير المؤمنين من رسول الله في ذلك شيئاً؟ فقال: لا والله. فبينا نحن في ذلك أتى عبد الرحمن بن عوف فقال: فيم أنتما؟ فقال عمر: سألتُه، فأخبره. فقال له عبد الرحمن: لكني قد سمعتُ رسول الله ﷺ يأمر في ذلك، فقال له عمر: فأنت عندنا عدلٌ، فما سمعت؟ قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: **«إذا سها أحدُكم في صلاته حتى لا يدري أزاد أم نقص، فإن كان شكَ في الواحدة والثنتين فليجعلها واحدة، وإذا شك في الثنتين أو الثلاث فليجعلها ثنتين، وإذا شك**

في الثلاث والأربع فليجعلها ثلاثاً حتى يكونَ الوهم في الزيادة، ثم يسجد سجدتين، وهو جالس، قبل أن يسلّم ثم يسلّم» .

فأصحاب رسول الله ﷺ وإن كانوا عدولاً فبعضهم أعدل من بعض وأثبت، فهنا عمرُ قنع بخبر عبد الرحمن، وفي قصة الاستئذان يقول: ائت بمن يشهد معك، وعليّ بن أبي طالب يقول: كان إذا حدثني رجل عن رسول الله ﷺ استحلفته، وحدثني أبو بكر، وصدق أبو بكر. فلم يَحتج علي أن يستحلف الصديق.

قال المدائني: وُلد عبد الرحمن بعد عام الفيل بعشر سنين.

عن ابن إسحاق قال: كان ساقط الثنتين، أهتم، أعسر، أعرج، كان أصيب يوم أحد فهُتِمَ، وجُرح عشرين جراحة بعضها في رجله فعرج.

قال عثمان: ما يستطيع أحدٌ أن يعتدَّ على هذا الشيخ فضلاً في الهجرتين جميعاً.

ومن مناقبه:

أن النبي ﷺ شهد له بالجنة، وأنه من أهل بدر الذي قيل لهم: «**اعملوا ما شئتم فقد وجبت لكم الجنة، أو فقد غفرت لكم**»[1] ومن أهل الشجرة وبيعة الرضوان الذي قال الله فيهم: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ [الفتح: ١٨].

وقد صلى رسول الله ﷺ وراءه، فعن عمرو بن وهب الثقفي قال: كنا مع المغيرة بن شعبة، فسئل: هل أم النبي ﷺ أحدٌ من هذه الأمة غيرُ أبي بكر؟ فقال: نعم. فذكر أن النبي ﷺ توضأ، ومسح على خُفيه وعمامته، وأنه صلى خلفَ عبد الرحمن بن عوف، وأنا معه، رَكعة من الصبح، وقضينا الركعة التي سُبقن.

وعن قتادة: ﴿ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ﴾ [التوبة: ٧٩].

قال: تصدَق عبدُ الرحمن بن عوف بشطر ماله أربعة آلاف دينار. فقال أناسٌ من المنافقين: إن عبد الرحمن لعظيم الرياء.

---

(١) أخرجه أحمد في المسند والبخاري.

وعن شقيق قال : دخل عبد الرحمن على أمّ سلمة فقال : يا أمّ المؤمنين ! إني أخشى أن أكون قد هلكت ، إني من أكثر قريش مالاً ، بعتُ أرضاً لي بأربعين ألف دينار . قالت : يا بنيّ ! أنفق ، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن من أصحابي من لن يراني بعد أن أفارقه**» فأتيتُ عمر فأخبرته ، فأتاها ، فقال : بالله أنا منهم ؟ قالت : اللهم لا ، ولن أبرئ أحداً بعدك .

وعن أبي هريرة قال : كان بين خالد بن الوليد وعبد الرحمن بن عوف شيء ، فقال رسول الله ﷺ: «**دعوا لي أصحابي أو أصيحابي، فإن أحدكم لو أنفق مثل أحد ذهباً لم يُدرك مُدَّ أحدهم ولا نَصيفه**» .

وعنه أيضاً أن رسول الله ﷺ قال : « **خيارُكم خيارُكم لنسائي**» ، فأوصى لهنَّ عبدُ الرحمن بن عوف بحديقة قُومت بأربع مئة ألف .

ومن أفضل أعمال عبد الرحمن عزله نفسه من الأمر وقت الشورى ، واختياره للأمة من أشار به أهلُ الحلِّ والعقد ، فنهض في ذلك أتمَّ نهوض على جمع الأمة على عثمان ، ولو كان محابياً فيها لأخذها لنفسه ، أو لولاها ابن عمه وأقرب الجماعة إليه سعد بن أبي وقاص .

لما طعن عمر ، ورأى أنه ذاهب إلى ربه ، دعا علياً ، وعثمان ، وسعد بن أبي وقاص ، وعبد الرحمن بن عوف ، والزبير بن العوام وقال لهم : (فإذا مت فتشاوروا ثلاثة أيام ، وليصل بالناس صهيب ، ولا يأتين اليوم الرابع إلا وعليكم أمير منكم ، ويحضر عبد الله بن عمر مشيراً ولا شيء له من الأمر ، وطلحة شريككم في الأمر ، فإن قدم في الأيام الثلاثة فأحضروه معكم ، وإن مضت الأيام الثلاثة قبل قدومه فاقضوا أمركم . فإن اجتمع خمسة ورضوا رجلاً وأبى واحد فاشدخ رأسه أو اضرب رأسه بالسيف ، وإن اتفق أربعة فرضوا رجلاً وأبى اثنان فاضرب رؤوسهما ، فإن رضي ثلاثة رجلاً منهم وثلاثة رجلاً منهم فحكموا عبد الله بن عمر ، فأي الفريقين حكم له فليختاروا رجلاً منهم ، فإن لم يرضوا بحكم عبد الله بن عمر ، فكونوا مع الذين فيهم عبد الرحمن بن عوف ، واقتلوا

الباقين إن رغبوا عما اجتمع عليه الناس .

وقال إبراهيم بن سعد عن أبيه ، عن جده ، سمع عليّاً يقول يوم مات عبد الرحمن بن عوف : اذهب يا بن عوف ! فقد أدركت صفوها وسَبقتَ رنقها .الرنق : الكدر .

وعن أنس قال : رأيتُ عبد الرحمن بن عوف ، قُسم لكل امرأة من نسائه بعد موته مئة ألف .

ولما هاجر إلى المدينة فقيراً لا شيء له آخى رسول الله ﷺ بينه وبين سعد بن الربيع أحد النُقباء ، فعرض عليه أن يُشاطِرهُ نعمته ، وأن يطلّق له أحسنَ زوجتيه ، فقال له: بارك الله لك في أهلك ومالِك ، ولكن دُلني على السوق ، فذهب فباع واشترى وربح ، ثم لم ينشب أن صار معه دراهم ، فتزوج امرأة على زِنَة نواةٍ من ذهب ، فقال له النبي ﷺ : « **أولِم ولو بشاة**» ، ثم آل أمره في التجارة إلى ما آل .

ابن عوف سيّد ماله ولم يكن عبده:

وآية ذلك أنه لم يكن يشقى بجمعه ولا باكتنازه . بل هو يجمعه هونا ، ومن حلال . ثم لا ينعم به وحده . بل ينعم به معه أهله ورحمه وإخوانه ومجتمعه كله .

ولقد بلغ من سعة عطائه وعونه أنه كان يقال: أهل المدينة جميعًا شركاء لابن عوف في ماله . " ثلث يقرضهم . وثلث يقضي عنهم ديونهم . . وثلث يصلهم ويعطيهم .

ولم يكن ثراؤه هذا ليبعث الارتياح لديه والغبطة في نفسه ، لو لم يمكّنه من مناصرة دينه ، ومعاونة إخوانه . أما بعد هذا ، فقد كان دائم الوجل من هذا الثراء .

باع في يوم أرضا بأربعين ألف دينار ، ثم فرّقها في أهله من بني زهرة ، وعلى أمهات المؤمنين ، وفقراء المسلمين .

وقدّم يوما لجيوش الإسلام خمسمائة فرس ، ويوما آخر ألفا وخمسمائة راحلة .

وعند موته ، أوصى بخمسين ألف دينار في سبيل الله ، وأوصى لكل من بقي ممن شهدوا بدرا بأربعمائة دينار ، حتى إن عثمان بن عفان رضي الله عنه ، أخذ نصيبه من الوصية برغم ثرائه وقال:" إن مال عبد الرحمن حلال صفو ، وإن الطعمة

منه عافية وبركة" .

جيء له يوما بطعام الإفطار ، وكان صائما . فلما وقعت عيناه عليه فقد شهيته وبكى وقال: استشهد مصعب بن عمير وهو خير مني ، فكفّن في بردة إن غطت رأسه ، بدت رجلاه ، وإن غطت رجلاه بدا رأسه . واستشهد حمزة وهو خير مني ، فلم يوجد له ما يدفن فيه إلا بردة . ثم بسط لنا من الدنيا ما بسط ، وأعطينا منها ما أعطينا وإني لأخشى أن نكون قد عجّلت لنا حسناتنا!! .

واجتمع يوما مع بعض أصحابه على طعام عنده . وما كاد الطعام يوضع أمامهم حتى بكى وسألوه: ما يبكيك يا أبا محمد؟؟

قال: " لقد مات رسول الله ﷺ، وما شبع هو وأهل بيته من خبز الشعير . ما أرانا أخرنا لم هو خير لنا"!! .

كذلك لم يبتعث ثراؤه العريض ذرة واحدة من الصلف والكبر في نفسه . حتى لقد قيل عنه: إنه لو رآه غريب لا يعرفه وهو جالس مع خدمه ، ما استطاع أن يميزه من بينهم!! .

لكن إذا كان هذا الغريب يعرف طرفا من جهاد ابن عوف وبلائه ، فيعرف مثلا أنه أصيب يوم أحد بعشرين جراحة ، وأن إحدى هذه الإصابات تركت عرجا دائما في إحدى ساقيه . . كما سقطت يوم أحد بعض ثناياه . فتركت هتمًا واضحا في نطقه وحديثه .

عندئذ لا غير ، يستطيع هذا الغريب أن يعرف أن هذا الرجل الفارع القامة ، المضيء الوجه ، الرقيق البشرة ، الأعرج ، الأهتم من جراء إصابته يوم أحد هو عبد الرحمن بن عوف .!!

الثراء ينادي السلطة:

أي أن الأثرياء يحبون دائما أن يكون لهم نفوذ يحمي ثراءهم ويضاعفه ، ويشبع شهوة الصلف والاستعلاء والأنانية التي يثيرها الثراء عادة . .

فإذا رأينا عبد الرحمن بن عوف في ثرائه العريض هذا ، رأينا إنسانا عجبا يقهر طبائع البشر في هذا المجال ويتخطاها إلى سموّ فريد .!

حدث ذلك عندما كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يجود بروحه الطاهرة ، ويختار ستة رجال من أصحاب رسول الله ﷺ، ليختاروا من بينهم الخليفة الجديد .

كانت الأصابع تومئ نحو ابن عوف وتشير . ولقد فاتحه بعض الصحابة في أنه أحق الستة بالخلافة ، فقال: (والله ، لأن تؤخذ مدية ، فتوضع في حلقي ، ثم ينفذ بها إلى الجانب الآخر أحب إليّ من ذلك !!) .

وهكذا لم يكد الستة المختارون يعقدون اجتماعهم ليختاروا أحدهم خليفة بعد الفاروق عمر حتى أنبأ إخوانه الخمسة الآخرين أنه متنازل عن الحق الذي أضفاه عمر عليه حين جعله أحد الستة الذين يختار الخليفة منهم . وأنّ عليهم أن يجروا عملية الاختيار بينهم وحدهم أي بين الخمسة الآخرين .

وسرعان ما أحله هذا الزهد في المنصب مكان الحكم بين الخمسة الأجلاء ، فرضوا أن يختار هو الخليفة من بينهم ، وقال الإمام علي: (لقد سمعت رسول الله ﷺ يصفك بأنك أمين في أهل السماء ، وأمين في أهل الأرض) .

واختار ابن عوف عثمان بن عفان للخلافة ، فأمضى الباقون اختياره .

هذه حقيقة رجل ثري في الإسلام . فهل رأيتم ما صنع الإسلام به حتى رفعه فوق الثرى بكل مغرياته ومضلاته ، وكيف صاغه في أحسن تقويم؟؟ .

وفاته:

وها هو ذا في العام الثاني والثلاثين للهجرة ، يجود بأنفاسه .

وتريد أم المؤمنين عائشة أن تخصّه بشرف لم تختصّ به سواه ، فتعرض عليه وهو على فراش الموت أن يدفن في حجرتها إلى جوار الرسول وأبي بكر وعمر .

ولكنه مسلم أحسن الإسلام تأديبه ، فيستحي أن يرفع نفسه إلى هذا الجوار!! .

ثم إنه على موعد سابق وعهد وثيق مع عثمان بن مظعون ، إذ تواثقا ذات يوم: أيهما

مات بعد الآخر يدفن إلى جوار صاحبه . ودُفن بالبقيع .

سعيد بن زيد رضي الله عنه :

سعيد بن زيد بن عمرو بن نُفَيْل العدوي القرشي ، من خيار الصحابة ابن عم عمر بن الخطاب وزوج أخته ، ولد بمكة عام (٢٢ قبل الهجرة) وهاجر إلى المدينة ، شهد المشاهد كلها إلا بدرا لقيامه مع طلحة بتجسس خبر العير ، وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة ، كان من السابقين إلى الإسلام هو وزوجته أم جميل (فاطمة بنت الخطاب) .

والده زيد بن عمرو:

• كَانَ وَالِدُهُ زَيْدُ بنُ عَمْرو مِمَّنْ فَرَّ إِلَى اللهِ مِنْ عِبَادَةِ الأَصْنَامِ ، وَسَاحَ فِي أَرْضِ الشَّامِ يَتَطَلَّبُ الدِّينَ القَيِّمِ ، فَرَأَى النَّصَارَى وَاليَهُودَ ، فَكَرِهَ دِيْنَهُمْ ، وَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي عَلَى دِيْنِ إِبْرَاهِيْمَ ، وَلَكِنْ لَمْ يَظْفَرْ بِشَرِيْعَةِ إِبْرَاهِيْمَ -عَلَيْهِ السَّلاَمُ- كَمَا يَنْبَغِي ، وَلاَ رَأَى مَنْ يُوْقِفُهُ عَلَيْهَا . وَهُوَ مِنْ أَهْلِ النَّجَاةِ ، اعتزل الجاهلية وحالاتها ووحّد الله تعالى بغير واسطة حنيفياً . فَقَدْ شَهِدَ لَه النَّبِيُّ ﷺ بِأَنَّهُ: يُبْعَثُ أُمَّةً وَحْدَهُ .

عن أسماء بنت أبي بكر قالت : لقد رأيت زيد بن عمرو بن نفيل قائماً مسنداً ظهره إلى الكعبة يقول : يا معشر قريش ! والله ما فيكم أحدٌ على دين إبراهيم غيري .

وكان يحيى الموؤودة ، يقول للرجل إذا أراد أن يقتل ابنته : مه ! لا تقتلها ، أنا أكفيك مؤنتها ، فيأخذها ، فإذا ترعرعت ، قال لأبيها : إن شئت ، دفعتها إليك ، وإن شئت ، كفيتك مؤنتها .

• وَهُوَ ابْنُ عَمِّ الإِمَامِ عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ ، رَأَى النَّبِيَّ ﷺ وَلَمْ يَعِشْ حَتَّى بُعِثَ .

• قَالَ سَعِيْدٌ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ! إِنَّ أَبِي كَانَ كَمَا قَدْ رَأَيْتَ وَبَلَغَكَ ، وَلَو أَدْرَكَكَ لآمَنَ بِكَ وَاتَّبَعَكَ ، فَاسْتَغْفِرْ لَه . قَالَ: «**نَعَم، فَأَسْتَغْفِرُ لَه، فَإِنَّهُ يُبْعَثُ أُمَّةً وَحْدَهُ**» .

إسلامه:

أَسْلَمَ سَعِيْدٌ قَبْلَ دُخُوْلِ النَّبِيِّ ﷺ دَارَ الأَرْقَمِ .

دوره فى غزوة بدر:

لَمَّا تَحَيَّنَ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ وُصُوْلَ عِيْرِ قُرَيْشٍ مِنَ الشَّامِ ، بَعَثَ طَلْحَةَ وَسَعِيْدَ بْنَ زَيْدٍ قَبْلَ خُرُوْجِهِ مِنَ الْمَدِيْنَةِ بِعَشْرٍ ، يَتَحَسَّسَانِ خَبَرَ الْعِيْرِ ، فَبَلَغَا الْحَوْرَاءَ ، فَلَمْ يَزَالاَ مُقِيْمَيْنِ هُنَاكَ حَتَّى مَرَّتْ بِهِمُ الْعِيْرُ ، فغير أبو سفيان طريقه .

فَبَلَغَ نَبِيَّ اللهِ الْخَبَرُ قَبْلَ مَجِيْئِهِمَا ، فَنَدَبَ أَصْحَابَهُ وَخَرَجَ يَطْلُبُ الْعِيْرَ ، وَسَارُوا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ، وَرَجَعَ طَلْحَةُ وَسَعِيْدٌ لِيُخْبِرَا ، فَوَصَلاَ الْمَدِيْنَةَ يَوْمَ الْوَقْعَةِ ، فَخَرَجَا يُؤَمِّنَانِهِ . وَضَرَبَ لَهُمَا رَسُوْلُ اللهِ ﷺ بِسَهْمِهِمَا وَأُجُوْرِهِمَا .

وَشَهِدَ سَعِيْدٌ أُحُداً ، وَالْخَنْدَقَ ، وَالْحُدَيْبِيَةَ ، وَالْمَشَاهِدَ .

بشرى بالشهادة والجنة:

عَنْ سَعِيدِ بنِ زَيْدٍ -: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**اسْكُنْ حِرَاءُ! فَمَا عَلَيْكَ إِلاَّ نَبِيٌّ، أَوْ صِدِّيْقٌ، أَوْ شَهِيْدٌ**» . وَعَلَيْهِ النَّبِيُّ ، وَأَبُو بَكْرٍ ، وَعُمَرُ ، وَعُثْمَانُ ، وَعَلِيٌّ ، وَطَلْحَةُ ، وَالزُّبَيْرُ ، وَسَعْدٌ ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ ، وَسَعِيْدُ بنُ زَيْدٍ .

روي عن سعيد بن زيد أنه قال : قال رسول الله ﷺ: «**عشرة من قريش في الجنة، أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعليّ، وطلحة، والزبير، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن مالك (بن أبي وقاص)، وسعيد بن زيد بن عمرو بن نُفَيل، وأبو عبيدة ابن الجراح**» .

دعوته المستجابة:

روى أَنَّ أَرْوَى بِنْتَ أُوَيْسٍ ادَّعَتْ أَنَّ سَعِيدَ بنَ زَيْدٍ أَخَذَ شَيْئاً مِنْ أَرْضِهَا ، فَخَاصَمَتْهُ إِلَى مَرْوَانَ .

فَقَالَ سَعِيْدٌ : أَنَا كُنْتُ آخُذُ مِنْ أَرْضِهَا شَيْئاً بَعْدَ الَّذِي سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللهِ: سَمِعْتُهُ يَقُولُ: «**مَنْ أَخَذَ شَيْئاً مِنَ الأَرْضِ طُوِّقَهُ إِلَى سَبْعِ أَرَضِيْنَ**» . قَالَ مَرْوَانُ: لاَ أَسْأَلُكَ بَيِّنَةً بَعْدَ هَذَا .

فَقَالَ سَعِيْد : اللَّهُمَّ إِنْ كَانَتْ كَاذِبَةً فَأَعْمِ بَصَرَهَا ، وَاقْتُلْهَا فِي أَرْضِهَا .

فَمَا مَاتَتْ حَتَّى عَمِيَتْ ، وَبَيْنَا هِيَ تَمْشِي فِي أَرْضِهَا إِذْ وَقَعَتْ فِي حُفْرَةٍ فَمَاتَتْ .

وَقَالَ ابْنُ أَبِي حَازِمٍ فِي حَدِيْثِهِ: سَأَلَتْ أَرْوَى سَعِيْداً أَنْ يَدْعُوَ لَهَا ، وَقَالَتْ: قَدْ ظَلَمْتُكَ .

فَقَالَ: لاَ أَرُدُّ عَلَى اللهِ شَيْئاً أَعْطَانِيْهِ .

دوره فى الشورى:

لَمْ يَكُنْ سَعِيد مُتَأَخِّراً عَنْ رُتْبَةِ أَهْلِ الشُّورَى فِي السَّابِقَةِ وَالجَلاَلَةِ ، وَإِنَّمَا تَرَكَهُ عُمَرُ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- لِئَلاَّ يَبْقَى لَهُ فِيْهِ شَائِبَةُ حَظٍّ ، لأَنَّهُ خِتنُهُ وَابْنُ عَمِّهِ ، وَلَوْ ذَكَرَهُ فِي أَهْلِ الشُّورَى لَقَالَ الرَّافِضِيُّ: حَابَى ابْنَ عَمِّهِ ، فَأَخْرَجَ مِنْهَا وَلَدَهُ وَعَصَبَتَهُ .

فَكَذَلِكَ فَلْيَكُنِ العَمَلُ لِلّهِ .

ولايته دمشق:

شَهِدَ سعيد بن زيد حِصَارَ دِمَشْقَ ، وَفَتَحَهَا ، فَوَلاَّهُ عَلَيْهَا أَبُو عُبَيْدَةَ بنُ الجَرَّاحِ ، فَهُوَ أَوَّلُ مَنْ عَمِلَ نِيَابَةَ دِمَشْقَ مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ .

ثم نهض مع مَنْ معه للجهاد ، فكتب إليه سعيد : (أما بعد ، فإني ما كنت لأُوثِرَك وأصحابك بالجهاد على نفسي وعلى ما يُدْنيني من مرضاة ربّي ، وإذا جاءك كتابي فابعث إلى عملِكَ مَنْ هو أرغب إليه مني ، فإني قادم عليك وشيكاً إن شاء الله والسلام) .

الخلافة والمبايعة:

كَتَبَ مُعَاوِيَةُ إِلَى مَرْوَانَ وَالِي المَدِيْنَةِ لِيُبَايِعَ لابْنِهِ يَزِيْدَ . فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ جُنْدِ الشَّامِ: مَا يَحْبِسُكَ؟

قَالَ : حَتَّى يَجِيْءَ سَعِيدُ بنُ زَيْدٍ فَيُبَايِعُ ، فَإِنَّهُ سَيِّدُ أَهْلِ البَلَدِ ، وَإِذَا بَايَعَ بَايَعَ النَّاسُ .

قَالَ: أَفَلاَ أَذْهَبُ فَآتِيكَ بِهِ؟

وجاء الشامي وسعيد مع أُبيّ في الدار ، قال : (انطلق فبايع) ، قال : (انطلق فأسجيء فأبايع) فقال : (لتنطلقنّ أو لأضربنّ عنقك) ، قال : (تضرب عنقي ؟ فوالله إنك لتدعوني إلى قوم وأنا قاتلتهم على الإسلام) ، فرجع إلى مروان

فأخبره، فقال له مروان: (اسكت).

وماتت أم المؤمنين (أظنّها زينب) فأوصت أن يصلي عليها سعيد بن زيد، فقال الشامي لمروان: (ما يحبسُك أن تصلي على أم المؤمنين ؟)، قال مروان: (أنتظر الذي أردت أن تضرب عنقه، فإنها أوصت أن يُصلي عليها)، فقال الشامي: (أستغفر الله).

المجاهد الزاهد:

١- كان سعيد بن زيد محبوباً من النبي ﷺ. وظل يجاهد معه عليه الصلاة والسلام حتى لحق النبي بالرفيق الأعلى، فواصل جهاده مع الخلفاء الراشدين حتى وافته المنية في عهد معاوية بن أبي سفيان.

٢- وفي عهد عمر بن الخطاب شهد موقعة اليرموك وفتح دمشق وأبلى في المعارك بلاءً حسناً. وحين سأل عمر بن الخطاب أبا عبيدة بن الجراح عن أحواله بعث إليه بكتاب جاء فيه: أما عن أخويك سعيد بن زيد ومعاذ بن جبل فكما عهدت. إلا أن السواد زادهما في الدنيا زهداً وفي الآخرة رغبة.

٣- وأسهم مع المسلمي في استلال عرش «كسرى» وتقويض ملك «قيصر»، وكانت له في كل موقعة خاض غمارها المسلمون مواقفُ غرٌّ مشهودةٌ، وأياد بيض محمودة.

٤- وهو قائد الفرسان يوم «أجنادين» وكان من أشد الناس وهو الذي أشار على خالد ببدء القتال يوم أجنادين لما رمى الروم المسْلمين بالنشاب فصاح سعيد ابن زيد بخالد قائلاً: علام نستهدف لهؤلاء العلوج -أي الكفار- وقد رشقونا بالسهام حتى شمست-أي امتنعت- الخيل ؟ فأقبل خالد إلى خيالة المسلمين وقال لهم: احملوا - رحمكم الله - على اسم الله وحمل خالد على الروم وحمل المسلمون معه حتى انتصروا بأمر الله.

٥- ولعل أروع بطولاته، تلك التي سجلها يوم «اليرموك»، فلنترك له الكلام ليقص علينا طرفاً من خبر ذلك اليوم. قال سعيد بن زيد: لما كان يوم

«اليرموك» كنا أربعاً وعشرين ألفاً أو نحواً من ذلك ، فخرجت لنا الروم بعشرين ومائة ألف ، وأقبلوا علينا بخطى ثقيلة كأنهم الجبال تحركها أيدٍ خفيةٌ ، وسار أمامهم الأساقفة والبطارقة والقسّيسون يحملون الصلبان وهم يجهرون بالصلوات ؛ فيرددها الجيش من ورائهم وله هزيم كهزيم الرعد . فلما رآهم المسلمون على حالهم هذه ، هالتهم كثرتهم ، وخالط قلوبهم شيءٌ من خوفهم . عند ذلك قام أبو عبيدة ابن الجراح يحض المسلمين على القتال ، فقال : عباد الله ، انصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم . عباد الله ، اصبروا فإن الصبر منجاة من الكفر ، ومرضاة للرب ومدحضة للعار وأشرعوا الرماح ، واستتروا بالتروس ، والزموا الصمت إلا من ذكر الله عز وجل في أنفسكم ، حتى آمركم إن شاء الله . قال سعيد : عند ذلك ، خرج رجل من صفوف المسلمين وقال لأبي عبيدة: إني أزمعت على أن أقضي أمري الساعة ، فهل لك من رسالة تبعث بها إلى رسول الله ﷺ ؟! فقال أبو عبيدة : نعم ، تقرئه مني ومن المسلمين السلام ، وتقول له: يا رسول الله ، إنا وجدنا ما وعدنا ربنا حقًا . قال سعيد : فما إن سمعت كلامه ورأيته يمتشق حسامه ، ويمضي إلى لقاء أعداء الله ، حتى اقتحمت إلى الأرض ، وجثوت على ركبتي ، وأشرعت رمحي وطعنت أول فارس أقبل علينا ، ثم وثبت على العدو وقد انتزع الله كل ما في قلبي من الخوف فثار الناس في وجوه «الروم» وما زالوا يقاتلونهم حتى كتب الله للمؤمنين النصر .

٦- شهد سعيد بن زيد بعد ذلك فتح «دمشق» ، فلما دانت للمسلمين بالطاعة ، جعله أبو عبيدة بن الجراح والياً عليها ، وعندما توفي عمر بن الخطاب رضي الله عنه بكاه سعيد بن زيد بشدة فقيل له: ما يبكيك؟ قال: لا يبعد الحق وأهله . اليوم يهن أمر الإسلام . فكان أول من ولي إمرة «دمشق» من المسلمين . غير أنه كان زاهداً في الحكم كما هو زاهد في المال . فكتب إلى أبي عبيدة وهو في الأردن يعتذر عن عدم الاستمرار في المنصب ويطلب اللحاق به للجهاد . فلما بلغ الكتاب أبا عبيدة استجاب لرغبته .

وفاتـــه:

وَقَـالَ إِسْـمَاعِيلُ بـنُ أُمَيَّةَ: عَنْ نَافِعٍ ، قَالَ: مَاتَ سَعِيدُ بنُ زَيْدٍ وَكَانَ يَدْرَبُ ، فَقَالَتْ أُمُّ سَـعِيدٍ لِعَـبْدِ اللهِ بـنِ عُمَـرَ: أَتُحَـنِّطُهُ بِالمِسْكِ؟ فَقَـالَ: وَأَيُّ طِيبٍ أَطْيَبُ مِنَ المِسْكِ؟ فَنَاوَلَتْهُ مِسْكاً .

عَـنْ عَائِشَةَ بِنْتِ سَعْدٍ قَالَتْ: مَاتَ سَعِيدُ بنُ زَيْدٍ بِالعَقِيْقِ بالمدينة سنة (٥١ هـ) ، وهو ابـن بضع وسبعين سنة ، فَغَسَّلَهُ سَعْدُ بنُ أَبِي وَقَّاصٍ وَكَفَّنَهُ ، وَخَرَجَ مَعَهُ . ودخل قبره سعد ابن أبي وقاص وعبد الله بن عمر - رضي الله عنهم أجمعين .

والمبـشرون بالجـنة مـن الـصحابة كثير ، منهم بلال وآل ياسر وكذلك طوائف من هذه الأمة ذكرهم النبى ﷺ فى أحاديثه .

* * * * *